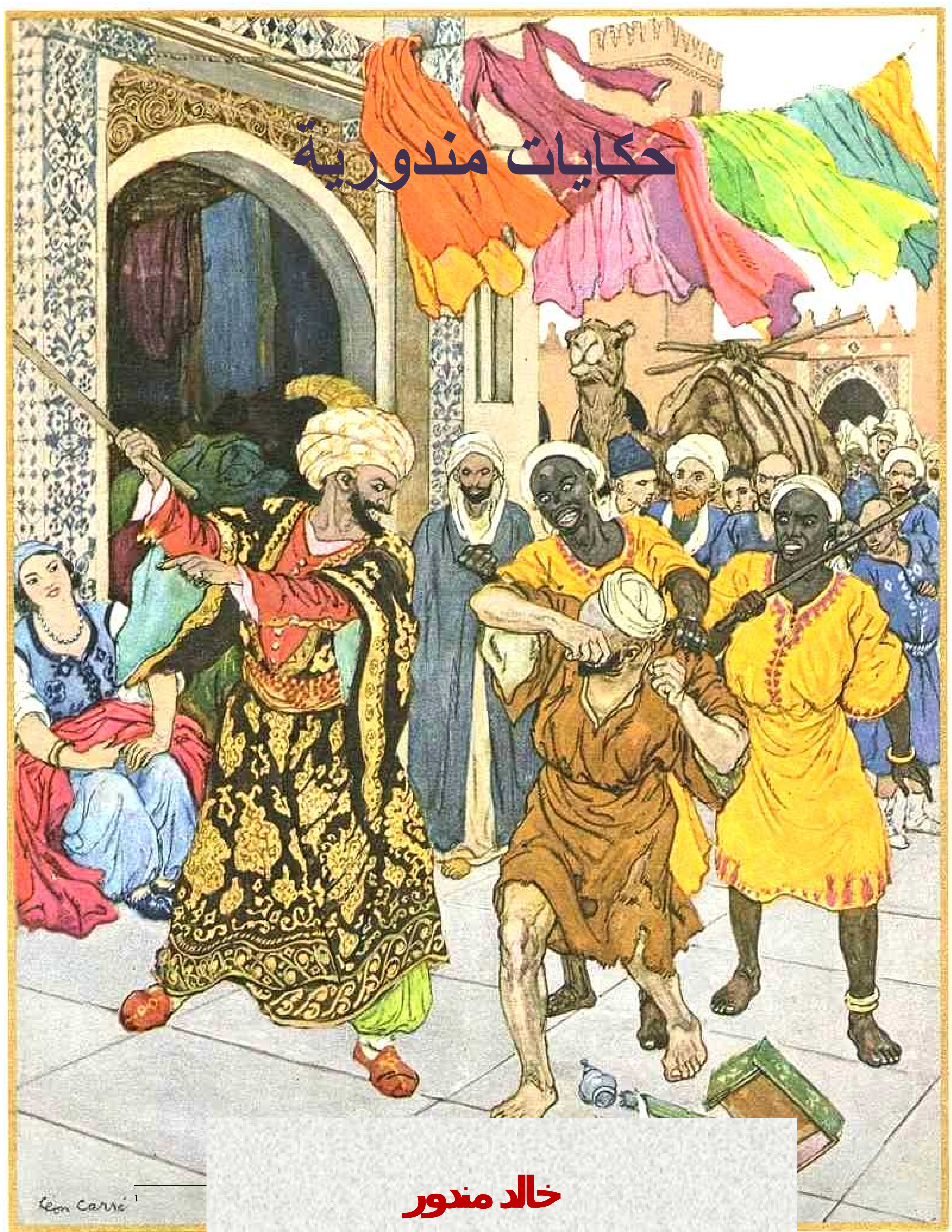


حكايات مندورية

خالد مندور

.

المراحيضى و المعقود

فى نقاش قديم على صفحات الجرائد ، كتب الجد سلامة موسى ، ان احد معاير التقدم ان يكون فى منزل كل فلاح مرحاض ، ولان عباس العقاد كان على طرف نقيض من التوجهات الفكرية و السياسية وحتى الصفات الشخصية لسلامة موسى ، و فى احيانا كثيرة كانت ردودة عنيفة ، خصوصا مع من لايتفق معة فى الاراء ، حيث كان شديد الفردية وغير متواضع ، فلقد علق على ما كتبة سلامة موسى باطلاق لفظ المراحيضى علية ، وبرغم مرور مايزيد على ستون عاما على هذا النقاش ، فما زالت خمسون فى المائة من منازل المصريين غير متصلة بشبكة **المجارى** العمومية و ما زالت مياة المجارى لهذة المنازل تصرف ، اهليا ، فى قنوات الصرف الزراعى او فى النيل ، وما زالت نسبة كبيرة من ناتج **شبكة** مياة المجارى تصرف بنفس الطريقة من محطات المجارى غير مكتملة المعالجة ، برغم الجهد الذى اذداد لتعميق معالجتها ، خصوصا **فى العام** الاخير .

وبعد هذا النقاش بما يقرب من عشرون عاما ، يشتبك العقاد من جديد مع محمد مندور على صفحات الجرائد ، حيث كان العقاد قد اكمل تحولة الى قوة معيقة للتقدم ، خصوصا عندما ترأس لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون و الاداب ، حيث كان يحول ما يصل اليها من الشعر الجديد ، اى شعر التفعيلة ، الى لجنة النثر للاختصاص !! ، اى ان شعر صلاح عبد الصبور و حجازى و ملك عبد العزيز و نازك الملائكة و السياب و غيرهم ، هو مجرد نثر ، و حيث ان محمد مندور كان من نفس الفصيل المتناقض مع توجهات العقاد ، الفكرية و السياسية و الاجتماعية وحتى فى صفاتة الشخصية ، وكان فى نفس الوقت حاملا لشهادات علمية عالية و كان تلميذا لطة حسين و صديقا لسلامة موسى ، ومدافعا كبيرا عن الشعر الفصيح و العامى الجديدين ، فان كل هذا كان كافيا لان يتلقى ردودا حادة وشخصية من العقاد تتجاوز حدود النقاش الادبى ، ولكنة يتلقى ردا مودبا لا يخلوا من حدة فيصفة مندور، بين السطور ، بالمعقود !!

وبرغم ذلك فلقد تلقيت درسا بليغا من ابى ، فخلال هذة المعركة مات العقاد ، وكنت متابعا لها ، ولكن بموتة انتهت الخصومة الجارية ، **وكتب** ابى عنة تقيما شاملا متوازنا و اعطاة حقة كاملا وخصوصا **عندما كان دافعا للتقدم مع مدرسة ابولو او فى قاعة الحار عن مستور** 23 **و عن البرلمان المنتخب سنة** 30 والذى حبس من اجلها عاما كاملا ، فالعقاد لا يجب اختصارة فيما انتهى الية بل يجب تبنى نظرة شاملة لدورة ، يبقى اخيرا اننى مراحيضى الهوى



أبناء الفلاحين

صورة قديمة لأبناء الفلاحين ، الدكتور محمد مندور بالجلابية و الطاقية و العباية ، وزوجتة الشاعرة ملك عبد العزيز و ابناءه الخمسة ، الدكتور حسام مندورو ليلى مندور كبيرة المذيعات بالبرنامج الثانى و الشهيد العميد أركان حرب ماجد مندور و المهندس خالد مندور و**الدكتور** طارق مندور، و اخية الدكتور مصطفى مندور وزوجته احسان واولادة ماجي و لوسى ، ونجاة زوجة اخية العمدة ممدوح مندور، وابن أخيه الدكتور مهندس محى مندور.
هذا الفلاح ابن الفلاحين الذى كان يتحرق شوقا للعودة من بعثته في فرنسا ، كى يرد الدين للفلاحين و فقراء هذا الوطن ، الذين تحملوا تكاليف بعثتة الحكومية ، وعاد من البعثة ، وبدء فى رد الدين بلا تردد ، إلى آخر لحظة فى حياته ، التى لم تكن طويلة ، بدفاعه المستميت عن **الوطن و**

التقدم و الإنسانية ، و تعرض لأذى كبير ، فى كل العصور ، من السجن والفصل من الوظائف ، ولم يتردد او يتراجع ،او يستجيب للإغراءات و محاولات الشراء الخسيسة ، ولكنه ترك الكثير من الابناء ، البيولوجيين و غير البيولوجيين ، السائرون على نفس طريقة ، ومازال ينجب الكثير من لابناء و الاحفاد ، "اللى خلف مامتش "

اللغة و الموسيقى

هل لكل لغة موسيقى خاصة بها ، اعتقد ذلك ، و اعتقد ايضا انها الأساس فى حسن التعبير اللغوي عن الأفكار ، و لكنها موسيقى غير مكتوبة ، ولا يمكن الاستدلال عليها و الإحساس بها ، و اكرر ، الإحساس بها ، بدراسة القواعد اللغوية ، بل بممارستها ، وعلى رأس هذه الممارسة **القراءة لكبار الأدباء** .

انا لست خبيرا لغويا ولكننى مررت بتجربة جعلتني أصل إلى هذه القناعة ، ففى اثناء عزاء ابى، وانا محروق القلب ، و فى خلوة مع اختى الكبيرة ، اخبرتها انني فى العام القادم ، الثانوية العامة ، سأحصل على 90% إكراما له ، و هى درجة كبيرة جدا فى ذلك الزمان ، تجعلك من أوائل الجمهورية.

وبدأت افكر فى المواد التى اعرف انها قد تعوقنى عن تحقيق ذلك ومنها اللغة الانجليزية ، فلقد كانت درجاتى فى العاميين السابقين لا **تتعدى** 70% برغم الدروس الخاصة ، فماذا افعل ؟ اسال خبيرا .

وسألت الخبير ، خالتى ، عزيزة اللذيذة ، كبيرة مفتشي اللغة الإنجليزية بالوزارة ، ماذا افعل ؟ فاعتطنى كم هائل من القصص الانجليزية المتدرجة التبسيط فى عدد الكلمات و فى التركيب اللغوى من 500 **كلمة الى** 3000 **كلمة ثم مجموعة اخرى تتشكل الانتقال الى النص الكامل** مستخدمة معظم الكلمات المستخدمة فى اللغة و مقدارها 7000 كلمة و بدون تبسيط فى التركيب ، ثم مجموعة اصلية بدون تبسيط و طلبت منى ان اقراءها بدون بحث عن معنى الكلمة ، و هو ما فعلته فى الإجازة الصيفية.

وبدء العام الدراسى ، و لم اطلب دروس خاصة ، وعند اقتراب نهاية العام ، قرر مدرسنا ، عقد امتحان تجريبى ، وسألته عن نتيجتى ، و فوجئت حين اخبرنى انها 90% ، **فلقد كنت اطمح الى** 80% فقط ، لاننى اعرف ان الفرق فى الدرجات يمكن تعويضه من الرياضيات والطبيعة ، اللذان استطيع ان احصل منهما على ما اريد ، حتى و لو كنت نائما ، ولم اصدق ان هذا هو مستواى برغم تأكيده أنني فى هذا المستوى.

و ياتى الامتحان النهائى و **احصل على ل** 90% فى الانجليزية !! و ما زلت ضعيفا فى القواعد اللغوية !!



تطور أساليب الكتابة

منذ زمان بعيد عندما التحقت بالجامعة ، فى كلية الهندسة ، فاجأني صديق التحق بكلية الآداب ، قسم صحافة ، بطلب غريب . طلب منى ان **اكتب** له بحثا عن تطور الأسلوب الصحفي فى الصحافة المصرية فى القرن التاسع عشر ، ودعم اصراره على ذلك بقوله " اهة كتاب ابوك مكتوب كأحد المراجع " ، و سلمني قائمة طويلة من الكتب كمراجع للبحث ، و لم استطع ان ارفض .

لقد أدركت حجم الورطة التى أوقعت نفسي فيها ، فليس لدي الوقت لأقرأ كل هذه الكتب ، ولكن و لحسن الحظ ، كانت معلوماتي التاريخية عن هذه الفترة كافية ، لكي اتبنى منطقا مختلفا ، لا احتاج الا لنماذج من بعض الكتابات ذات الدلالة ، ولا أحتاج لقراءة هذا الكم **الهائل من الكتب ،** وذلك للإجابة على السؤال البديهي ، لمن يكتب الناس ؟ و لأجل ماذا ؟.

ولحسن الحظ ان هذه الفترة شهدت ثورة شعبية ساهمت فيها الجماهير بحماسة منقطعة النظير، ومن الطبيعى أن تنعكس على أساليب الكتاب، و لذلك اخترت كتابات رفاعة رافع الطهطاوي فى جريدة الوقائع لما قبل الثورة ، ثم عبد الله النديم فى التنكيت والتبكيت ،التي كانت **تصدر**

بالعامية فى زمن الثورة ، ثم مرة أخرى ، عبد الله النديم فى الاستاذ ، التى كانت تصدر بالفصحى ، بعد عودته من المنفى ، والموجهة للمثقفين .
لا ارغب ان الخص فحوى البحث ، لان ما اريد ان اوضحه ، انه منذ ذلك الزمان ، وأنا أتابع تطور أساليب الكتابة الصحفية والأدبية ، **دون أن أتعمد ذلك.**
لقد كانت كتابات يوسف إدريس ، الصحفية ام الادبية ، تلفت نظرى دائما ، بالجمل القصيرة ، بدون استطرادات طويلة ، و بقصر الفقرات ، **و** بحسن استخدام علامات الترقيم ، التي تؤثر تأثيرا كبيرا ، فى سرعة ودقة فهم القارئ وحسن استقباله للمعنى .



لابياض طايل و لا سمار خايل - ما حلو اللا حلو الشمايل
طاهر ابو فاشا

هذا الخيال المجنح صاحب الروح الشعبية و الوطنية الاصيلة ، الدمياطى الفائق الكرم ، الشديد التواضع و البساطة ، الذى طبع شهر **رمضان** بالف ليلتة الخلابة ، و الذى كتب الف ليلتة الخاصة بة بعد هزيمة 67 بشكل يتجاوز النص التراثى عمقا و تماسكا ، متنبئا بانة سيتم تحرير بلاد العسل و اللبن من احتلال اللؤماء المدعومين من سلطان الجن الازرق ، بتكاتف اهلها و دعم اشقائهم و بمساندة شيطان الجن الاحمر .
فيا عمى الجميل ، ما زلنانحلم كما حلمت ، و ما دمنا نحلم فسنحقق الحلم ولو بعد حين ، و سنتذكرك حين نحرر بلاد العسل و اللبن بدون جن **احمر ورغما عن كل انواع الجن.**

Tarek Mandour

وما أجمل استقباله لنا في (عشته) برأس **البر. وجمل** العشة وجمال وبساطة وسحر طاهر أبوفاشا .. وكنت أنظر إليه كساحر ألف ليلة وليلة وليس كصديق أبي وكنت فخورا بين أصدقائي الأطفال أني أعرف الساحر صاحب جنية البحور والأمير المسحور.

Mohamed Elhady

كنت افكر احيانا فى علاقة طاهر ابو فاشا بألف ليلة وليلة . هل كان مجرد ناقل لها ؟ هل ماقام به اعادة صياغة عصرية لمؤلف قديم ؟
لكنى فوجئت انه كتب للإذاعة 800 حلقة منها60 **حلقة فقط مقولة** من الكتاب الأصلى بأحداثها وشخوصها والباقى كانت من تأليفه على حد قوله فى لقاء تليفزيونى قديم على قناة ماسبيرو زمان



الترجمة وسحرها

" مترجمة الى العربية و برغم اننى اعرف جاك لندن و تجذبنى Call of the wildمنذ زمان بعيد قراءت قصة جاك لندن " نداء البرية - دائما كتاباتة الا اننى فوجئت بالمستوى الشعرى الرفيع للفصة المترجمة و لم اكن قد قراتها من قبل بالانجليزية فسالت صديقا متخصصا فى اللغة الانجليزية عن المستوى الشعرى للقصة الاصلية بلغتها الانجليزية فاكد لى انها اقل فى المستوى الشعرى من الترجمة العربية ، فاقترضتها و قراتها و تاكد لى تقديرة .
لم اجد تفسيرا لذلك الا فى ان المترجم قد احس و هضم روح النص الذى يقوم بترجمتة فاحسن اختيار الالفاظ و التراكيب اللغوية ، فخرج النص بهذا الابداع و فهمت لماذا كان ابى يعود الى " لاروس " و هو يترجم مدام بوفارى برغم انة كان يفكر بالفرنسية و العربية بنفس المستوى من التمكن .
واخيرا قرأت كتابا اخرا مترجما عن الفرنسية و كانت الترجمة مزعجة و مثيرة لعدم الارتياح ، و لولا اهتمامى بموضوع الكتاب لما اكملتة .
لماذا اكتب هذا الان ؟ اكتب لاننى بدات فى قراءة كتاب اخرمترجم للكاتب الاوغندى محمود ممدانى صادر عن المركز القومى للترجمة وقام بترجمتة الدكتور صلاح ابو نار و راجعها الاستاذ حلمى شعراوى ، و بمجرد بدئى فى قرائتة احسست بالارتياح البالغ من حسن الصياغة و تماسكها بل ايضا من المستوى الادبى الرفيع ، خلاصة القول اننى " ادبست " لاكمال قراءةكتاب من 600 صفحة برغم انة ليس ضمن الخطة العاجلة و ساعود اليكم عندما اكمل القراءة.

واة يا عبد الوادود - محمود العربى و العبقرى

يجلس الرجل الاربعينى فى منزل انسبائة بالبلكونة البحرية للتمتع بالهواء فى عصر يوم صيفى حار و هو يتامل المارين بالاسفل فى الشارع العام ، وهو فى تاملة يلمح خلفية رجل يعرفة جيدا ، فينتفض و يسارع الى السلم و يتدحرج علية باقصى سرعة بدون ان يغير ملابسة لعلة يلحق بة كى يصافحة و يعانقة.
ويتذكر ، وهو يتدحرج ، شريط من الذكريات القديمة التى جمعتة بة منذ ان كان طفلا صغيرا حين ادركت والدتة ضعف مستواة الدراسى وهو فى السنة الخامسة الابتدائية فطلبت من والدة الذهاب الى المدرسة للاتفاق مع احد مدرسيها لاعطائة دروس تقوية .
ويحضر المدرس ، الذى لم يبلغ الثلاثين بعد و الغير متزوج ، للمنزل ، و تبدء الحصة الاولى فى حضور الاب ويستهلها المدرس ببعض الاسئلة كى يتعرف على مستوى الطفل ، و يعجز الطفل عن الاجابة و ينفجر باكيا بشدة ، وتبدء حملة التهدئة من الاب و المدرس الذى يقول " امال انا جى اعمل اية".
وعلى مدار العام تتوطد علاقة صداقة متينة بين الطفل الصغير و المدرس الشاب يدعمها طبع االمدرس الودود و حنيتة و اخلاصة و ذكاءة ويترتب عليها انقلابا فى مستوى الطفل الدراسى وتبرز معالم شخصيتة الكامنة ، و تتعزز ثقتة فى نفسة ولكن يمنعها من الوصول الى حد الغرور المعايير الاخلاقية السائدة فى منزلة ، وبرغم ذلك اصبح مشهورا داخل المنزل "بالعبقرى" و هو اسم اطلقة على نفسة و ذهب مثلا ، فحين يعود الاب من عملة كان يسال " هو فين العبقرى " .
ومنذ ذلك الزمان البعيد يحافظ العبقرى على مستواة الدراسى و يصبح دائما من اوائل دفعتة الى ان يتخرج من الجامعة.
و احقاقا للحق ، فان اداء هذا المدرس الانسان و العبقرى كان لايختلف فى المدرسة عنة فى المنزل وكان اطفال الحى يتكالبون علية اذا لمحوة يمشى فى شوارع الحى و يهش لهم بود بالغ.
ويتزوج ، اخيرا ، بامراءة مبتسمة الوجة ممتلاءة القوام و يتطوع الاثنان فى الدفاع المدنى فى اعقاب هزيمة 1967، ويستمر فى دورة المبدع فى تعليم الصغار و فى الدفاع عن الوطن.
نحن نحتاج الى الالاف من محمود العربى اذا كنا جاديين فى تطوير التعليم ، و ان يكون مدرس الابتدائى الاعلى دخلا و تعليما .
للاسف الشديد لا امتلك صورة لاستاذى و صديقى و معلمى ذو الشارب الكثيف و الوجة البشوش و لكنة محفور داخل قلبى.



فى ذكرى رجل لطيف

فى عصر احد الايام يقف رجل كبير فى شرفة منزلة بالطابق الاول و بجوارة ابنة الصغير و يفاجأ بتلميذة الاربعينى يحاول ان يحافظ على توازنة فوق سور المنزل الصغير الارتفاع و هو يحادث صديقة بالطابق الارضى ، و يفقد توازنة و يضطر الى النزول الى الرصيف و هو يضحك و يعاود الكرة مرة تلو المرة و يضحك ، فيصيح علية " ولة يانعمان اطلع " ، فيجيب نعمان المبتسم "حاضر يادكتور" ، و يصعد نعمان و يتسلل الطفل كالمعتاد كى يسمع ، كما يفعل دائما عندما ياتى ضيف الى والدة ، و يشعر فورا بالالفة العميقة مع هذا النعمان المبتسم الودود برغم انة لم يكن جميل المحيا .
ويزداد شعور الطفل بالالفة حين يصحبة والدة للمسرح القومى اذاكانت المسرحية للنعمان المبتسم، ثم ينتظر المقال النقدى التالى لوالدة عن المسرحية و يسعد كثيرا للتقدير النقدى لها.
و عندما يتوفى الدكتور مبكرا، يكتب النعمان المبتسم مقالا باكيا من داخل حنايا قلبة بلا سفسطة او تقعير ، قطعة من قلبة يضعها على الورق لا يستطيع الطفل الذى اصبح شابا صغيرا ان ينساها.
هذا المبتسم الودود صاحب القلب الصافى والشديد التواضع هو احد اهم كتاب المسرح فى الجيل اللاحق لتوفيق الحكيم واحد اهم المؤسبسين للمسرح المصرى الحديث مع يوسف ادريس و الفريد فرج و ميخائيل رومان.
تابعوا مسرحيات النعمان المبتسم ، نعمان عاشور ، على موقع البرنامج الثقافى للاذاعة المصرية ، الى ان يحين الحين ، و يعود المسرح القومى الى سابق عهدة و يعاود عرض مسرحيات المؤسيسين.



الجد و الابن و الحفيد

عندما كتبت عن المبدع الكبير نعمان عاشور جاءنى من ابنة سعد عاشور تعليق مس شغاف قلبى واكتمل بها ليس فقط جزء من ذاكرتى عنة بل شىء يتجاوز ذلك بكثير ، شىء يتعلق باوضاعنا السياسية و الاجتماعية و الاخلاقية العامة .
و لنبدء اولا بما كتبة سعد عاشور
"اخيرا وجدتك
دائما ما كان قلبي يحدثني ان صدفه ما ستحدث لي تخص الدكتور مندور وها هي.
منذ الطفوله كان ابي يقص علينا مواقف منها الطريف ومنها مواقف محفوره بداخله لا ينسها وكنا دائما نطلب منه اعده قص المواقف ليس **فقط** لاسلبه في الالقاء و لن كنا نشعر اننا نعيش الحدث معه.
ففي فتره الستينات اقيل والدي من عمله هو واخرين من الصحف ،فوجئ والدي بمن يدق عليه جرز الباب ليخبره ان الدكتور مندور ومعه السيده الوالده بالخارج وكنا نسكن في الطابق الخامس، نزل مهرولا لاستقبال استاذه العزيز في زيارته المفاجئه ،وإذ بسياره الدكتور محمله بأشوله البقول وجميع انواع اللحوم المذبوحه في حينه وشيك باسم والدي لم يكتب فيه المبلغ و باحضان اختلطت بالدموع شكر والدي الدكتور وطمأنه علي وضعه المادي واصر الدكتور ان يقبل والدي علي الاقل واجب الزياره التي اتي بها .
هذا مختصر موقف محفور بداخلي منذ الصغر وكأني كنت حاضرا فيه فلا تتعجب عندما بدأت بكلمه اخيرا وجدتك "
لماذا فعل ابى ذلك ؟ لقد فعل ذلك لشعورة بانها مسؤليتة ان يدعم ابنة وصديقة كما دعمة اباء **فى ظروف مماثلة .، فلقد فصل والدى كذلك فى** الاربعينيات من عملة حين كان مديرا لتحرير جريدة المصرى لتمسكة بحقة فى التعبير عن راية ودخلت الاسرة فى ازمة مادية طاحنة حيث لم يكن لة مصدرا اخر للدخل ، وطلب منة ان يعتذر كى يعود الى عملة ، و هو ما لم يحدث.
وتدخل جدودى ، فاتاح لة جدى القاهرى ، احمد امين ، ان يكتب ، بالقطعة ، فى جريدتة الشهرية ، و هى المقالات التى جمعت لاحقا فى كتابة البديع نماذج بشرية ، و تدخل كذلك جدى البيولوجى ، فكان يأتى من الكفر محملا بمثل ما حملة ابى لابنة نعمان بالضبط ، وكان يرفض رفضا باتا ان ياكل مما احضرة برغم تعب السفر و الحاح امى ,
هل نستطيع ان نجد بعض مثلما وجدوا بعضهم ؟



فى ذكرى رجل عظيم

لن اتحدث عنة فهو يستطيع ان يتحدث عن نفسة و لكنى ساقص عليكم ما كتبة رجال كبار السن عنة فى تعليقهم على ما كتبة سامح جميل عنة
"1958 رن جرس الباب فقام طفل صغير بفتح الباب ووجد امامة رجلا كبير السن متوسط الطول مابقى من شعرة كامل البياض ، شديد اللطف و التهذيب ومبتسما ،فسال الرجل الكبير ، بابا موجود ، فرد الطفل لا ، فناول الرجل الكبير الطفل كتابا وقال لة ، دة علشان ليلى (اختة الكبيرة) ، فنظر الطفل الى الكتاب وقراء الاسم والصورة على الكتاب ، سلامة موسى ، وتواردت خواطر الطفل ، هو انت بقة اللى ليلى بتقراء لى كتبة المدهشة.
1959 **الصحف** تعلن وفاة سلامة موسى ويعم الحزن منزل عائلة الطفل ويكون هو نفسة اكثرهم حزنا ، اللة يرحمة كما ساهم فى تربيتى - **خالد مندور**"

" صديق أبي الوحيد الذي يتعامل معي بصفتي ويحدثني بإسمي ولا يحدثني كالآخرين (ازيك يا حبيبي ..شاطر في المدرسة زي بابا) بل كان يحدثني ويقول لي إزيك يا طارق وينتظر الرد ويبدأ حوارا لا أتذكر منه شئ غير تعجبي من نفسي كوني أحدثه دون تحفظ كما لو كنت أحادث نفسي من شدة بساطته وطبيعيته وعدم إفتعال الترقق في الحديث مع الأطفال...... إنه سلامة موسي وكان أول إنسان أحبه وأعلم بعد قليل أنه (مات) وعرفت من يومها معني الموت **طارق مندور** "



شعر العامية و السياسة و افاق المستقبل

يبدو ان شيطان الشعر ينادينى فهو نداهة اليوم فبعد ان كتبت عن شعر الفصحى الحت النداهة على ان اكتب عن شعر العامية ، ولانة مكتوب بلغة الناس اليومية فهو اوسع انتشارا بين مختلف الطبقات الاجتماعية و اسهل و اقرب ان يستخدم للاغراض السياسية سواء بشكل مباشر ام **فى الاغانى الملحنة** .

ساتحدث عن ثلاثة من شعراء العامية الذين يمثلون ما اريد ان اتحدث عنة .

اولهم هو صلاح جاهين الاب الثانى لشعر العامية مع فواد حداد ، لقد كتب جاهين شعرا يخلب الالباب ، و كتب كتثيرا شعرا سياسيا الى مستوى انة اصبح فى مقام شاعر الصعود الناصرى وغنى هذا الشعر كبار المغنين و على راسهم عبد الحليم حافظ ، ولكن معظم هذا الشعر السياسى اصبح جزءا من التاريخ السياسى و الادبى و دخل الى الذاكرة التاريخية و لا يمكن استدعائة من جديد لارتباطة بالمعارك السياسية للنظام و ليس بحركة الجماهير و برغم ذلك فان بعضة القليل سيبقى حيا لارتباطة بالشعور الشعبى العام ، فى اى زمان ، مثل الاغنية البديعة " **بلاحضان** " . ما سيبقى فعلا من جاهين ، من الناحية الاساسية ، هو شعرة المعبر عن روح الانسان وا حلامة و على راسها الرباعيات وهو الشعر **الاعمق و الارفع مستوى**.

وثانيهما هو احمد فؤاد نجم ، الذى ارتبط مباشرة بالحركة الجماهيرية منذ ان بدء يكتب ، ومعظم ما كتبة هو شعرا سياسيا ، و الكثير من هذا الشعر ، برغم روعتة ، سيدخل ايضا الى الذاكرة التاريخية ولكن سيتم استدعاء بعضة كلما نشططت الحركة الجماهيرية مثل ما حدث فى يناير 2011 و فى اعقابها مباشرة و سيتم استدعائة من جديد كلما حان الحين.

وثالثهما هو سيد حجاب الاعلى ثقافة ووعيا و صاحب الموهبة العظمى ، و برغم ان كتابتة الشعرية السياسية المباشرة محدودة ولان ما كتبة يعبر عن الاحلام الانسانية الكبرى و بعيدا عن مباشرة جاهين و احمد فؤاد نجم فى شعرهم السياسى ، فسيبقى شعرة حيا لزمان طويل و لن يدخل الى ذاكرة التاريخ بالمعنى المقصود هنا.

فتحية من القلب لشعراء الامة من غاوى للشعر





الشعر و السياسة

كثيرا ما يدور النقاش و المقارنة بين الشعراء بالاستناد الى مواقفهم السياسية المباشرة و هى طريقة ظالمة للشعر و للسياسة معا ، او على وجهة الدقة للشعراء و السياسين معا . فليس مطلوبا من الشاعر ان يقوم بدور سياسى مباشر و بالقطع لا يستطيع السياسى ان يصبح شاعرا بارادتة ، وقليلا ما يجتمع الاثنين معا و حتى اذا اجتمع الاثنين ففى الغالب يطغى احدهم على الاخر ويصبح التعبير الشعرى هو و سيلة الشاعر للتعبير السياسى و كثيرا ما يؤثر ذلك على مستوى الشعر الناتج.
اكتب هذا بمناسبة النقاش الدائر حول صلاح عبد الصبور و امل دنقل ، فصلاح عبد الصبور احد اكبر شعراء الفصحى فى بلادنا و البلاد العربية تعرض لظلم معنوى هائل حين طالبوة ان يكون مناضلا سياسيا و هو ليس كذلك و خصوصا فى ذلك الزمان الصعب . لقد كتب شعرا سيبقى للابد مدافعا عن المستقبل و عن انسانية الانسان ، وهو ما سيبقى منة و لة و لنا.
امل دنقل نفسة لم يكن مناضلا سياسيا بل شاعرا عظيما و كان يحلس على قهوة ريش عندما اعتصم الطلاب فى ميدان التحرير سنة 1972 فكتب القصيدة البديعة الكعكة الحجرية .
الاثنين معا دافعوا عن المستقبل و قدموا حلم الغد و لكن بتعبير شعرى مختلف و لكن المضمون واحد و لذلك سيبقى شعرهم الى الابد و الحمد للة انهم لم يمارسوا السياسة بشكل مباشر و الا كنا فقدنا شعرا عظيما.



البرغوث و الاستهتار والسلفية

اية دة ؟ الراجل اتجنن ! ما هي العلاقة بين البرغوث و الاستهتار او كمان السلفية ؟ سأحكى لكم
فى القرن الثامن عشر ، كان هناك بائعا هولانديا للثياب ،اسمه ليفنهوك ، وكان يهوى نحت العدسات ، لهوايته الخاصة ، وكلما نحت عدسة كان يختبرها و يحاول ان يرى بها اصغر الاشياء ، لأنه كان شديد الفضول و عالى المثابرة ، اى لم يكن مستهترا، لان الاستهتار ضرب من اليأس ، وهى حالة نفسية ، كما وصفه أحد كبار مثقفينا ، الذى ربانى صغيرا، فلقد استمر فى نحت عدسات اكثر تكبيرا ، الى ان استطاع ان يكون الانسان الاول الذى يرى رجل البرغوث ، ولم يكتف بذلك ، بل استمر فى نحت عدسات جديدة أكثر دقة ، ويالا هول ما رأى ، الكائنات الدقيقة ، اى الميكروبات .
ولأنه لم يكن مستهترا ، فلقد تابع نحت العدسات و إجراء التجارب على كائناته الدقيقة ، حيث اكتشف الكثير من الحقائق حولها و نال عضوية الجمعية الملكية البريطانية ، أكبر هيئة علمية عالمية فى ذلك الزمان.
وبرحيله ، اختفت كائناته الدقيقة من الذاكرة العمومية للبشرية ، لأن مستوى التقدم العلمى والاجتماعى لم يكن قد نضج بعد كى يدرك النتائج البعيدة المدى للكائنات الدقيقة ، سواء على صعيد الصحة العامة ام فى الصناعة.
وبعد ما يقرب من قرن آخر ، أى فى القرن التاسع عشر، بعد أن نضجت الظروف العلمية والاجتماعية ، بذخ على ظهر البرية ، كيميائى ، لا يعرف اليأس له سبيلا ، أي لم يكن مستهترا ، ولم يستهلك وقته فى شرح او تفنيد او حتى تاييد اكتشافات ليفنهوك ، اى لم يكن سلفيا بليدا ، بل شمر عن ساعديه فى غرفة معملة المظلمة ، تحت سلم منزله ، وشرع في العمل يدفعه شوق مجنون للعلم ولخدمة البشرية.

ويصبح الانسان الاول الذى يكتشف ان الكائنات الدقيقة تضر وتنفع، وينطلق كما الاعصار لمعالجة مشاكل صناعة النبيذ وانتاج الحرير و معالجة امراض الابقار وحفظ الاطعمة ، ويخوض معارك علمية كبرى ضد السلفيين العلميين ، ويكتمل انتصاره العلمى حين ينجح فى معالجة اثنى عشر من الفلاحين الروس عقرهم ذئب مسعور ، جاءوا عبر أوروبا صارخين باسمة ، عندما علموا أنه قد أنقذ طفلا فرنسيا عقرة كلب مسعور ، للمرة الأولى فى تاريخ البشرية..

وتنهال عليه التبرعات من كل مكان ، من الملوك و الفقراء والأمراء ، حيث يستخدمها فى انشاء المعهد العلمى الكبير ، معهد باستير فى باريس ، الذى مازال يخدم البشرية حتى الآن.

وبرغم أن السلفية او الاستهتار ، اى الحالة النفسية اليائسة، لا يمكن لها ان تسود على الصعيد العلمى ،لانها تتناقض مع الضرورات الاجتماعية المرتبطة بالإنتاج ، اى بالمصالح الطبقية ، فإنهما من الممكن ان يسودا على صعيد الأفكار الاجتماعية لفترات من الزمن يترتب عليها نتائج اجتماعية و خيمة.

اكتب هذا لاننى أثناء جهدي المتواضع لاختيار بعض الكتب لاقدمها لمكتبة النت قد اكتشفت ، أو أعدت اكتشاف ، سيادة السلفية و الاستهتار على صعيد الأفكار الاجتماعية والادبية داخل كل التيارات الفكرية ، بلا استثناء ، إلى مستوى شديد الازعاج ، وهو الأمر الذى يسود كذلك داخل معظم التيارات الاجتماعية والسياسية فى بلادنا ، برغم الاستثناءات.

أما آن لنا أن نرى رجل البرغوث ؟!



هل انت عبيط ؟

د .محمد مندور ينهى كتابته عن عبيط ديستويفسكي في كتابه نماذج بشرية ، فيقول

"والآن ماذا يرى القارىء ؟ اهو عبيط حقا ؟ ولك أن تراجع كل أقواله فلن ترى فيها غير الصدق . وقد تقول : ولكن الرجل عبيط عبيط ما فى ذلك ريب . فهو لايعرف اين يضع نفسه ولا يقدر نفسية من يخاطبه ولا يفطن الى ما فى ردود الخادم من وقاحة متصاعدة ، وهو أخيرا لا يعرف ان ما كل حق يقال ، وإذا قيل فما ينبغي أن يقال لكل إنسان وما الى ذلك من حكمنا الثمينة ! قد تقول هذا وخير من كل هذا ، و اما انا فاعتقد ان عقولنا نحن هى الفاسدة و ان حياتنا الاجتماعية قد خربت نفوسنا . لقد كانت من القسوة بحيث خلقت أرواح عبيد و ارواح سادة. وكانت من الالتواء بحيث جعلت حياتنا كلها نفاقا متصلا واتخذت من هذا النفاق قانونا صارما يصيبنا من عدم احترامه اكبر الاذى ، واصبحنا جميعا نتسائل عن سر عبط هذا الامير بدلا من أن نتساءل عن سر فسادنا نحن خدما وسادة."

فهل انت عبيط ؟ انا عبيط !!

ولى شرف ان تكون عبيطا مثل عبيط ديستويفسكى ، اى ان تكون اكثر انسانية و تسامحا والاتكون عبدا لاحد ، ولا تخضع للقيم الاجتماعية الفاسدة ولا تقيم لها وزنا حتى ولو اتهمك الخاضعون لها بانك عبيط ، هكذا شرح محمد مندور عبيط ديستويفسكى وهكذا اطمح ان اكون عبيطا ديستويفسكيا اذا لم اكن فعليا كذلك ، احاول منذ زمن بعيد ان اكون عبيطا !!



القاهرة و المثقفين

تابعت النقاش الدائر في عدد الاهرام الاسبوعى فى ذكرى صلاح عيسى ، بين كل من أمينة النقاش والسماح عبد الله ، حول جريدة القاهرة ،فى ثوبها القديم برئاسة غالى شكرى ثم فى ثوبها الجديد برئاسة صلاح عيسى ، وشعرت بالاسى الشديد من متابع مستقل ليس لة اى علاقة شخصية او علاقة عمل مع اى من الاطراف المتناقشة. بالنسبة لى ، لقد فقدت مجلة القاهرة القديمة بمرض غالى شكرى والتى كنت اتابعا بانتظام و برغم ذلك كنت اتابع القاهرة الجديدة ولكن بدون نفس الشغف القديم .
لقد كان الانطباع الذى خرجت بة ان المسؤلون فى وزارة الثقافة قد تبنوا منطقا جديدا للقاهرة و بحثوا عن من يتوافق مع رؤيتهم ، وهو نفس ما حدث فى مجلة الكاتب بعد استبدال احمد عباس صالح ، نتيجة لعدم الرضا عن توجهاتة ، بصلاح عبد الصبور وتعرض صلاح عبد الصبور لهجوم ساحق من المثقفين لا يخلو من الاغراض.
ايها السادة المختلفون و المتصارعون حتى على الزمن الماضى ، اما ان لكم ان تتصارعو مع من يقهركم بديلا عن صراعكم معا و هو يضحك فى كمة .
الهدف ان تدار امور الثقافة و النشر و الانفاق الحكومى ، الذى يجب ان يتزايد الى اضعافة اذا كنا ننوى مقاومة الارهاب ، بشكل ديمقراطى من المثقفين انفسهم ، فتوقفوا عن مثل هذا النقاش الضار و قوموا بواجبكم ايها المثقفون .



الروح الأنسانية

هل تستطيع ان تحافظ على روحك الانسانية وان تحتفظ بقدرتك على ان تكون انسانا وباحترامك لنفسك كإنسان ؟ نعم تستطيع اذا كنت غير منخرطا فى النشاط العام لان خيارتك لتحقيق ذلك تبقى ، فى النهاية ، خيارات غير مهددة لحياتك او حياة احبائك و يمكن تعويض خسائرها ، طال الزمن او قصر ، اما اذا كنت منخرطا فى النشاط العام فالأمر مختلف فى بلاد مثل بلادنا ، فى معظم تاريخنا الحديث ، فالخيارات تكون حدية

، و الكثير منها يتضمن تهديدا خطيرا ليس فقط لحياتك بل ايضا لحياة من تحب ، ولا مخرج منها ، اذا كنت تريد ان تظل انسانا، الا ان تكون جزءا من عمل جماعى اكبر يتضمن ، ضمن آلياته ، مساعدتك فى ان تكون انسانا.
اكتب هذا بمناسبة نقاش قصير دار مع صديق مثقف متخفي في صورة صعيدى من ابنوب بخفة دمه وانسانيته حول اثنين من كبار مثقفينا .
لقد رأيت كيف سحقت روح بعض كبار مثقفينا من الجيل السابق وكيف كانت عذاباتهم التى امتدت الى نهاية حياتهم ، ولكننى كنت محظوظا ايضا فى ان اتعلم درسا بليغا من ابى فى كيف يجب ان نتعامل معهم ، فلا زلت اتذكر كيف كنت اشعر "بوجع القلب " و انا طفلا صغيرا كلما كنت ارى احدهم ، فرحمة بالجميع .



زمن حاتم زهران و الدراما الإنسانية

زمن حاتم زهران فيلم للمبدع الكبير نور الشريف ، ظهر فيه وغد زنيم باسم حاتم زهران سنة 1987، ولكم ان تتخيلوا حجم التأثير النفسى الذى تركه فى نفوس المشاهدين اداء هذا الممثل العبقرى ، هذا التأثير النفسي الذى اعرفه جيدا ، واعرف كيف يمكن أن يؤثر فى نفوس المشاهدين ، وهو ما حدث معى عندما توقفت عن مشاهدة اى فيلم أو سماع اي اغنية لهدى سلطان بعد فيلمها الشهير ، امرأة على الطريق ، لسنوات طوال امتدت الى ان بدأت فى الظهور فى المسلسلات التليفزيونية فأزال أدائها العبقرى الحاجز النفسي الذى كان ادائها العبقرى نفسه قد أقامه بعد فيلمها الشهير.
ويشاء الحظ العاثر لمثقف وطنى ان يكون اسمه حاتم زهران ، ولكم أن تتخيلوا حجم ما قد تعرض لة نتيجة لتطابق الاسماء ، حيث لم تكن هذه المرة الأولى ، لأن هذا الاسم نفسه يحمله شخص آخر في الواقع ، قام بدور مشبوهة ، فى القضية الشهيرة سنة 1977 ، حين شهد ضد معظم مثقفي الأمة المتهمين فى هذة القضية ، و التى انتهت لصالحهم ، الى الحد الذى دفع هيئة المحكمة ، فى حيثيات الحكم ، إلى وصفة بخرب الذمة و معدوم الضمير .
فيا حاتم يازهران تحية لك ، نحن نعرفك ، ونعرف انك لست خرب الذمة او معدوم الضمير او وغد زنيم ، و نقدر تقديرا كبيرا ما تعرضت لة ، فأهلا بحاتم زهران !
انظروا الى صورة حاتم زهران الوطنى الشريف



عزيزة اللذيذة

شايفين الست البديعة اللى فى الصورة ، امى الثانية ، عزيزة عبد العزيز ، كبيرة مفتشى اللغة الانجليزية فى وزارة التربية و التعليم **سابقا ، مع** ايمان (ايمى) بنت اخى الشهيد عميد اركان حرب ماجد مندور، من زمان .
صاحبة قلب من ذهب وود عميق نابع من اعماق قلبها ، كانت امى اصغر اخواتها و امى الثانية رقم اثنين من بين خمسة اخوات و اخوة و برغم ذلك كانت تجمعهما صداقة عميقة ، لم ترزق باطفال من زوجها الودود اللطيف الحكيم و المثقف ، عمى و صديق ابى ، وصديق كل اطفال العائلة ، محمود مرسى راشد ، عميد كلية الالسن ، فى ذلك الزمان.
كانت الوجة الاول اللذى رايتة على وش الدنيا ، فلقد تلقفتنى فى الفوطة عندما وصلت و كادت ان تسقطنى الى الارض لان وضع يديها كان **مفتوحا اكثر** من اللازم فتلقفتنى بفستانها.
عندما سافر ابى وامى الى الخارج لاجراء عملية خطيرة بالمخ لازالة ورم حميد بالغدة النخامية اقاما معنا ، نحن الخمسة ، و توليا المسؤلية بود وصبرو حنية بالغيين .
و بعدها بسنوات اصيب ابى بالازمة القلبية امام عينى ، انا الشاب الصغير جدا ، و انهارت امى و اختى الكبرى ، و برغم ذلك لم ابكى ، انا العيوطة ، بل توليت المسؤلية ، و طلبت الاسعاف و تعاملت معهم لكن القضاء كان قد نفذ ، و خابرت اقاربى الاخريين ، وامتلاء المنزل **بالناس** وبرغم ذلك لم ابكى ، الا ان حضرا ، فانفجر شلال البكاء، و يبدو انة لم يتوقف منذ ذلك الزمان البعيد.
لم تطلب منى ابدا اى طلب ، برغم انها تعلم انها لو طلبت لبن العصفور ساقاتل كى احضرة ، ما عدا طلبا وحيدا ، ورد ، و احضرتة.
عاشت بعد امى سنوات قلائل وطلبت ان نتذكرها طالما نحن احياء .



انا وهو

توفى عندما كنت شابا صغير السن ، اى فى سن السابعة عشر، وبرغم ذلك كنت أتابع مقالاته بانتظام شديد ، الى مستوى اننى كنت اتسلل لاستمع إليه وهو يمليها ، فلقد قد كان يفضل ذلك ، وهو يدخن ويذهب ايابا و عودة فى غرفة المكتب ، وكنت اعيد قرائتها بالانتظار فى الشرفة لا تلقى كل الجرائد التى يلقيها البائع و اقرا المقال قبل أن ينتبه ويسأل عنها فاسلمها الية ، وكنت اتسلل ايضا واقبع فى كورنر صغير عندما يحضر اصدقائه او تلاميذه لأستمع فى هدوء بالغ.

وبوفاته أصبت بخسارة فادحة فلم افقد فقط الاهتمام والدلع ، كان بيدلعنى برغم احتجاج امى الدائم، خسارة نفسية وانسانية وثقافية فادحة ، وبرغم تطور علاقتى بأمى تطورا كبيرا الى مستوى الصداقة المتينة الا انها لم تستطع تعويضى عما فقدتة، الا تعويضا جزئيا.

ولسخرية التاريخ ، تاريخ بلادنا ، فبعد هزيمة 67 وبعد نشر كتاباتة السياسية فى الاربعينيات بداءت فى التعرف على ما كان يتبى و يكافح من اجلة سياسيا واجتماعيا، ولكنها جاءت متاخرة حيث كنت قد انتقلت لتبنى مواقف اكثر راديكالية فكريا وسياسيا ، وكنت اعتقد ، فى ذلك الزمان ،ان ما كتبة اصبح جزء من التاريخ السياسى الاجتماعى والادبى لبلادنا وان علينا ان ننظر الى المستقبل و ليس الى الماضى.

ويدور الزمان وتتغير الاحوال وتعود نفس المهام و اكثر منها ، وكاننا ما زلنا ، ليس فقط فى الاربعينيات ، بل قبل ذلك بكثير.

وبرغم اننى على الصعيد الفكرى مازلت اكثر راديكالية منة الا انني ادرك اننا نواجهة نفس المهام التى واجهها الجدود و الاباء ، جهود تحقيق النهضة و الاستقلال و التى لا يمكن تحقيقهما الا بجهد تنويرى عميق وشامل و بدون ميوعة او مساومة، وقبل و فوق هذا بدون ضييق افق حلقى او شللى او حزبى سياسى او حتى مزاجى.

لقد كتبت سابقا اطالب ان نستدعى مدفعيتنا الثقيلة من مخازنها وان نستخدمها ، نستدعى البارودى و محمد عبدة و السربونى وطة حسين وشبلى شميل وسلامة موسى و عبد الرازق وغيرهم وجيل الآباء محمد وعبد العظيم انيس و العالم وشهدى ومحمد مندور ولويس عوض وفوزى جرجس و عبد الصبور و غيرهم بما يفتح المجال اما اجيال الستينات و السبيعينيات الى اجيال الابناء ، وان نقبل الاختلاف و الخلاف بروح تدرك عمق وخطورة المهمة الثقيلة ، وعلى الراديكالية الفكرية ان تدرك الضرورة الملحة للجهد التنويري المطلوب ، فلا راديكالية اكبر او اعمق من مما أدعو إليه.



فجر الضمير والفخر القومى

فى كتابه البديع ، فجر الضمير ، اوضح عالم المصريات الأمريكى الشهير ، جيمس هنرى برستد ، فى الثلاثينيات ، حين أصدر كتابه الشهير ، أن الضمير الانسانى هو اختراع مصرى فرعونى اصيل ، وأن القيم الإنسانية المكتشفة و المتبناة ، اجتماعيا ، أصبحت ليس فقط الضمير الانسانى المصرى العام ، بل أثرت ، لاحقا ، فى المعتقدات الإنسانية العامة بأشكال مختلفة.

وبرغم أن اكتشاف برستد فكرة خلابة وتدعو الى الفخر القومى ، وخصوصا ان المصريين ، كل المصريين ، يرضعوا هذا الفخر بالتاريخ ، مع الرضعة الأولى لهم على وش الدنيا ، الا اننى اعتقد انها غير دقيقة لأسباب سأوضحها.

فالضمير الانسانى هو ، باختصار ، مجموعة من القيم و القواعد و النواهى تضمن ، باتباعها ، استمرار المجتمع ، وهي لذلك ، بالضرورة ، شيء متغير بتغير طبيعة المجتمعات وتطورها ، لكنها تصعد من مستوى الى مستوى اخر محتفظة بالكثير من محتواها الاول بعد تطوير محتواه بما يتناسب مع طبيعة المجتمع الجديد.

الضمير الانسانى ، بالضرورة ، نشاء عندما تجمع الإنسان فى مجموعات لمواجهة الطبيعة ونشاءت قواعد اخلاقية تضمن استمرار المجتمع الذى لم يكن يحقق فائضا اجتماعيا يسمح بنشوء الملكية الخاصة.
ولذلك من حق المصريين ان يشعروا بالفخر ، ليس لانهم من " اخترع الضمير " ، بل لأنهم من أوائل الشعوب التي كتبتة و قدمته الى الانسانية ، تعبيرا عن مجتمع سابق في التطور، مجتمع زراعى متطور تحمى تطورة عوامل جغرافية لمئات ان لم يكن آلاف السنين ، ضمير يعكس مستوى تطورهم الاقتصادى و الاجتماعى .
وبصرف النظر عن دراسات علماء الاجتماع والسياسة عن بقايا المجتمعات البدائية فى امريكا الشمالية ،فان السينما الامريكية قدمت افلام هامة توضح الضمير الإنساني لهذه القبائل فى مواجهة التوسع الرأسمالى العاتى ، ومنها فيلم "العسكرى الازرق" و فيلم " رقص مع الذئاب" ، وهما يوضحان الفرق بين الضمير الانسانى لقبائل مازالت فى مرحلة البداءة ، مرحلة ما قبل الملكية الخاصة ، والضمير الانسانى لمجتمع رأسمالي فى فترة النهوض.
ولذلك يحلم الحالمون بمجتمع ذو ضمير متطور يعكس ما بلغته الإنسانية من تطور انتاجى و علمى عظيمين !!



طه حسين و الثقافة اليونانية

شروط تبدو غريبة تلك التي وضعها طه حسين للطلبة المصريين الذين أرسلتهم الجامعة للحصول على الدكتوراه فى الآداب من فرنسا فى بدايات ارسال البعثات الحكومية ، فى بداية الثلاثينات ، حيث وضع شروطا للطلاب بضرورة الحصول على ليسانس السوربون ثم دبلوم عالى فى اليونانى ، من ضمن مطالب أخرى، تتجاوز بكثير مطالب السوربون للسماح بالتقدم للحصول على الدكتوراة .
هذه المطالب والشروط لا يمكن فهمها إلا بإدراك ان هذا الرائد الكبير لم يكن يرسل البعثات للحصول على الدكتوراة ، بل لإعداد كادر مثقف ثقافة حقيقية يساهم فى جهود النهضة الشاملة ، وكان مطلب دراسة اليونانية وآدابها مدخلا لازما لفهم و استيعاب الحضارة الحديثة لما قدمتة من انجازات على صعيد الفلسفة والأدب بل و العلوم وعلى تطوير الضمير الإنساني، والتى اصبحت الاساس الذى بنيت عليه الحضارة الحديثة.
وفى اعتقادى أنه كان مصيبا ، وخصوصا اذا اضيف الى هذا التوجهة ما قام بة، هو وزملائه، من تقديم الحضارة الفرعونية وإعادة دراسة وتقديم التاريخ الاسلامى و الادب العربى القديم وفق منهج ومنظور جديدين يستجيب لاحتياجات النهضة المستهدفة.
اكتب هذا استجابة لملاحظة صغيرة حول دعوتى لاستدعاء أسلحتنا الثقيلة من مخازنها ، اسلحتنا الثقافية المتمثلة فى إنتاج الآباء و الجدود ، حين علق أحد الأصدقاء بقوله إن إنتاج حاضرنا يتجاوز ما انتجة الجدود والآباء فى نقد التراث ، وهو ما اصابنى بالفزع برغم ان تعليقةقد يكون صحيحا جزئيا ، وذلك لأن الحضارة الحديثة لا يمكن فهمها الا باستيعاب اصولها ، اى كل الانجازات البشرية السابقة لها .، والكثير من الإنتاج الإنساني القديم مازال يحتفظ بنضارته الانسانية و قدرته على التعبير عن الاحلام الإنسانية الكبرى ، فمن منا لا تجذبه الالياذة والاوديسة او شعر الشعراء العرب قبل وبعد الرسالة ، او الفتنة الكبرى لطه حسين او دراسات احمد امين عن التطور العقلى للعرب او كتب سليم حسن عن الحضارة الفرعونية برغم تجاوز أساليب التعبير او النظم واختلافهما اختلافا كبيرا عن أساليب عصرنا.

تبقى ملاحظة صغيرة تبدو خارجة عن السياق ، فلقد فهم التلميذ البكرلطة حسين جوهر أهدافه واستجابت طبيعتة المتمردة لتمرد طة حسين نفسة ، فتمرد علية ، وانطلق يدرس ما لم يطلبة طة حسين ، فدرس وحصل على دبلوم عالى فى القانون و الاقتصاد و دبلوم عالى فى تاريخ العمارة و دبلوم عالى فى علم صوتيات الشعر العربى بالاضافة لليسانس السربون و دبلوم اليونانى ، كل هذا تحضيرا للزمن القادم !!
فهل نحن قادرون و راغبون فى التحضير للزمن القادم ؟ ارجو ذلك .
الصورلهوميروس وسقراط



التنوير وتربية الذوق والفنون الجميلة

"يخطئ كثير من الناس عندما يظنون أن قيمة المرء او قيمة الشعوب تقدر بمقدار ثقافتها العقلية ،وذلك لاننا لو تدبرنا الأمر لوجدنا ان تاثير العقل على سلوكنا فى الحياة ونجاحنا فى المجتمع تاثير محدود ، وعلى العكس من ذلك قوانا الشعورية العاطفية ، فهي فى الحقيقة محركنا الأول فى الحياة .
والذوق وثيق الصلة بحياتنا العاطفية ،لان الاحساس الرقيق لابد ان يولد ذوقا رقيقا.ومن هنا يرى كثير من العلماء ان حضارة الأمم تقاس بمقدار اهتمامها بالفنون الجميلة."
هكذا كتب د.محمد مندور فى جريدة البعث سنة 1946 وهو ينشر صورا من الفن العالمى و يعلق عليها ، ويبدوا أنه كان مهموما بقضايا التنوير نفس همنا الحالى !.
وبرغم انى اوافق على أن قوانا الشعورية العاطفية هى الدافع الظاهر للحركة الا أنها تتأثر ، فى علاقة جدلية ، بالثقافة العقلية ، وانة كلما تطورت الثقافة العقلية نضجت قوانا الشعورية و التى ، بالضرورة ، توثر من جديد فى ثقافتنا العقلية .
ولأن الابن يتأثر دائما بابية ، وخصوصا اذا كان محظوظا ، بوالد لة هذا النضج العقلى و القوى الشعورية العاطفية الناضجة المؤثرة ، سأقدم لكم صورتين لتمثالين من الفن العالمى القديم ، واحدة من اختيارة و الاخرى من اختيارى.
الاولى تمثال هرمس ، رسول الآلهة ، يستريح ، صنع من البرونز في القرن الرابع قبل الميلاد حيث تجد الرشاقة و الجمل و الاستعداد للحركة من جديد ، أو ليس هو الرسول الدائم الحركة !.
والآخر تمثال الملك خفرع ، من الأسرة الرابعة الفرعونية ، اى قبله بثلاثة آلاف عام ، صنع من حجر شديد الصلادة و الجمال ، خفرع فى حماية حورس ، حيث تجد الرسوخ والقوة و الاطمئنان الى المستقبل ، وهو ليس اختصارا للطابع الفنى للفن الفرعوني ، حيث تجد الرشاقة و الجمال و الرفاهة البالغة فى الرسومات الفرعونية .



اللى لة كبير ما ينضربش على بطنه

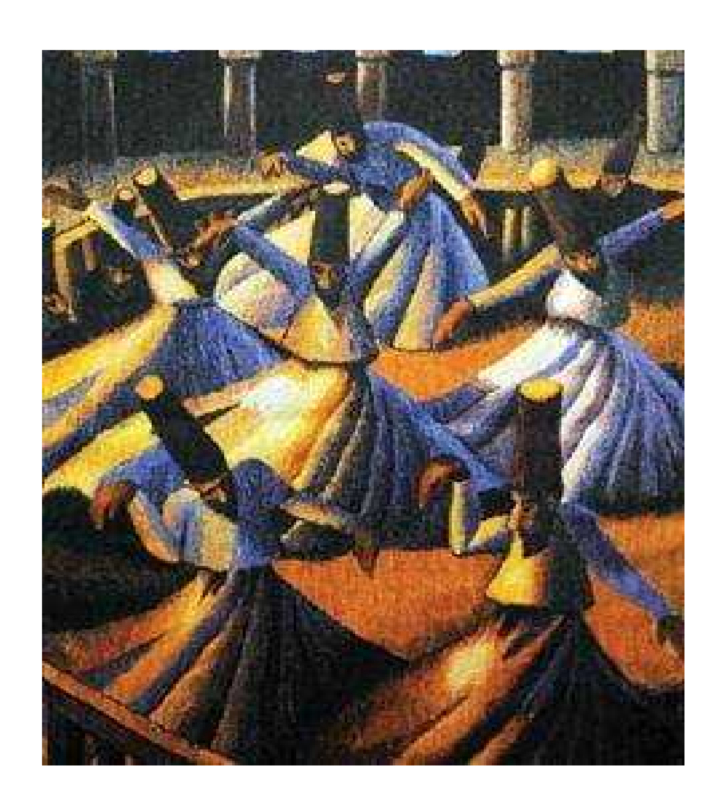
ما اقسى ان تكون انت الكبير ، حتى اذا لم يريد احدا شيء منك ، و يزيدها قسوة ان تشتاق الى كبيرك الذى رحل ، حتى و لو كنت لا تريد شيئا منه ، ولكنك تعرف أنه موجود ، تعرف ان الشهامة و الجدعنة و الانسانية والرجولة والسند النفسى خلف ظهرك اذا احتجت .
معلش شوية اكتئاب على الماشى ، هطق .



الدراويش ومحمود سعيد

يبدو ان الدروشة أصبحت سائدة الى مستوى انها اصبحت مرضا يصعب الخلاص منه ، دراويش الليبرالية واليسارية و البونابرتية والسلفية الدينية والفكرية ، الكل متمترس خلف تصوراته ، بحيث أصبح ليس فقط عاجزا عن رؤية الواقع فى تغييراته بل أيضا فريسة للنصابين الذين

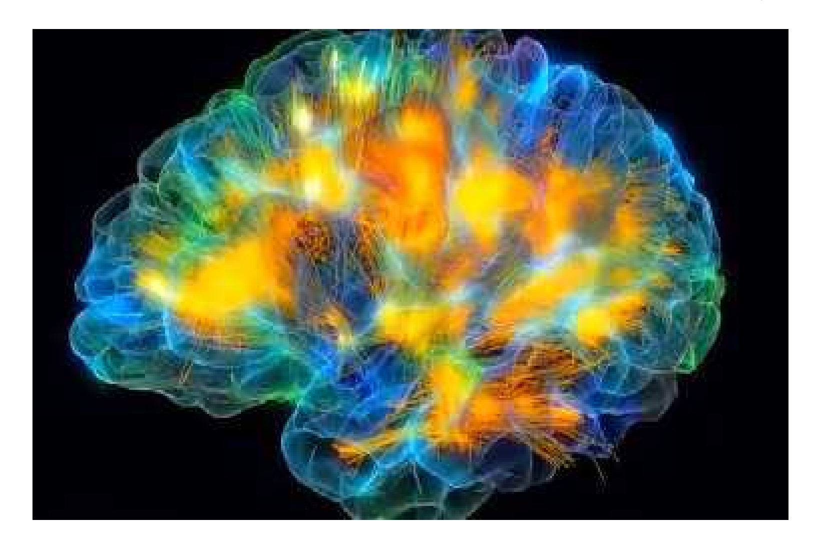
يروجون ، عن عمد ، لأكاذيب مستغلين هذه الدروشة و مستندين إلى معلومات مزورة أو ليست ذات علاقة .
والأمر الأكثر خطورة ، أن الكثير من القادرين على إنتاج فكري متميز قد خضعوا لهذا المناخ الدراويشى ، إما باستكمال دروشتهم او اتقاءا للضغوط أو حتى بحثا عن تقدير أدبي داخل التوجه المعين ، الأمر الذى قادنا الى مجموعات مغلقة لا تستطيع أن تتحاور أو أن تخرج عن نمط التفكير السائد داخل كل توجه ، وأصبح من الصعوبة بمكان أن يتم النقاش وتبادل للأفكار لأن هذا التبادل اصبح ، فى ظل سيادة الدروشة ، اعتداء على الذات أو خيانة للانتماء.
لقد أصبح لدينا مجموعات منغلقة ، حتى ولو كان توحدها على خطوط عامة ، وهي ظاهرة خطيرة على المستقبل إذا لم يتم التنبه لها ، لقد اصبح لدينا عشائر .
اللوحة لمحمود سعيد



الدماغ

فى العامية المصرية تستخدم كلمة " ده دماغ " للدلالة على عمق تفكير الشخص المعنى ، هذة الادمغة شديدة الاهمية لفهم الحاضر واستشراف آفاق المستقبل .
ولكن هذة الأدمغة لا تنشأ من فراغ ، بل هى نتاج اجتماعي ، اى انها نتيجة لحالة اجتماعية تحث البشر على التفكير والإبداع ، ولكن قدرة " الأدمغة " شديدة الارتباط بالمستوى الثقافى الاجتماعى العام وبالجهد الخاص " للدماغ " فى تطوير قدراته و الرغبة الاجتماعية العامة للتغيير ، ولو تأملنا فى تاريخنا الحديث لظهر ذلك بشكل ساطع ، ليس فقط على الصعيد الفكري بل أيضا على صعيد العلم ، فعندما كانت مصر تقاوم لنيل الاستقلال وتحقيق التقدم بقيادة طبقات اجتماعية جديدة تطمح للسيطرة على السلطة و السوق ، وجدنا " الأدمغة " تتكاثر ، وجدنا طه حسين واحمد امين وسلامة موسى و مصطفى مشرفة و غيرهم من الرواد ، الذين ساهموا مساهمة عظيمة فى إنتاج الجيل التالى من " الأدمغة ".
ويأتي جيل جديد من الادمغة ، جيل أصبح شديد الارتباط باستكمال محاولات النهضة والحالة الاجتماعية العامة الراغبة فى التغيير ، اخطأ و اصاب ،ولكنه قدم إنجازات كبرى.
ومع تعثر محاولات النهضة ، تقل الادمغة الجديدة ، ويصبح خسارة أحدها فادحا ، فالجيل الثالث ينقرض بحكم الطبيعة ، وتقل الأدمغة الجديدة الواعدة من الجيل الرابع.

انا لااتحدث هنا على توجهة سياسى او اجتماعى معين ، بل عن نتاج ثقافى اجتماعى عام وشامل يتضمن مختلف التوجهات الاجتماعية و الثقافية وحتى العلمية ، فيالها من كارثة.



عقلك وعقل طفلك

يخطىء الكثير من الكبار حين يستهينون بعقول اطفالهم ، بحكم ان الاطفال محدوى الخبرة الحياتية والنضج النفسى ومحدوى **الثقافة و العلم ،** ولكن العضوالوحيد فى جسم الانسان الذى يكتمل نموة بعد شهور قليلة من الولادة هو عقلة ، ولا يفقد ، مع مرور السنين ، الا جزء صغير **من** خلاياة ، لا يتجاوز 10% من عددها ، فى حين ان ما يستخدم فعليا خلال الحياة لايتجاوز حوالى 10% **من طاقتة ، للانسان العادى ، اما اذا نجح الانسان فى الوصول الا استخدام جزء اكبر من طاقتة ،** 15% مثلا ، فنحن نتحدث عن اينشتين .
ولذلك يتحمل المجتمع المخالط للطفل ، الاسرة و المدرسة ، مسؤلية جسيمة فى اعداد هذا الكائن الصغير البديع ، صاحب العقل المكتمل الخلايا ، لمواجهة المستقبل .
ولعل القراءة هى احد اهم الوسائل لتطوير امكانيات هذا الكائن الصغير الجميل ، ولكن ماذا يقراء ؟
هناك العديد من الكتب الذى يعتقد من كتبها انها ملائمة للاطفال وبعضها تبسيط للكثير من الادب العالمى المكتوب للكبار ، يفعلون هذا **فى الشرق** و الغرب ، فيتحول هذا الادب الى مجرد حكاية ويفقد الكثير من قيمتة ، وهناك ، ايضا ، الكثير من الكتب التى كتبت للاطفال متناسبة مع مختلف الاعمار ، مثل كتب كامل الكيلانى او كتب هانز كريستيان اندرسون.
وفى الحقيقة انة لايوجد مقياس محدد لما يستطيع الطفل ان يقراءة ، فالامر يختلف من طفل الى اخر ، تاثرا بالمناخ الثقافى العام المحيط بالطفل ، ولذلك يجب اتاحة الفرصة للطفل ان يقراء ما يستطيع ان يفهمة ، مهما كانت هذة الكتب مخصصة للكبار ام للصغار ، فالطفل هو الذى سيحدد لنفسة وبنفسة ما يريد ، بالقطع مع مساعدة من الكبار لاتصادر حقة فى الاختيار.، ومن **المحاولة و الخطأ** .
ولعل احد الخيارات ، التى لااتفق معها ، هو وضع الكتب المبسطة من الادب العالمى فى متناول الطفل ، وذلك لان هذة الكتب تختصر هذا **الادب** الى حدوتة وتفقد الكثير من قيمتها ، وتتراوح فى قيمتها الادبية مع امكانيات المختصر نفسة ، والاكثر اهمية ان الطفل ، مع تطور امكانياتة ، قد لا ينجذب الى قراءة الاعمال الاصلية لانة يعرف " الحكاية " فيفقد الكثير .
فلا تستهينوا بعقول اطفالكم !!

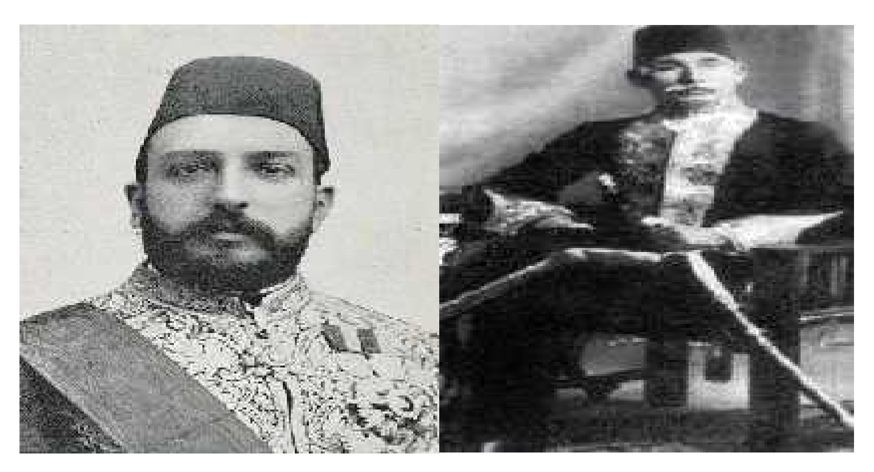


الاشرار والخونة

الشر والخيانة صفتان يتكرران كثيرا فى التاريخ ، يكرهها اى قارئ ، خصوصا اذا كان قويم الأخلاق حسن التربية ويزداد كرهه إذا كان رومانتيكيا ، فتتعالى إدانته الأخلاقية لأصحابها وتختفى الحقائق الجديرة بالتوقف عندها !!
ففى التاريخ لايتساقط الشر او الخيانة او كلاهما معا من السماء ، بل هما نتاج أوضاع اجتماعية وسياسية تهيئ المناخ اللازم لوجودهما ثم لتاثيرهما ، الفارق الوحيد هو فى طريقة الأداء ، أي أن الملكات الشخصية للشرير او الخائن ستؤثر فى النتائج من حيث طريقة و سرعة تحققها ولكنها لا تستطيع أن تخلق واقع جديد من العدم، فلا شيء يحدث خارج هذه الاوضاع او متجاوزا لها.
اكتب هذا مدفوعا بالعديد من النقاشات الدائرة منذ زمان بعيد ، ومازالت مستمرة ، حول الكثير من الشخوص التاريخية ، سواء بالنقد العنيف أو بالتأييد العاصف ، التآلية أو التخوين ، متجاهلة التغييرات الاجتماعية و السياسية الواجب التوقف عندها ، لأنها القادرة وحدها على تقديم التفسير الاكثر تماسكا للتغييرات التي تمت او حتى اثناء تحققها.
ومن الاهمية بمكان مراجعة التصورات السابقة ، وفق هذا المنطق ، مع التغييرات الجارية ، لتعديلها بحيث تكون أكثر اتساقا مع الواقع ، ليس للتمتع بها ، ولكن لاكتشاف آفاق تطور هذا الواقع والتناقضات المحيطة به.

الصور

إبراهيم الهلباوى ، المدعى العام فى قضية دنشواي ، لم يسامحه الشعب المصرى ابدا
الخديو توفيق ، توفيق يا وش القملة ، مين قالك تعمل دى العملة



" احنا اهوو "

"كلما اسمع كلمة الثقافة أتحسس مسدسي" - جوبلز

هكذا قال اللعين جوبلز ، وزير دعاية هتلر، للدلالة على الخطورة البالغة للثقافة و تأثيرها على البشر، فأحرق الكتب و طارد المثقفين ، فهل نستطيع إجبار أعداء الحياة على إدراك أن لدينا أسلحة ثقيلة ، أكثر فاعلية وأوسع مدى من قوات التدخل السريع والقوات الخاصة والسيارات

المدرعة ، نعم ايها السادة لدينا هذه الأسلحة، ولكننا لا نستخدمها بالكفاءة اللازمة فى معركة الحفاظ على الحياة وعلى مستقبل اولادنا.
لدينا دار الأوبرا و المسرح القومى و اروكسترا القاهرة السيمفونى والكنسرفتوار ومعهد البالية و فرقة ومعهد الموسيقى العربية ، لدينا الجمعية التاريخية والجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع وغيرها من الجمعيات العلمية والتاريخية ، لدينا دار الكتب ومكتبة الإسكندرية ودور النشر الحكومية ، فماذا ننتظر كى نشن هجوما شاملا على أعداء الحياة ، هجوما لا يبقى حجر على حجر ، نهجم عليهم بأم كلثوم وسيد درويش وطه حسين ، بالموسيقى العالمية و العربية ، بالمسرح و التاريخ و الكتب، بالبالية و الفن الشعبى،
نذهب الى الناس حيث يوجدون ، فى سوهاج وقنا واسيوط والبحيرة والشرقية ، ومن لا يذهب يعتبر هارب من الميدان ، يذهبون كى يساعدوا من هو موجود فعلا فى الخط الامامى و لا يجد من يساعده .
لقد قفزت من على الكنبة عندما رايت في منشور إحدى الصديقات خبرا بسيطا عن جمعية صغيرة فى جنوب القاهرة تحتفل بانتهاء عرض مسرحى للجمعية قام بة اطفال ومن إخراج مخرج مسرحى كان فى صغره منضما لهذا النشاط ، أي أن هذا النشاط الخلاب مستمر لمدة تتجاوز العشرون عاما ، فهل نستطيع أن نكون مثلهم ؟ هل نستطيع ان نقول " احنا اهوو" كما أطلقوا على عرضهم ، نعم نستطيع ، شرط توافر إرادة الدولة السياسية.



نداء من القلب ، الى كل حلوانى

نوتردام تحترق ، للاسف الشديد ، ولكن هل يمكن استعادتها ؟ نعم يمكن ، إذا كان قد تم توثيقها بشكل محترف ،لقد رأيت القصر الصيفي في سانت بطرسبرج فى روسيا بعد أن تمت استعادته بعد أن كان قد دمر تدميرا شاملا فى الحرب العالمية الثانية ، ليس فقط المباني بل ايضا الأثاث الى الحد انك لا تستطيع التفرقة بين القديم والجديد. لماذا اكتب هذا؟ ما لنا ومال نوتردام التي تحترق فى باريس ؟ خلاص انتهت مشاكلنا و نقاشاتنا حول تعديل الدستور كى نهتم بكنيسة تاريخية تحترق على بعد آلاف الكيلومترات فى بلد غريب ؟ اكتب هذا ليس فقط لان اى منتج أدبي أو ثقافي او جمالى هو جزء من تراث الإنسانية بصرف النظر عن مكان وجوده ولكن للفت الانظار الى الاهمية البالغة لتوثيق كل مبانينا الاثرية ، توثيقا علميا محترفا ، بما يمكن من استعادتها أو حتى ترويجها بشكل احترافى ، أتحدث عن أهمية استعادة قصر الجوهرة الذى احترق في سبعينات القرن الماضى، اتحدث عن إزالة يد القبح الشنيعة في وسط القاهرة بازالة مبنى انتظار السيارات الشديد القبح وإعادة بناء الأوبرا القديمة فى ميدان الأوبرا.
أن أى وزير للثقافة لا يستحق ان يبقى على كرسيه يوما واحدا ، كائنا من كان ، إذا لم يبدأ فورا في توثيق كل المباني التاريخية المسجلة ، ولا اتحدث عن صيانتها ، فهذه قصة اخرى.
أيها السادة "الحلوانى اللى بنى مصر" يتململ في قبره حزنا من عقوق أبنائه و غفلتهم .



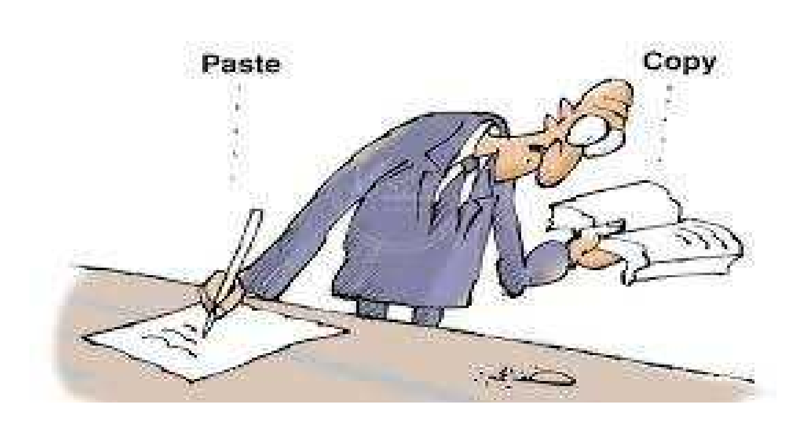
جوبلز و الكذب و الفيس بوك

ظاهرة لا تثير العجب ، فهي قصة قديمة منذ أن اخترعت أدوات الاتصال الحديثة ولكنها رفعت إلى مستوى النظرية على يد جوزيف جوبلز ، وزير دعاية هتلر الشهير، اكذب ثم اكذب وزيد إصرارا على الكذب ، ولكن عليك و أنت تفعل ذلك أن تراعى الميل النفسي للجمهور المستمع أو القارئ ، ولامانع من تدعيم ما تقول بمصادر لا تدفع القارئ إلى الشك في مصداقيتها ،رغم انها قد يكون مشكوك فى صدقها او نزاهتها أو حتى فى دقتها ، وياحبذا لو كنت تمتلك بعض المؤهلات العلمية التى تدعم التصور العام عنك و توحي بمزيد من الثقة ، ولأننى لست بريئا ، ودودة قراءة ، فان قرون الاستشعار تتحرك فورا عندما أتعثر بما يكتبون ، وابدء فى متابعته ، الى ان اتاكد ان ما يكتبون ليس مدفوعا بحسن النية ، بل هو كذب قارح واضح و فاجر ، وانا هنا لاتحدث عن ارائهم بل عن المعلومات التى يقدمونها لخدمة هذه الآراء ، فمن حق أى إنسان أن يتبنى ما يراه من آراء و لكن ليس من حقه أن يزور الحقائق او يخفيها لكي يقنعنا برأيه ، وخصوصا اذا كان يستطيع الحصول على المعلومات الصحيحة .
انا اتحدث هنا عن نمط معين موجود على الفيس، لا أعلق على ما يكتبونه الا نادرا و فى حالات خاصة جدا ، اى عندما اجد بين من يصدقهم أناسا لا شك فى استقامتهم ووطنيتهم و اخلاصهم ، فيتملكني الغضب فاعلق ، فعذرا لغضبي الذى لا يحدث كثيرا



نحن و التبعية

لا اقصد التبعية السياسية او الاقتصادية ، بل تبعية اشد واقصى واكثر خطورة ، التبعية الثقافية ، التى بدون التخلص منها لايوجد أمل حقيقى فى التقدم .
انا لا اتحدث عن تجاهل الانجازات الفكرية والثقافية والعلمية التي حققتها الشعوب الأخرى ، على العكس ، أدعو الى دراستها واستيعابها وهضمها طريقا وحيدا لاكتشاف طريقنا الخاص باستخدام احدث ما توصل اليه العلم الانسانى و خبرات الشعوب ، وهو ما لم نفعله بشكل حقيقي ممنهج منذ بداية محاولات النهضة ، قبل او بعد محمد على وحتى الآن.
وللاسف الشديد فان التبعية الثقافية قد عمت كل التيارات الفكرية الكبرى فى تاريخ بلادنا ، فنجد تيارات فكرية ليبرالية و نيوليبرالية على النمط الأوروبي ، وتيارات فكرية إصلاحية تختار ما تتبناه من مجتمعات الشمال الأوروبية أو من الأحزاب الاشتراكية الأوروبية ، وحركات يسارية تختلف على ما اختلفت عليه الحركات اليسارية الأوروبية منذ مائة عام ، اى ان كل هذه التيارات ، باختصار ، تغني على ليلاها بعيدا عن ليلاء الجماهير ثم تتباكى على عزلتها ، متجاهلة ، أن هذه التيارات الفكرية الأوروبية هى نتاج مرحلة تاريخية كاملة من التطور الاجتماعى الثقافى و أنها لم تتشكل بالصورة التى نعرفها بها الآن ، بل مرت هى نفسها بمراحل تطور كثيرة وأنها نتاج طبيعى لمجتمعات مرت بمراحل من التطور بعضها شديد الدموية .
ان إحدى النتائج الخطيرة لهذا هو ترك الجماهير فريسة لتيارات فكرية سلفية تستعيد من ماضينا اكثر الافكار رجعية وتخلفا ، الأمر الذى يتفاقم عندما تتعثر محاولات النهضة .
ان الطموح هو الوصول الى تيارات فكرية تعبر تعبيرا نابعا من أوضاعنا الحقيقية ، نريد ليبرالية و اصلاحية و يسارية نابعة من ظروفنا وأوضاعنا الاجتماعية ،فهل نستطيع ؟

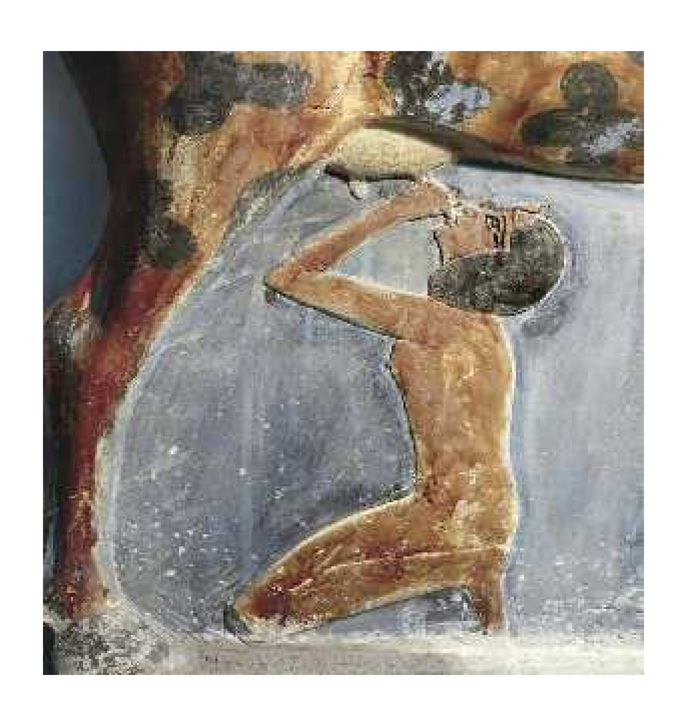


الدم بيحن- أخي

كلما رايت امنحتب يرضع من حتحور اتذكرة ، فبعد ما يقرب من ثلاثة الاف عام من هذة الصورة ، تصيح روقية ، ابنة خالة ابى ، يلا يا ماجد ، كى يفعل مثل امنحتب ، يرضع من ربة الامومة .

حتحور

معبودة مصرية قديمة. جعلها أصحابها تارة في صورة بقرة، وتارة في صورة امرأة لها أذنا بقرة أو على رأسها قرنان. كانت عندهم رمز الأمومة البارة. وفي اسمها حتحور أي بيت حور أو ملاذ حور ما يشير إلى ذلك. فهي التي أوت اليتيم حورس ابن إيزيس وأرضعته وحمته. فغدت بذلك أمًا له وللطبيعة كافة .



كامل البندارى باشا و القمح الاحمر

رايح فين ؟ اسال ابى ، فيجيب ، رايح اقابل الباشا الاحمر ، ويصيبنى العجب ، وهل البشوات الوان ؟ وعرفت لاحقا انة محمد كامل البندارى ، باشا غريب وخفيف الظل وملىء بالحيوية ، انضم لحكومة الاقلية برئاسة محمد محمود باشا سنة 1937فى انقلاب دستورى قادة على ماهر باشا ، رئيس الديوان الملكى ، بعد ان ادت الحكومة الائتلافية برئاسة مصطفى النحاس مهمتها بتوقيع معاهدة 1936 ، حيث ساد داخل اروقة القصر احلام التعاون مع المانيا الهتلرية ضد الانجليز .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية واقيم التحالف الدولى بين الولايات المتحدة و بريطانيا و فرنسا و الاتحاد السوفيتى و قبل نهايتها اعترفت مصر بالاتحاد السوفيتى وبحثت السرايا عن شخص موثوق بة و لا يمكن بلشفتة ، بلغة ذلك الزمان ، فلم تجد خيرا من ارسال وكيل الديوان الملكى ، **كامل البندارى باشا الموثوق بة.**

وذهب الباشا الى موسكو ، وفى عام 1948كانت مصر فى اشد الحاجة الى القمح وابلغت كل سفرائها ، فاتصل الباشا بوزارة الخارجية السوفيتية طالبا العون ، فابلغت انها تستورد قمحا من الولايات المتحدة وان السفن فى الطريق و ليس لديها مانع من ان تتحول السفن الى الاسكندرية .

واصاب الباشا الفرح وابلغ النقراشى باشا ، رئيس الوزراء ، بالاخبار ، فاجابة مستنكرا قمح شيوعى ياباشا !!

المهم ان الباشا عندما عايش الحياة فى الاتحاد السوفيتى ، بعد الحرب ، اصابة التعاطف معة ، وتبنى الكثير من المواقف الديمقراطية وانضم الى المجلس العالمى للسلام و تصادق مع المفكريين الديمقراطيين ، ومنذ ذلك الزمان اطلق علية الباشا الاحمر، برغم انة لم يكن احمرا ، و لكنها التهمة الدائمة التى يتبناها اعداء التقدم فى بلادنا لكل ديمقراطى او معادى للتخلف .

ما كتبنة هو مذكرات شاهد عيان سمعتة شخصيا من ....ابودم خفيف..... الباشا الاحمر



الاب و الجد
"ان كبر ابنك خاويه "

مات محمد مندور فى حياة أستاذه طه حسين وابدى طه حسين حزنة البالغ على وفاة تلميذة الاول وانة لن ينسى ما عناه مندور فى حياته ، **وفى مقال لمحمد مندور سنة** 1962 بجريدة الجمهورية كتب تعليقا على ما صرح به لويس عوض ، في حديث لفؤاد دوارة ، بأن جيلهم لم يقم بما هو مطلوب منه فى دعم المواهب الجديدة ، نافيا ذلك بشدة ، حيث أكد أن جيلهم " قد كان أكثر موضوعية وأكثر دقة فى تزجية المواهب الجديدة ، ويكفينا اننا لم نحارب قط موهبة حقيقية وان المواهب التى عملنا على إبرازها لم تكن من قش بل كانت مواهب صلبة أثبتت وجودها ".
ويعلق على الجيل السابق بقوله " وإذا كان كل من هؤلاء الأدباء الكبار قد كان له تلاميذه وحوارية فيخيل الى اليوم ان موقف كل من **هؤلاء الكبار من تابعيه** قد كان موقفا عاطفيا أكثر منه موقفا موضوعيا ، ولسوء الحظ أخطأوا كثيرا عندما احتضنوا احيانا أشباحا لا مواهب حقة ، بل ويؤسفني ان اقول ان بعضهم حارب احيانا المواهب الحقة عند بعض تلاميذه ومريديه ذوي الشخصية و الاصالة مما ادى الى اختلاط الحابل **بالنابل فى** جيلنا الاوسط واحداث عملية تقديم و تاخير كان لها بالغ الضرر فى تطور الحركة الثقافية العامة فى بلادنا ، ولولا صلابة بعض هذه **العناصر الممتازة لسقطت تحت وطأة الكبار** ".
لقد ترددت كثيرا ان اكتب حول هذا الموضوع ، الموضوع الذى لم يصرح به اصحابه الا ضمنيا ، فالجد المكلوم يشعر بحزن بالغ لوفاة ابنة الاول ، و الأب الذى يكن احتراما عميقا لأبيه الثانى يقترب من حبه لأبيه البيولوجى بشعر باسى بالغ ، كما هو واضح مما كتبة ، **وانا كذلك اشعر** بحزن بالغ لم يمحوه الزمان ، ويزداد كلما ازداد وعي بما تعرض لة محمد مندور فى حياتة من مصاعب جمة بدون دعم حقيقي من ابيه الروحى ، بعد ان عاد من بعثته الاوربية ، الا فيما ندر.
فالجد هو الذى دعم واستثار التمرد الأصيل لدى تلميذه ، الذى مارس التمرد إلى مداه الكامل فتمرد حتى على أستاذه ، الذى لم يستطع ان يستوعب ان تمرد تلميذة هو بالضبط ما كان يستحثة عليه ، ولولا هذا التمرد لما أصبح محمد مندور الذى نعرفه ، ولكن قد اكتفى ان يصبح استاذا جامعيا مرموقا ، مثلة مثل الأبناء الآخرون النابهون ، مثل سهير القلماوى أو شوقى ضيف .
فان كبر ابنك خاويه حتى لا تصيب الأحفاد " بوجع القلب "





خلف القضبان

د محمد مندور خلف الأسوار عام 1946 عندما وضعه صدقى باشا رئيس الوزراء فى السجن، وقبلها كان صدقى يحاول رشوته، فعرض عليه أن يقبل منصب سفير مصر فى سويسرا، ويكف عن مهاجمة الحكومة، وأرسل له بالفعل عبد الرحمن البيلى وزير المالية آنذاك ليعرض عليه **المنصب، ولكن د مندور رفض بشدة،** وقال له إنه يقبل الانتحار على مثل هذه الخيانة الوطنية، وبعدها مباشرة فى 12يوليو 1946 **تم القبض** على د مندور ليكون آنذاك فى السجن مع أشرف الناس والمثقفين المصريين مثل نعمان عاشور وعبد العظيم أنيس وعبد الرحمن الشرقاوى وغيرهممزيدا من القول حول اسماعيل صدقى و **مندور**
تعليقى
كانت حادثة كبيرة واصابة غضب شديد الى الحد انة خرج من الصالون مسرعا لاحضار مسدسة لضرب السيد الوزير بالرصاص لولا تدخل خالى الذى انقذ الوزير الذى "تدحرج على السلم " مسرعا . و بالمناسبة ، لقد احضر المسدس من البلد لانة لاحظ انة تحت مراقبة الاخوان الذين كانوا يؤيدون صدقى ضد الحركة الوطنية و قرر ان يدافع عن نفسة



جدى العلمى - استاذ الاساتذة ، ادهم الدمرداش

عندما تعرفت على صديقى المثقف الكبير و استاذ هندسة الطيران و الكمبيوترالدكتور مهندس فاتن فهيم فى منزل صديق مشترك ، منذ زمان بعيد ، سالنى عن اسماء ابنائى و عندما اخبرتة اجاب " طبعا ما انت شرقاوى و لازم تسمى ادهم " ، فاخبرتة انة مخطىء فلقد سميت احد ابنائى تيمنا بالمثقف الكبير و استاذ الهندسة ادهم الدمرداش ، فقام من على مقعدة ، او هكذا مازلت اشعرانة قام ، و فورا علق قائلا " احنا بيننا شىء مشترك ".

لم اكن اعرف من هو ادهم الدمرداش " ابراهيم ادهم الدمرداش "عندما علمنا انة سيدرس لنا فى السنة الثالثة بكلية الهندسة مادة كنت احبها ، ما عدا انة استاذ كبير و اسم يحظى باحترام كبير.Theory of structureكثيرا ، واقع فى غرامها ، هى

وفى المحاضرة الاولى وجدت رجلا متوسط الطول، متين البنية ،شديد النظافة الى الحد انك تشعر انة قد " دعك " فى الحمام قبل حضورة وشديد الاناقة ، يبلغ حوالى السبعين من العمر، يعنى باختصار يضخ هيبة وو قار يجعل امثالنا ، نحن المفاعيص ، نتردد كثيرا فى ان نتحدث معة .

و سريعا يكتشف المفاعيص ، ان هذا المهاب شديد البساطة و التواضع و ما اسهل ان نتحدث معة ، وانة ، وهو من هو ، يتعامل معنا باعتبارنا اندادا كبارا ، و برغم ذلك و لانة شديد الاخلاص و الكفاءة فى عملة و شديد الاهتمام بنا و منضبط تماما فى مواعيدة ، تبدء فى التشكل مشاعر جديدة من الاحترام العميق و الود الداخلى غير المعلن ، مهابة جديدة بسيطة و متغلغلة الى القلب، و اصاب بحمى كبيرة اسمها ادهم الدمرداش لا افرق بسببها بين المادة العلمية واستاذها ، و اذاكرها كما المجنون الى حد اننى كنت اقدم عشرة اضعاف ما هو مطلوب منى من الواجبات المنزلية ، واصبح مستواى العلمى رفيعا ، لقد اصبحت اتنفس المادة العلمية الى الحد اننى اجبت فى الامتحان النهائى على كل الاسئلة السبعة فى اقل من نصف الوقت برغم انة كان مطلوبا ان اجاوب خمسة فقط .

هذة هى صورة الجد المتشكلة فى ذاكرتى و لكن من هو ادهم الدمرداش

- حصل على الدكتوراة في الهندسيّة المدنية من جامعة زيورخ فى الثلاثينيات
- اسس قسم هندسة الطيران فى الاربعينيات فى جامعة القاهرة واصبح رئيسا لة
- عميد كلية هندسة القاهرة ثلاث مرات
- اسس نقابة المهندسين فى الاربعينيات ثم اصبح نقيبا لها لاحقا سنة 1956
- جائزة الدولة التقديريّة في العُلوم سنة 1968
- عضو اللجنة العليا لأبحاث الفضاء
- عضومجلس أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجي
- مستشارًا فنّيا لهيئة إنقاذ معابد فِيلَة، والهيئة العامّة لتطوير المحالج، والسّقيفة القديمة للمسعى، وقبّة الصّخرة، وقبّة جامع محمد علي بالقلعة، وغيرها.
- انتُخِبَ عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1973.

وفوق هذا و قبلة ، وبرغم خدماتة العلمية و الوطنية الجليلة ، يبقى انة من عبائتة و لد العشرات من العلماء المصريين الذين تأثر الكثير منهم ليس فقط بتوجهاتة العلمية و لكن ايضا بنموذجة الاخلاقى الرفيع وباهتماماتة الثقافية الواسعة.



قاعد على ريش و دافن راسك فى الرمل

فى كاريكاتير شهير لرسام الكاراكتير الاشهر ، بهجت ، رسم نعامة تدفن راسها فى الارض و تحتها هذا التعليق ، و نشر هذا الكاريكتير فى مجلة صباح الخير فى بداية السبعينات و ذلك للوم المثقفين الذين يحلسون على قهوة ريش الشهيرة و يكتفوا بالكلام و لا يلجاؤا الى العمل .
لقد تذكرتها حين تنا قشت مع صديق يسكن فى اقصى شرق القاهرة اين سنتقابل و اقترحت علية ان نتقابل فى ريش ، التى لم يسبق لى ان حلست بها ، فابدى امتعاضة و عدم موافقتة و قال " ريش مش ممكن " ، ففوجئت ! و اقنعتة بان نتقابل فى ريش ، التى لم تبقى ريش القديمة من حيث طبيعة روادها .
كم كنا مخطئين حين وجهنا سهام النقد و الادانة لكل من يجلس على ريش ، فالوسيلة الوحيدة التى كانت متاحة لهولاء المثقفين ، فى ذلك الزمان ، كان الجلوس على ريش و تناول هموم الوطن ، وهم انفسهم الذين ساهموا ، كل بحسب قدراتة ، فى النشاط الشعبى و الابداع الادبى تايدا للحركات الشعبية العارمة فى ذلك الزمن.
كم كنت سعيدا ان اجلس حيث جلس نجيب محفوظ و توفيق الحكيم و امل دنقل ، تسقط السلفية !



.

السلفية و الارهاب الفكرى و التمرد الخلاق

لان السلفية الفكرية سادت داخل كل الاتجهات الفكرية و السياسية اصبح التفكير الخلاق لمواجهة الواقع الجديد الذى يتغير بسرعة كبيرة يعرض صاحبة لمختلف انواع الاتهامات من السلفيين المتكلسين على وقائع الماضى و ليس خبراتة الى مستوى الاختباء خلفها لتصفية حسابات قديمة واصبح الافصاح بشجاعة عن الاراء المختلفة شديد الصعوبة على الكثير من الشرفاء.
هذة دعوة للتمرد على السلفية الفكرية و السياسية كما فعل اباءنا و اجدادنا من قبل فتمردوا كما تمرد طة حسين و شبلى شميل و سلامة موسى و نجيب محفوظ و محمد مندور و لويس عوض وتوفيق الحكيم ، ومارسوا حق الوقوع فى الخطأ و دعوا مائة زهرة تتفتح، فهل انتم معى ؟

مجدى يعقوب ام محمد غنيم

كتب الصديق عمرو الغايش
" الفضل في فوز محمد صلاح بجائزة احسن لاعب في الدوري الانجليزي لا يعود لبلد اللاعب أو قريته أو ناديه المحلي ..وإنما يعود في الحقيقة الي فراره من كل هذا وابتعاده عنه والتحاقه بالعالم الحقيقي بعيدا عن الكذب والهجص والفهلوة ..... "
و هكذا علقت
الكلام دة يطرح سؤال كبير و خطير جدا بشأ ن علمائنا فى الخارج ، نسيبها و نهرب و نحصل على ما تستحقة بما يتلائم مع كفاءتنا ام نبقى و نحاول ان نغير و بيصيبنا الاذى . ليس لدى اجابة لان الاجابة لابد و ان تكون فردية الى ان تتغير الظروف و يستطيع الوطن احتضان كفاءة ابناءة و عندها سنلوم كل من يهرب و كل من لا يعود ، مجدى يعقوب كان مصيبا فى قرارة ومحمد غنيم كذلك كان مصيبا ، هكذا ارى الامر من الناحية الموضوعية.
اما من زاوية هوى القلب ، فانا مع غنيم حتى عاد مجدى يعقوب فاصبحت معهما الاثنين .



محمود قرني(القاهرة)
الأعمال الكاملة لـ ملك عبد العزيز: نموذج شعري رائد أسقطه العقل الذكوري

صدور الأعمال الكاملة للشاعرة ملك عبد العزيز عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، يعد حدثا في حد ذاته. فمن ناحية لم يعهد في هيئتنا الموقرة أن اهتمت بشأن الأسلاف من شاعراتنا وشعرائنا اهتماما موضوعيا يسعى للكشف عن قيمتهم الحقيقية في مجرى الشعرية العربية، والأمثلة

على ذلك تجاوز الحصر.ومن ناحية أخرى كانت ولا زالت أدبياتنا النقدية تعمل على ترسيخ آليات بالية فيما يتعلق بالكتابة النسوية، إذا صحت التسمية، سواء كان ذلك على مستوى النظر للأمر باعتباره إشكالا فنويا ذا طبيعة نوعية، أو على مستوى كونه إشكالا جماليا يتم الحديث عن محصوله بالكثير من النظر الاستعلائي المستند تاريخيا إلى تناسل العقل الذكوري بعضه من تلافيف بعض. وهي محصلة كان مؤداها إقصاء الصوت الشعري النسوي في مصر وفي غيرها من البقاع العربية إجمالا باستثناءات قليلة. أضف إلى ذلك فساد الحياة الثقافية العربية وتحولها إلى صورة من صور الأداء السياسي الفج وغير العادل بل والقمعي، الذي كان صورة تجسد فساد أجهزة الحكم وآلياته التسلطية، التي أدنت وأقصت على مرجعيات الثقة وليس على مرجعيات الكفاءة والقدرة. يستثنى من هذه الصورة عمل النقدية العربية لحساب أسماء، رغم أهميتها، إلا أن ارتباطها بالمرجعيات السياسية والاجتماعية كان يمثل الباعث الأكبر لتدشينها ووضعها في صدارة الشعرية العربية. وفي ظني أن ذلك لم يكن متعلقا بمرجعيات الجدارة رغم توفر هذه الأسماء على جدارة واستحقاق مؤثرين في شعريتنا المعاصرة. ينطبق الأمر على نموذجين دالين لدى نازك الملائكة وفدوى طوقان.

فعلى أهمية الملائكة، كشاعرة رائدة بحق، إلا أن الاهتمام بما قدمته في النظرية النقدية كان أعلى بكثير من الاهتمام بكونها رائدة من رائدات القصيدة الحرة. ولا يمكننا تجاهل ظرفها الاجتماعي، كنموذج مثالي لصعود الطبقة المتوسطة العربية، الذي دفع بها إلى مقدمة الصفوف باعتبارها أيقونة نسوية منذ النصف الثاني من الأربعينيات. الأمر يختلف نسبيا بالنسبة لفدوى طوقان التي كان الاحتفاء السياسي بها يتجاوز منجزها الشعري، على أهميته، باعتبارها تمثيلا لصورة الفلسطينية المناضلة أولا، المبدعة ثانيا. الأمر نفسه لا يختلف بالنسبة لملك عبد العزيز وإن كان إقصاؤها عن المشهد بدا مسرفا في مغالاته لدرجة غير مفهومة.وتكشف الدواوين الستة التي تضمنتها أعمال الشاعرة الراحلة عن تجربة فريدة في شعريتنا المعاصرة، بحيث يمكننا أن نطلق على صاحبتها لقب الشاعرة المخضرمة. حيث تقف بجدارة على رأس حقبة رومانسية تصدرتها أسماء مؤثرة وظل اسمها بين واحد من ألمع هذه الأسماء منذ منتصف الأربعينيات، ثم حققت الشاعرة انتقالة مهمة إلى تيار الشعر الحر الذي حقق، بدوره، نقلة شديدة النوعية في تاريخ الشعرية العربية. فهي على مدار ديوانها الأول أغاني الصبا تقدم لنا نموذجا رومانسيا رائقا يعكس معنيين أساسيين أولهما أن شاعرتنا تتمتع بموهبة فريدة ونادرة لا تخطئها عين القارئ، وثانيهما أنها عكفت على موهبتها بالدرس المعرفي والنقدي بحيث أنها كانت تطمح إلى التجريب في تراكيب البحور الشعرية مذ كانت طالبة بكلية الآداب. وتشير ملك إلى رواية من هذا النوع وهي تؤدي أحد امتحاناتها أما العميد طه حسين بكلية الآداب، وكان قد طلب منها أن تسمعه آخر ما نظمت، فألقت عليه قصيدة تجريبية كتبتها عام 1942، بينما كانت محاولاتها تلك قد بدأت في العام 1940 في قصيدتها فجر كاذب التي تضمنها ديوانها الأول.على أن تجاهل النقدية العربية يظل موضع تساؤل يثير الاستفهام إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الديوان الأول الذي أشرنا إليه يتضمن عددا وفيرا من قصائد الشعر الحر مثل الأغنية الأولى وهي تتكون من ثلاثة أجزاء طويلة بالإضافة إلى قصيدتيها انطلاق و إلى أمواج النيل وكذلك قصيدتها المعربة للشاعر الأوكراني شيفشنكو التي جاءت متخذة القالب الجديد وليس من خلال القالب التقليدي الذي كان شائعا آنذاك. أما قصيدتها ذكرى جواد عن الشهيد جواد حسني فتعد أيقونة في تاريخ شعريتنا الحديثة خاصة إذا علمنا أن الشاعرة كتبتها في عام 1958. فهي تعكس، من ناحية، موقفا شعريا متقدما يتجاوز أجواء شعر المناسبات الذي عرفته الشعرية التقليدية، حيث تنظر رأسيا لمأساة تمتد على اتساع الإنسانية، ومن ناحية أخرى تعكس القصيدة وعيا طليعيا يؤكد انحياز الشاعرة لمفاهيم العدالة والحرية والنضال المشروع ضد الحرب وسفك الدماء والدفاع عن الأوطان. أما المثير في الأمر فهو أن هذه القصائد كتبت في الأعوام بين 1955 و 1958 ، وهذا يعني أن ملك عبد العزيز تسبق كلا من صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي، الذي صدر الديوان الأول لكل منهما في العام 1958. من هنا لم يكن مفهوما إقصاء عبد العزيز من المشهد الشعري الجديد، ولا يمكننا تفسير هذا الأمر المريب سوى على كونه إمعاناً في ذكورة الثقافة العربية وتذكيراً بماضيها الذي يعتبر الشعر عملا ذكوريا باعتباره تمثيلا لثقافة القوة، حتى أن الشاعرات العربيات اللائي كن، في بعض الحالات، الأمهر بين الشعراء، تم سلبهن صفاتهن تلك تعميقا لهذه المفاهيم السلطوية. ربما لذلك سنجد أن ما شاع من شعر النساء العربيات لا يتعدى كونه شعرا رثائيا أو في الفخر والمديح في بعض الأحايين، كما نرى النموذج الأشهر لدى الخنساء ، وفي متناثرات لهند بنت عتبة، باستثناء وحيد لا يمكن القياس عليه لدى ولادة بنت المستكفي. وربما كانت هذه الانتقالة المؤثرة للشاعرة تمثل واحدة من أهم امتيازاتها على قريناتها مثل: روحية القلليني، جميلة العلايلي، وجليلة رضا، وكل منهن شاعرة تقف على ناصية الموهبة بل تتربع فيها، وجميعهن يمثلن صورة قاسية للإقصاء غير المفهوم الذي صادف شعر المصريات، ولا أظن وقوف مشاريع معظم هاتيك الشاعرات في قلب مشروع الرومانسية العربية لم يكن ليقلل من قيمتهن الشعرية.
ولا شك في أن صورة المرأة المصرية، المبدعة والمفكرة، تغيرت مع صعود مشروع التنوير منذ عودة رفاعة الطهطاوي من باريس وإنشائه أول مدرسة لتعليم البنات. ولم يكن غريبا أن تستقبل ساحة العمل الفكري والاجتماعي أسماء بارزة ومؤثرة في حياة الأمة مثل هند نوفل التي أصدرت أول مجلة نسائية في الإسكندرية عام 1892، وكذلك أسماء وردة اليازجي، عائشة التيمورية، زينب فواز، هدى شعراوي وملك حفني ناصف وأخريات.وما من شك في أن حضور الشعر النسوي تجاوز الكثير من محاذير القبلية الموروثة في ظل ثورات المد القومي العربي التي اعتمدت على طائفة واسعة من متعلمي الطبقة المتوسطة، غير أن الصورة نفسها علاها الكثير من الغبار مع تراجع هذه الثورات ومع تحولاتها وجنوحها إلى القمع واعتماد آليات الفساد. غير أن صورة الإبداع الملتزم، كشكل من أشكال المقاومة، بقيت حية وماثلة ومؤثرة، بالقدر الذي ينطوي عليه الشعر من سلطة رمزية بحكم طبيعته الهشة.
بهذا المعنى تظل شعرية ملك عبد العزيز مثالا قويا وحاسما كان يحتاج إلى الكثير من النظر النقدي للتأصيل لمرجعياته، غير أنه، من حسن حظنا، أن بقاء الشعر وفناءه ليس رهنا بمشيئة نقاد لا يعول عليهم.

فالمتأمل لتنامي الوعي الشعري لدى ملك عبد العزيز سيجد أنها بداية من ديوانها الثاني قال المساء قد حققت انتقالة جديدة على مستوى تمثلك الصورة الشعرية بابتعادها عن أجواء تأملات الطبيعة التي وسمت شعرية الرومانسيين، يتجلى ذلك أيضا في البعد عن التقفية والمحسنات التي تعتمد اعتمادا واسعا على بلاغة اللغة وقشابتها. تقول الشاعرة في قصيدتها أنشودة النجوم: يا أنجم يا حلم صباي / ورفيقة أوهامي النضرة / لم لا تأتين .. إليّ بأمراس لدنه / من صنع يديك / خيطا من نور أصعد فيه / وأرود مروجك، وافرحي / لو أن يديك / مسحت بحنان أعطافي / وتمشت في جسدي رعدة / من مس يديك.سيصادفنا هذا النموذج بشكل معمق في قصائدها: بحر الصمت المهداة إلى شهداء الثورة اليمنية، وكذلك قصيدة تنتالوس الذي يمثل شخصية فريدة في الأوديسة حيث تنقل عنه الشاعرة مقدمة القصيدة التي تقول: كلما رأيت تنتالوس واقفا في بحيرة والماء يلمس ذقنه. وبالرغم من أنه كان يشكو الظمأ فإنه لم يكن يستطيع أن يشرب .. فكلما انحنى متلهفا إلى إطفاء ظمئه انحسر الماء واختفى وظهرت الأرض السوداء عند قدميه. كما كانت الأشجار دانية القطوف فوق رأسه .. ولكن كلما هم بالوصول إليها ليمسكها بيديه هبت عليها الرياح ودفعتها إلى السحب الظليلة. أما القصيدة التي بدت كإعادة إنتاج لأسطورة تنتالوس فقد شفت بالأسى عبر لغة دقيقة تنطوي على الكثير من الألم الذي يتنامى بفعل النمو الدرامي في لحظة انتظار المطر الذي لا يجيء والندى الذي يجف والأرض التي لا تثمر، تقول الشاعرة: حلمنا بالندى يشفي أوام الأرض / وينبت في دروب العمر حقلا بالرضى مخضر / تمر عليه أعيننا / فترتاح المني فينا / وتسكن لهفة في القلب لافحة / ويهدأ جمر.ولكن عزت الأنداء فالتهبت عروق الأرض / وصوحت الزهور وجفت الأغصان / واحترقت نواصيها / وأهدر فجر .. .تتبدى كذلك هذه المعرفة الصعبة في ديوان أغنيات الليل، حيث تتجسد تلك الحكمة الغائبة في قصيدتيها: مصباح ديوجين، أو مصباح المعرفة، وقصيدة كبرياء الخلق التي تصدرها ببيت من أشهر قصائد المعري، حيث يقول: وأعجب من نفسي كيف أخطئ دائما / على أنني من أعرف الناس بالناس.

وتتجسد هذه الحكمة مع نهاية التجربة في ديوان الراحلين الذي جاء ختاما لرحلة طويلة في مرثية تبدو أكثر من كونها مرثية لرموز نعرفها جميعا إلى كونها مرثية للذات الشاعرة.غير أن أكثر دواوين الشاعرة نضجا وأهمية هو أن ألمس قلب الأشياء الذي تكامل فيه الحس الإنساني والسياسي والاجتماعي متضافرا كل ذلك مع الوعي الجمالي. فرغم أن الديوان يقدم موقفا سياسيا ضاغطا في عشرات القصائد مثل: قربان عبد المنعم رياض، أغنية إلى جيفارا، النصر لنا، بالإضافة إلى قصيدة الديوان إلا أن الاستغراق فيما هو سياسي لم يفقد الديوان شاعريته ولم يجعله خاضعا للشعار، والجهورية، كما لم يوقعه في الخطابية المتوقعة في مثل هذه النماذج الشعرية. وهي إشكالية طالما حذر منها النقد المدقق، لكن الشاعرة كانت قد تسلحت بوعي مبكر عصمها من الوقوع في هذه المزالق، وهو ما جعل تجربتها تحتفظ بالكثير من طزاجتها وحيويتها. فالقيمة في الفن تظل مرهونة دائما بمدى قدرته على البقاء في الزمن. وهاهي قصائد ملك عبد العزيز تعود إلى الحياة بكامل قشابتها ورونقها في تأكيد على أنها لم ولن تكون مجرد نص عابر إنها وشعرها نصان مقيمان ما أقام الشعر في هذه الأرض.



ملك عبد العزيز: المقاتلة بالهمس

بقلم: فاروق شوشة

لم تعرف الحياة الأدبية المصرية شاعرة أكثر رقة وحساسية وصفاء وجدان واكتمال شخصية من الشاعرة الكبيرة ملك عبد العزيز التي رحلت فجأة في الأسبوع الماضي ـ إثر حادث قدري مأساوي هو سقوط جزء من شجرة فوقها وهي تسير في الطريق لتلقي مصرعها علي الفور وهي في كامل عافيتها ونشاطها وحيويتها وقدرتها علي المشاركة والعطاء. ولتكتمل بهذا الحادث حلقة جديدة, في تلك الدائرة الجهنمية التي أخذت تدور ومعها ألوان شتي من حوادث الطريق, لانملك لها دفعا ولا صدا, ولاتوجيه الاتهام إلي أحد بعينه, بينما تساقط نفس كل منا أنفسا كما كان يقول الشاعر القديم.

ولقد كانت هذه الصفات الأصيلة في ملك عبدالعزيز: الرقة والحساسية وصفاء الوجدان هي أول ما لفت انتباه أستاذها الدكتور محمد مندور إليها إنسانة وشاعرة وبتعبيره هو في تقديمه لديوانها الأول: كان الشعر المنبعث من شخصية ملك عبد العزيز ومن نبراتها الهامسة هو الذي هدي روحه الظمأي إلي الجمال. وكان هذا الشعر الهامس لملك عبدالعزيز وراء مصطلح الشعر المهموس الذي أذاعه الناقد الكبير الدكتور محمد مندور في كتاباته النقدية المبكرة, وأخذ يطبقه علي شعر المهجريين ثم علي شعر عدد من الشعراء المصريين وعندما تم زواج الأستاذ بتلميذته في كلية الآداب ـ وهي لا تزال طالبة في السنة الثالثة عام1941 أتيح للشاعرة الواعدة سند أدبي وإنساني قوي, كما أتيحت لها أيضا حياة عاصفة مليئة بالكفاح والمواجهات نتيجة للنضال السياسي والاجتماعي الذي خاضه الدكتور مندور ـ الذي أصبح واحدا من نجوم الطليعة الوفدية فيما بعد ـ والذي تعرض لكثير من المحن القاسية كان أقساها تعرضه لاستئصال ورم أسفل المخ كاد يودي بحياته, وكانت هي إلي جواره بمثابة ملاكه الحارس وهو يجري العملية في أحد مستشفيات لندن.

وعندما أصدرت ملك عبد العزيز ديوانها الأول أغاني الصبا كان قلم الدكتور محمد مندور يؤازر هذا الحدث الشعري البالغ الأهمية في حياتها: زوجة وشاعرة, فهو يعلن أنها هامسة في شخصها وفي نبرات صوتها وفي نغمات شعرها, ومع ذلك ففي همسها قوة روح وجلال صوفي ويؤكد أن شعر ملك عبد العزيز من شعر الوجدان الصافي, وأغلب انفعالاته من مشاهد الطبيعة التي تجاوبت مع روحها, ومع ذلك فإنه وجدان أبعد مايكون عن الأنانية أو الانطواء علي الذات ثم يقول: فأنا أعرف الشاعرة شديدة الحساسية بأفراح الغير وأتراحهم, دائمة المشاركة في قضايا الوطن والشعب ولا أدل علي ذلك من مطولتها الرائعة عن شهيدنا الفدائي جواد حسني, ولكنها شاعرة لا تسجل أحداثا ولاتعلق علي أحداث ولاتستطيع ذلك لأنها وجدانية الطبع لا تستطيع أن تقرض الشعر إلا تصويرا لما تنفعل به روحها الصافية البالغة الحساسية.

وتذكرنا المقدمة الصافية التي كتبتها ملك عبدالعزيز لديوانها الأول بالمقدمات التي كتبتها الشاعرة العراقية الكبيرة نازك الملائكة لدواوينها الأولي والحرص علي التحليل الموسيقي والعروض للقصيدة الشعرية الجديدة وتحاول ملك عبد العزيز أن تفسر لقارئها الجمع بين الصيغتين أو الشكلين العمودي والحر في ديوانها الأول وميلها الواضح إلي نوع أكثر من الحرية في استخدام التفاعيل وهي تري أن الطريقة الجديدة الحرة في إبداع الشعر ـ ليست ـ وينبغي ألا تكون ـ مذهبا. إلا أن يكون الشاعر الذي يلتزمها يلتزم ـ بطبيعته ـ التعبير عن ألوان بعينها من المشاعر هي التي تناسبها هذه الطريقة دون غيرها فضلا عن أنها تناسب ألوانا من الأحاسيس الغائرة لا الفائرة, وتناسب أنواعا أخفت همسا مما سماه من قبل الدكتور مندور بالشعر المهموس ثم تقول بوضوح: فهناك ألوان من الأحاسيس ليس لها هذا الوضوح ولا تلك الجهارة التي يضفيها التعبير بالأوزان الكاملة والموسيقي المطردة علي الشعر, كما أن هذا الشكل الجديد أقدر علي تصوير العواطف والأحاسيس المتموجة في القصيدة الواحدة, كأن تبدأ القصيدة هادئة, ثم تفور فيها الأحاسيس أو تبدأ مظلمة ثم مشرقة ثم مظلمة مرة أخري أو العكس أو أي نوع آخر من أنواع التموج.

وتلفت الشاعرة انتباه القاريء إلي قصيدتها في العشق باعتبارها نموذجا تطبيقيا علي هذه المستويات المختلفة المتموجة في القصيدة الواحدة, حين تقول:

في الغسق

شق قلب الغيب والغيم شراع

وادع الخطو مضيء كالشعاع

نوره غض ومسراه رفيف وأمان

نوره يحنو علي الظلمة يدحوها

بكف من حنان

لؤلؤةلم يزل يقطر منها زبد الأمواج بكر لم تمس

ضوأتها الشمس في فجر رطيب

بشعاعات الغلس

غسلتها في قرار الموج ربات البحار

وحبتها بالصفاء البكر ألوان المحار

والقمر
سرقت من نوره ألف شعاع
من حنان وصفاء ونغم
جدلتها خلف أستار الزمن
في الظلال الناعمات
في المروج الدافئات
وحبتها للشراع الوادع
فسري كالحلم مغموم الرؤي
ناعم الخطو مضيئا كالشعاع
وفي ختام القصيدة يتصاعد المد الشعوري في لوحة عنيفة مغايرة **حين تقول:**
ثم لاحت ظلمة من بعد ظلمة
سحب سوداء نكراء الحواشي مدلهمةبسطت أذرعها المعقوفة الشوهاء
كالشجي اللعين
فغرت أفواهها النكراء
كالوحش الطعين
وطوته
طوت الزورق في أعماقها الغبراء
حلما ضائعا
وبدا الليل وحيدا والسكون!
هذه اللغة المرهفة الشفيفة, وهذا الإحساس الشعري الأنثوي بالحياة والوجود وظواهر الطبيعة, والقدرة علي تصوير حالات القلب الإنساني في مستوياته المختلفة من حالات الجزر والمد, كل ذلك جعل من ملك عبدالعزيز شاعرة متميزة الحضور بين شاعرات جيلها بخاصة الشاعرتين اللتين استمر عطاؤهما الشعري لعقود **من الزمان:** جليلة رضا وجميلة العلايلي. وأصبحت ملك عبد العزيز الشاعرة المصرية الوحيدة المؤهلة للحاق بالشاعرتين العربيتين الكبيرتين نازك الملائكة وفدوي طوقان, وأوشكت أقول وسلمي الخضراء لولا انصرافها عن الشعر بعد ديوانها الأول الوحيد العودة من النبع الحالم وكان يمثل إبداعا شعريا حافلا بالوعود لولا انغماسها في البحث الاكاديمي ومشروعات الترجمة وظلت ملك عبدالعزيز علي إخلاصها وولائها للشعر.. ديوانها الأول أغاني الصبا الذي يحمل ملامح شعر البداية, وإن كان يبشر بالجينات الشعرية التي لن تتغير عبر مسيرتها الشعرية واتساع أفقها الإبداعي واستقرار أدائها الهامس العميق المفعم ـ علي طول المدي الزمني ـ بألوان من الشجن **والمرارة والشك والقلق**, وألوان مقابلة من التصميم والتحدي والمواجهة والانخراط في غمار التيار التقدمي والتنويري, بعد هذا الديوان الأول **تواصل إبداع الشا**عرة في دواوين قال المساء وبحر الصمت, وأن ألمس قلب الأشياء وأغنيات الليل وهي الدواوين الخمسة التي ضمتها مجموعة أعمالها الشعرية الصادرة عن مكتبة مدبولي عام1990, وبعدها صدر لها عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ديوانها السادس والأخير شمس الخريف عام1998, وهو الديوان الذي جمعت فيه قصائدها الأخيرة عبر أكثر من عشر سنوات
ولقد كان الدكتور مندور علي حق وهو يضع يده منذ البداية علي أحد المفاتيح المهمة في شخصية ملك عبد العزيز وحقيقتها الشعرية, وهو علاقتها الحميمة بالطبيعة في شتي تجلياتها, وهي العلاقة التي بدأت رومانسية حالمة ثم عمقت لتصبح علاقة كونية يتخللها حس صوفي ووتر **وجودي**, المثير الآن للدهشة والمفارقة أن هذه الطبيعة التي هامت بها تأملا ووجدا وحلولا وانجذابها كانت السبب في مصرعها من خلال إحدي شجراتها التي أدركها الجفاف والموت ـ وهناك مئات الأشجار غيرها ـ في القاهرة وحدها ـ تنتظر لحظة طقوسها علي العابرين وعلي السيارات وعلي البيوت لأن أيدي المسئولين عن قطعها قد قيدها قانون عدم قطع الأشجار لكن السؤال هو: أية أشجار تلك التي لاتقطع! وبالمقابل هناك مئات الأشجار التي أدركها العقم والجفاف والموت وأصبحت قنابل موقوته لايدري أحد موعد انفجارها المحتوم!
هذا الإحساس الغامر بالطبيعة سمته أساسية في شعر ملك عبد العزيز بدءا بديوانها الأول وانتهاء بديوانها الأخير وكثيرا ما كانت تجد **في** الطبيعة وفي الشجر علي وجه الخصوص مرآة واقعها الإنساني وتجسيدا لمعاناتها الروحية تقول ملك عبد العزيز في القصيدة التي اتخذتها عنوانا لإحدي مجموعاتها الشعرية: أن ألمس قلب الأشياء
أن ألمس قلب الأشياء
أتغلغل في لب الشجر الممتد الأفياء
أتمدد في الخضرة
أتوهج في الثمر العذب الإرواء
واغوص بعمق البحر وأشف الانحاء
أتسلل في اللؤلؤ في اعشاب البحر الخضراء

أتحلل في حضن النهر
قطيرات من ري وخصوبة
وأذوب عطاء وعذوبة
أن أسري في الزهر عطورا فواحة
في الأفق رياحا
في قلب الطير لحونا وغناء
في زبد البحر ضياء
لونا في الشفق الذائب في الآفاق
ألقا في النور السابح في الأحداق نغما في الموج, رعودا في الإعصار
ظلا في الغيم, رذاذا في الأمطار
وهجا في الصبح, ندى في قلب الأسحار
حين تعانقنا
هل ذاب عصير الروح خلال الروح,
هل امتزجت كل الأهواء؟
هل صرنا كلا متحدا
يتحدي وجه الأشياء؟
أم قام جدار
يفصل بين الأغوار
يجعلنا اثنين غريبين
ويجعل كل حوار
زيفا تلفظه الأفواه
لاتدرك يوما معناه!
أن نتجاور ليس القرب
أن نعطي سر القلب
ألا نحتجز هوانا شحا وضغينة
أن ننسى الذات ونفنى في المحبوب
رضا وسكينة
حين نجود بسر القلب
حين نجود بفيض الحب
تتداعي الجدران وتنهد
عندئذ, نلمس قلب الأشياء
نلمس قلب الأشياء
نلمس قلب الأشياء

توشك هذه القصيدة أن تكون بيانا تتقدم به الشاعرة إلي الحياة والناس, ودعوة شعرية إلي فهمها علي حقيقتها والتعامل معها من خلال هذه النظرة الإنسانية الحانية والواعية في آن.

والذي لاشك فيه أن وعي الشاعرة العميق بالحياة, وإدراكها اللهم الوطني والقومي والإنساني, كانا مفجرين للعديد من قصائدها التي أطلقتها وكأنها صيحات احتجاج أو غضب أو نبوءة, أو أناشيد تمجيد للبطولة والأبطال والمناضلين والشهداء, مثل قصيدتها الشهيرة في بطل القتال الشهيد جواد علي حسني الذي استشهد إبان العدوان الثلاثي علي مصر عام1956, وقصيدتها عن وصية الشاعر الأوكراني المكافح شيفشنكو التي كتبها عام1845, وقصيدتها البديعة أغنية إخاء عن تمجيد الأخوة والمشاركة الإنسانية بغض النظر عن اللون والجنس وقصيدتها الحائرة أغنية إلي جيفارا وقصيدتها بطاقة إلي الشهيدة سناء مهيدلي التي فجرت نفسها وهي تقاوم الاستعمار الإسرائيلي للبنان وغيرها من القصائد التي تنطق بالحس النضالي والمشاركة الواعية في حميا التحرر الوطني والقومي والإنساني. وهو الوجه التقدمي المشرق للشاعرة ملك عبد العزيز التي لم تنغلق علي ذاتها, ولم تتقوقع داخل جدران مأساتها الخاصة كما فعلت رفيقات جيلها الشاعرات لكنها وقد تتلمذت علي المناضل والإنسان الكبير محمد مندور وشاركته كما قال هو عنها: كان لنا في حياتنا المشتركة من الأهوال والمغامرات في ميادين السياسة والثقافة والحياة العملية مما يهز أقوي النفوس. ومع ذلك فأشهد الله أني ما أحسست منها يوما غير صلابة العزم واطمئنان الثقه وعمق الإيمان, مما آزرني في أقسي المحن وأمدني بذلك الفيض الروحي الذي جابهتها به, حتي انتصرنا معا في معركة الحياة. فقد ظلت علي ولاءها لقيم العدل

والحرية والكرامة والكبرياء.
وترحل عنا ملك عبد العزيز, وتخلي مكانها الذي كانت تملؤه بحضورها وشفافيتها وإنسانيتها في لجنة الشعر بالمجلس الأعلي للثقافة, وأمومتها التي كانت ترعي بها الأجيال الجديدة المتمردة من الشعراء ـ المختلفين عنها لغة ورؤية وتكوينا وتوجها ـ لكنها تفيض عليهم من أمومتها وفهمها ومتابعتها بالرغم من ذلك كله, ومكانها





الحاج عبد الحميد

الحاج عبد الحميد موسى مندور(جدى) و الحاجة زهرة عبد الدايم عمر(جدتى)و يسرية و ماجدة مصطفى عبد الحميد موسى مندور(بنات عمى),وسلوى و يسرى السيد عبد اللطيف موسى مندور (ابناء عمتى)
حكى لى خالى ان ابى خلال نضالة السياسى فى الاربعينات و تعرضة لظروف قاسية و برغم انة كان من كبار المثقفين سواء فعليا من حيث مستواة الفكرى او من حيث شهاداتة التعليمية ـ ليسانس اداب و ليسانس حقوق من جامعة القاهرة وليسانس السوربون و دبلوم الاقتصاد والقانون و دبلوم اليونانى و دبلوم فى الصوتيات من السربون و الدكتوراة من جامعة القاهرة ـ الا انة فى هدة الظروف القاسية كان يسافر الى القرية ليسال الحكيم النصيحة ، هدا الحكيم الدى يقرء و لا يكتب ، رحم اللة جدى الحكيم الودود اللطيف (كان بيدلعنى ، لية انا ، ما **اعرفش**) - تصوير العم اللطيف الدكتور مصطفى مندور



أنا وخالتى

سيدة شديدة الهدوء وعندما تراها تشعر ان الدنيا بخير وان البشرية كلها بخير، ولا تلمع عينيها بحيث تجعلك تحترس من ذكائها أو من فراستها ، عندما تكون شابا صغيرا و تريد ان تخفى بعض أعمالك عن اهلك ، وبرغم ذلك فلقد كانت لامعة الذكاء عالية الفراسة ، أي باختصار "تجيبها وهى طايرة" ، والغريب والعجيب أنها كانت ناظرة اكبر مدرسة ثانوية للبنات فى المحروسة وبرغم ذلك كانت تهوى ان تعمل بيديها فى عمليات الإصلاح المنزلية ، فقد كنت فى زيارة لامى أثناء وجودها ،وطلبت منى امى ان اصلح اريال التلفزيون ، فوقفت فوق راسى ، وشعرت بالقلق ، فقد كانت فى الثمانين من عمرها ، واخبرتها انني لا احتاج مساعدة لكى تجلس وترتاح ، فاجابت انها تعرف ذلك و لكنها ترغب أن تتعلم مما اقوم به !

وبعدها بسنين شعرت ان امى و اخواتها لايرون بعضهم بشكل كافى ، برغم انهم اخوة حقيقيين متكاتفين دائما فى مواجهة ظروف الحياة ، مثل اعلى للتكاتف و التساند بلا ضجيج او مساومة وكأنهم خلقوا لذلك ، فبادرت و نظمت لقاءا فى كازينو جميل وسط الحدائق جمعتهم جميعا ، وبعد نهاية اللقاء مالت على اذني وقالت متشكرين .

احب خالتي منيرة عبد العزيز

محمد مندور و ملاعيب شيحة التاريخية

" لي أكثر من ثلاثين عاماً أؤذن في مالطة "

وسط خضم المعارك الأدبية والسياسية التي خاضها إلى آخر لحظة فى حياته ، وسط غبار المعارك ، قد يتوهم المقاتل أنه يؤذن فى مالطة ، وعندما ينقشع غبار المعركة يكون قد رحل ولا يرى كيف تطورت نتائج ما قاتل من أجله ، فالمعارك ما زالت مستمرة وما زال يساهم فيها برغم رحيلة ، مازال ابناء نفس الجيش يخوضون معاركهم ضد قوى الظلام مسلحين بكل ما انتجة الجدود والآباء ، انها حرب طروادة تبعث من جديد ، ولكن ليس لعشرة سنوات فقط ، بل منذ عاد الشيخ المعمم من رحلتة الباريسية منذ ما يزيد عن مائة و خمسون عاما ، معارك ضارية يخوضها أبناء الفلاحين من أجل العدل والتقدم والحرية ، وعندما ينتقل أحد المقاتلين لا يغيب عن المساهمة فى المعارك بل يغير موقعة ليس إلا ، هؤلاء المقاتلون الكبار الراحلون الذين يقومون بما قامت بة الهة الاغريق فى دعم المقاتلين .

ان جيش الظلام ينهزم ، ولكنه لوسيفر الذى يبعث من جديد فى هيئة جديدة ، لكنه يتراجع و يفقد مزيدا من الأرض ، فلا تنخدعوا بغبار المعارك ولا التراجعات المؤقتة ، فتسلحوا بدرع اثينا و قوس أبولو وحكمة زوس .

اة لوكان حيا ليرى كيف ما زال يخوض المعارك بدعمه لمقاتلي جيش النور

الباز الاشهب بين الفرعونية و الصوفية

أحد أنواع الصقور يحلق عاليا وينقض بسرعة خاطفة و لا يأكل الجيفة ، من فصيلة الهبت الخيال الشعبى منذ زمان بعيد ، وما زالت تحظى بالإعجاب.

حورس الفرعوني ، الإله الذى أقام العدل وانتقم لوالدة وحمى فراعنة مصر ، كان يظهر فى هيئة الصقر ، و يحظى بمكانة خاصة فى الشعور الشعبى و فى الدين الرسمى.

كان من الطبيعى أن يندمج مع الصوفية وبالذات الصوفية الشعبية الأكثر اندماجا مع الجماهير الشعبية ، فكم من بشر تبنتهم الصوفية الشعبية لأسباب ليست دينية وحولتهم إلى أولياء يتوسطون لقضاء الحاجات ، مدد يا أم العواجز ويا قنديل أم هاشم ويا ابونا يحى حقى الذى كان يكتب الشعر نثرا .

ويأتى طارق مندور بالاتى من النت

"معنى الباز الأشهب : العلامة شهاب الدين الآلوسي يقول : « معنى الباز الأشهب عند الصوفية : المتمكن في الأحوال ، فلا تزحزحه الطوارق عن درجات الرجل ، مع الخلق بظاهره ومع الحق بسرائره ، رؤيته سنية ، وهمته عليّة وهو عون للخائفين وحظ للعارفين "

هو هو نفسه حورس صاحبنا القديم

ويكتب عبد الرؤف هيكل عن باز أشهب قريتة

"الباز الأشهب واحد من آل رسول الله صل الله عليه و سلم و قد جاء إلى منطقة تسمى جزيرة اللبن التي هي الآن كفر الباز و استوطنها و كان دليلا للحجاج و حاميهم من اللصوص و قطاع الطرق وهذه القرية هي التي ولدت و أعيش بها و أيضا أنور نصيروقد إشتهر الباز الأشهب بين الناس أن له كرامات و كان له ضريح فخم يزوره الناس من كل الدنيا و كان يقام له مولد مثل الحسين والسيدة و لكن اوقف المولد و هدم الضريح و بقي إسمه "

انة نفسة الحلم القديم ، حلم العدل والحرية و الحماية والشهامة ومساندة المظلوم والخلق الرفيع .

تحية من القلب لكل باز أشهب



الهدسون التي لم تكن هدسون وخد بالك يا إبراهيم

سيارة موديل 1948 كبيرة الحجم جدا الى مستوى إنها تتسع فى المقعد الامامى ل4 رجال من ضمنهم السائق ، كانت السيارة الأولى فى اسرتنا ، تم شراؤها فى نفس العام ، بتمويل من جريدتي الوفد و اخبار اليوم !

غريب وعجيب ! كيف يمول محمود ابو الفتح و الاخوة على ومصطفى أمين سيارة لمحمد مندور الديمقراطى الوطنى ذو الميول الاشتراكية و أحد زعماء الطليعة الوفدية ؟

كسب محمد مندور قضيتي تعويض ضدهما بمبلغ إجمالي 1500 جنية ، فمنجة نفسه بهذه السيارة بمبلغ 900 جنية و بشرق على العيال.

القضية الأولى ضد الاخوة امين ، ففى خضم المعركة الوطنية ضد معاهدة صدقى بيفن ، التى قادتها اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، التي وصفها محمد مندور فى مقالة هامة بالحدث الخطير ، اى اتصال الطلبة والعمال ، شن صدقى حملة امنية على زعماء الحركة بتهمة ....الشيوعية ، كالمعتاد ، وحبس مندور مع اخريين ، وتصدت اخبار اليوم للدفاع عن صدقى ومعاهدته بأساليب الصحافة الصفراء و الديماغوجية المعتادة ، فوصفت مندور ،بالمنشط الرئيسى على الصفحة الأولى ، بأنه واسطة حزب الوفد مع الكومنترن الذى كان قد حل سنة 1939 !! ، وسقطت المعاهدة و سقط صدقى ودفعت اخبار اليوم بعد أن خسروا قضية التعويض سنة 1948 .

والقضية الثانية ، قضية التعويض عن الفصل التعسفي ضد محمود ابو الفتح و جريدة الوفد ،التى كان يعمل بها مندور مديرا للتحرير، بعد ان استقال من الجامعة نتيجة لتعسف طه حسين معة ، فلقد فصل بعد ان رفضت ادارة الجريدة نشر مقال لة تعليقا على مناداة البعض بضرورة إصدار تشريع يمنع تغيير الأديان ، الأمر الذى اعترض عليه موضحا ان التشريع لايجب ان يتدخل فى الضمير الإنساني ، وقام بنشره فى الاهرام ، ففصلتة الجريدة لانة قام بالنشر فى جريدة منافسة ! ، ونتيجة للتدخلات طلب منه الاعتذار لإعادته لعمله ، فرفض وأوضح أنهم قد اشتروا قوة عملة وليس ضميره ، وتعرض لأزمة اقتصادية عنيفة ، ساعدة فى تجاوزها الجدين ، الجد البيولوجي والجد العلمى ، الحاج عبد الحميد مندور والاستاذ الكبير أحمد أمين ، وانتهى الأمر بالحكم على محمود ابوالفتح و جريدته بالتعويض ، وحضرت الهدسون وبعدها حضرت أنا !!

وتعلمنا جميعا قيادة السيارات على الهدسون و ارتبطنا عاطفيا بها ، ارتباطا يفوق الارتباط بسيارة العائلة ، فهى لم تكن مجرد سيارة بل قطعة من إحساسنا بالفخر لاننا نعرف كيف جاءت.

والغريب أن ابى لم يكن يشعر بالانزعاج ونحن نتدرب على القيادة برغم أنه لم يكن يعرفها لضعف بصره ، فقد كان يستخدم سائقا ويجلس فى المقعد الخلفى يقرأ ، وعندما يتوقف السائق ، إبراهيم ، تحت إلحاح أحدنا ، فى طريق السفر ، يكتفي بأن يقول " مين اللي هيسوق يا ابراهيم " ، فيأتيه الرد " خالد " ، المفعوص الذى بالكاد يستطيع ان يصل الى البدالات ، فيجيب "طب خد بالك " دون أن يتوقف عن القراءة ! رحب الهدسون



الاب و الجد ولابد مما منه بد

"ان كبر ابنك خاويه "
تلقيت تعليقات كثيرة حول العلاقة بين محمد مندور و أستاذه طه حسين متعلقة بما كتبته حول الهادسون وتعسف طه حسين ، وهو موضوع لم اكن احب ان اعود اليه ولكن يبدو اننى مضطر ، فاليكم ما كتبته سابقا بعد التعديل و الاضافة كى يكون الامر اكثر وضوحا .
مات محمد مندور فى حياة أستاذه طه حسين وابدى طه حسين حزنة البالغ على وفاة تلميذة الاول وانة لن ينسى ما عناه مندور فى حياته ، وفى مقال لمحمد مندور سنة 1962 بجريدة الجمهورية كتب تعليقا على ما صرح به لويس عوض ، في حديث لفؤاد دوارة ، بأن جيلهم لم يقم بما هو مطلوب منه فى دعم المواهب الجديدة ، نافيا ذلك بشدة ، حيث أكد أن جيلهم " قد كان أكثر موضوعية وأكثر دقة فى تزجية المواهب الجديدة ، ويكفينا اننا لم نحارب قط موهبة حقيقية وان المواهب التى عملنا على إبرازها لم تكن من قش بل كانت مواهب صلبة أثبتت وجودها ".
ويعلق على الجيل السابق بقوله " وإذا كان كل من هؤلاء الأدباء الكبار قد كان له تلاميذه وحوارية فيخيل الى اليوم ان موقف كل من هؤلاء الكبار من تابعيه قد كان موقفا عاطفيا أكثر منه موقفا موضوعيا ، ولسوء الحظ أخطأوا كثيرا عندما احتضنوا احيانا أشباحا لا مواهب حقة ، بل ويؤسفني ان اقول ان بعضهم حارب احيانا المواهب الحقة عند بعض تلاميذه ومريديه ذوي الشخصية و الاصالة مما ادى الى اختلاط الحابل بالنابل فى جيلنا الاوسط واحداث عملية تقديم و تاخير كان لها بالغ الضرر فى تطور الحركة الثقافية العامة فى بلادنا ، ولولا صلابة بعض هذه العناصر الممتازة لسقطت تحت وطأة الكبار ".
لقد ترددت كثيرا ان اكتب حول هذا الموضوع ، الموضوع الذى لم يصرح به اصحابه الا ضمنيا ، فالجد المكلوم يشعر بحزن بالغ لوفاة ابنة الاول ، و الأب الذى يكن احتراما عميقا لأبيه الثانى يقترب من حبه لأبيه البيولوجى بشعر باسى بالغ ، كما هو واضح مما كتبة ، وانا كذلك اشعر بحزن بالغ لم يمحوه الزمان ، ويزداد كلما ازداد وعي بما تعرض لة محمد مندور فى حياتة من مصاعب جمة بدون دعم حقيقي من ابيه الروحى ، بعد ان عاد من بعثته الاوربية ، الا فيما ندر.
فكيف بدأت قصة الخلاف
بدأت حين وضع طه حسين متطلبات السماح لطلاب بعثات الادب الى السوربون للتقدم للحصول على الدكتوراة ، متطلبات تتجاوز ما يتطلبه السوربون نفسه للسماح للطلاب التقدم للدكتوراه ، وهى ، بالمناسبة ، لم تطبق الا على بعثة واحدة كان من اعضائها محمد مندور كما سيأتي ، هذة المتطلبات كان من ضمنها الحصول على شهادة فى اللغة اللاتينية والتي ألغيت فى البعثات اللاحقة.
ولكن الشاب الذى ولد متمردا والذى دفع استاذة بتمردة الى حدوده القصوى ، لم يكن مقتنعا بضرورة دراسة اللاتيني حيث كان يعتقد ان دراستها تضيع للوقت مع لغة ميتة ولم يكن يحبها رغم قدرته الفائقة على الاستيعاب و الدرس ، اذا كان مقتنعا ، فيكفى انه درس فى قسم اللغة العربية و فى الحقوق و في قسم الاجتماع في نفس الوقت ، وكان الأول فى الآداب بقسم اللغة العربية و من الاوائل فى الحقوق ولكنه ترك الاجتماع في السنة الثالثة لتخفيف الحمل ، ولكن استعاض عن اللاتينى بالكثير من الدراسات العليا الأخرى مثل حصوله على دبلوم فى القانون و

الاقتصاد و دبلوم في صوتيات الشعر العربى و دبلوم فى تاريخ العمارة ، اى ان خطته كانت الاستعداد الحقيقي للزمن القادم ، حتى وان كان لايدرك بعد ما هو دوره فى هذا الزمن القادم .
ولم يستطع الحصول على شهادة اللاتينى المطلوبة وقامت الحرب الثانية فاضطر الى العودة كامل التسلح بالمعرفة الشاملة و مستوعبا لروح العصر و لكن دون شهادة الدكتوراة اللعينة التى لا تعنى فى احيانا كثيرة شيئا.
وبحثوا له عن دور يؤديه في كلية الاداب ، فكلف بتدريس الترجمة من الانجليزية ! ، وفي العام اللاحق نجح استاذة احمد امين ان يجد لة مكانا فى تدريس الترجمة من الفرنسية ، ولكن المتمرد الاصيل شعر بالغضب و قرر أن يحصل على الدكتوراه ، فى نفس الوقت الذى نقل فيه طه حسين مديرا لجامعة الاسكندرية ، فتوجه الى الاستاذ الكبير أحمد أمين كى يكون مشرفا علية فى الدكتوراة ، فكانت الطامة الكبرى التى قسمت ظهر البعير ، ألا يكفى انه لم ينفذ تعليمات الاب بدراسة اللاتيني بل يتمرد عليه ايضا باختيار احمد امين مشرفا ، و بالقطع فإنه تمرد لادراكه ان طه حسين ليس أبا ديمقراطيا ولم يكن سيسمح له بالتقدم للدكتوراة .
وكان تحديا علميا كبيرا ، فلقد نجح فى الحصول على الدكتوراة فى ستة أشهر فقط لاغير ، هذه الدكتوراه المعروفة الآن بكتاب " النقد المنهجى عند العرب " ، وهو أحد أهم كتبه على الإطلاق.
ولكن الاعيب الزمن تستمر ، وينقل محمد مندور إلى جامعة الإسكندرية لوجود أماكن شاغرة ، ولكن طه حسين يرفض الاعتراف بالدكتوراه و لا يتم تعديل وضعه ، ويتزايد تمرد مندور فى مواجهة التحديات ، وهو الأمر المعتاد في سلوكه ، فيستقيل من الجامعة و ينطلق فى بحر الحياة متمردا لكي يصبح مندور مندور .
فالجد هو الذى دعم واستثار التمرد الأصيل لدى تلميذه ، الذى مارس التمرد إلى مداه الكامل فتمرد حتى على أستاذه ، الذى لم يستطع ان يستوعب ان تمرد تلميذة هو بالضبط ما كان يستحثة عليه ، ولولا هذا التمرد لما أصبح محمد مندور الذى نعرفه ، ولكان قد اكتفى ان يصبح استاذا جامعيا مرموقا ، مثلة مثل الأبناء الآخرون النابهون ، مثل سهير القلماوى أو شوقى ضيف .
فان كبر ابنك خاويه حتى لا تصيب الأحفاد " بوجع القلب "





أنا والشعر الابيض

احب الشعر الأبيض منذ أن كنت طفلا ، فى الغالب لاننى كنت احب احد اعمامي بشكل خاص ، الدكتور مصطفى مندور ، الذى نال الشعر الابيض و هو مازال شابا ، وكان شديد اللطف ودودا وبسيطا وصاحب قدرة على التصادق مع الاطفال ، وكنت اعتقد ان صاحب الشعر الأبيض لابد وحتما أن يكون مثله ، وشاب شعري وشعر اصدقائى و معارفى ، وبدأت أنظر إليهم لعلني أجد ما توقعته ويا لهول ما وجدته ! .
فمن كان حكيما ازداد حكمة بخبرة السنين ، ومن كان احمقا أصبح أكثر قدرة على إخفاء حماقته ، ومن كان صاحب قدرة تحليلية زادت قدراته ، ولكن لا يسقط شيء من السماء ، بل تبقى الملامح الرئيسية كما هى مع بعض التعديلات التى قد تكون الشعر الأبيض فقط !
فيا أصحاب الشعر الأبيض لا تتكلموا كثيرا لعلنا نستمر فى الحصول على الاحترام ، لان شعرنا أبيض !!

د.محمد مندور واخر العنقود

يوضع سره فى أصغر خلقه ، سبحان الله ، جاء إلى الدنيا بدون قرار من الأبوين ، جاء ودون ان ادري أصبحت اعتبرة من مسؤلياتى وأحمل همة ، دون أن يدرك ذلك أحد حتى هو ، الامر الذى لم يعرفه الا بعد سنوات طوال.
ويقوم ، اخر العنقود ، بجهد تاريخى فى استدعاء محمد مندور من جبل الأولمب كى يشارك فى دعم مقاتلوا جيش الحرية والعدل والديمقراطية ، فيجمع كل ما لم ينشر من كتاباته فى كتب ، ومازال يفعل ذلك حتى الآن ، وسيصدر كتاب جديد قريبا بة الكثير من اراء محمد مندور عن الشعر و اشياء اخرى.
فشكرا لاخر العنقود من د.محمد مندور وابنائه واحفاده و ابنائهم ومن كل من يساهم فى جيش النور ، وكل سنة وانت طيب .

الشعر و الخيال وأحلام البشر

لو تأملت الصورة الشعرية في كيف انبثقت اثينا ، الهة الحكمة ، من رأس زيوس ، ابيها كبير آلهة اليونان ، لأدركت قيمة وقوة هذه الصورة الشعرية .
لقد حاولت البشرية الوصول الى تفسير للحياة و الكون وهو ما تجلى أوضح ما يكون في الديانات القديمة ، وكانت تخيلاتهم تعكس أحلامهم وآمالهم سواء فى الحياة الدنيا ام فى الاخرة ، وكان التعبير عن هذه التفسيرات تعبيرا شعريا بالغ الرهافة و الجمال ، ولا أعني بهذا انهم قد صاغوا هذه التصورات شعرا كما نعرفه الآن ، ولكنهم صاغوة شعرا رغم ذلك !
فالشعر فى تقديرى هو صور شعرية متتابعة ومترابطة ، ولا اريد ان اخوض فى النقاشات الطويلة حول وحدة القصيدة او الشعر المنثور وغيرها من المسائل لاننى غير مختص ، ولكن الأمر ، فيما يخصنى كقاريء ، هو الصورة الشعرية ، وهو ما نجح فيه بابداع كبير الفراعنة واليونانيون القدماء.
وما زال الشعر أحد أهم وسائل التعبير عن أحلام البشر



البطولة والاهداف المخفية

سؤال يحيرنى منذ زمان بعيد حول من هو البطل ، ولماذا كانت بعض الشخصيات التاريخية تأسر قلبى ، هل البطل هو من يقوم بواجبة ام هو الذى يتخطى الواجب و يتجاوزة الى ما هو أبعد ، ام ان كلاهما بطلا ؟
عندما كنت اقراء عن ثورة 1882 لم يكن عرابى او عبد العال حلمى او على فهمى هم من يخطفون قلبى ، برغم انهم كبار قادة الثورة ، ببساطة لانهم اكتفوا بالقيام بواجبهم ، ولكن ثلاثة شخصيات اخرى كانت تجذبنى ، اولهم محمود سامى البارودى ، الشركسى وصاحب الاملاك الذى

ضحى بمصالحة و انضم للثورة ، ثم محمد عبيد الذى لم ينتظر احدا وهاجم سكنات قصر النيل كى يحرر قادة الثورة ثم قاتل فى التل الكبير و لم ينسحب او يسلم حتى استشهد ، وثالثهم عبد اللة النديم الذى رفض الهزيمة ولم يستسلم ابدا حتى توفى فى المنفى .
وفى التاريخ الاحدث ، كان عبد الحكم الجراحى يأسرنى لانة رفع العلم الذى سقط من ايدى عبد المجيد مرسى عندما استشهد وهو يعلم ما سياتى ، الامر الذى ادركة الشعور الشعبى فهتف لة " رفعت العلم يا عبد الحكم ".
وفى تاريخنا الحديث ، فى حرب اكتوبر ، شارك عشرات الالاف فى معاركها ، وقاموا بواجبهم على اكمل وجهة ، ولكن معاير البطولة طبقا للقوات المسلحة ، لا تنطبق عليهم جميعا ، وهو ما اتفق معة ، ولذلك قلدت القلة منهم الاوسمة .
والان اجد توجهة غريب لدى البعض لاعتباركل من ساهم فى هذة الحرب بطلا ، اى ان لدينا مئات الالاف من الابطال ، فقط لانهم قاموا بواجبهم ، الذى نقدرقيامهم بة تقديرا عاليا و نشكرهم علي ذلك ، ولكنهم ليسوا ابطالا ، الابطال هم من كافئتهم القوات المسلحة بالاوسمة لقيامهم باعمال استثنائية ، وبالذات من ضغار القادة و الجنود .
ان الاصرار على مثل هذا التوجهة ، الذى اعتقد انة يهدف لاشياء اخرى ، يمثل فى تقديرى اهانة لكل ابطال هذة الحرب و لكل من ساهم فيها وللقوات المسلحة نفسها.



دفاعا عن شرف الأمة

أمر لا مساومة عليه ولا أوهام ليبرالية حوله، شرف هذه الامة يتمثل فى كل من دافع عن عقلها و بذل جهدا لتنويرها ، لاننى نواجهه الآن هجمة ظلامية ومسلحة تغتال الأبرياء وتدمر حاضرنا ، ووصلت تأثيراتها الفكرية الى عقول الجماهير، هجمة ليست مرتبطة بيناير وما بعدها ، هجمة تراكمت قواها منذ عقود وما زالت تحاول بمختلف الاساليب ، تباشيرها كانت واضحة منذ 1928 وكشفت عن مستقبلها باغتيالات 1948 ، ولذلك انتابني غضب شديد عندما نشرت تعليقات قديمه مسفهة لأحد رواد العقل والتنوير ، فى نفس الوقت الذى لا أدعو الى تأليه هؤلاء الرواد او عدم الاختلاف معهم ولكن لابد من احترامهم و نقاش آرائهم بمنتهى الجدية بما يعمق العقل والتنوير ويقف فى مواجهة الظلاميين.
لقد تمنيت سابقا ان نواجهة قوى الظلام باستخدام مدفعيتها الثقيلة ، برفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وشبلي شميل وطه حسين وأحمد أمين وسلامة موسى و مندور ولويس عوض و محفوظ ويوسف إدريس وصلاح عبد الصبور و سيد حجاج وأمل دنقل وابنائهم واحفادهم ولا ننساق ابدا لما يضعف سلاحنا.
ولذلك اعيد نشر ما كتبته سابقا عن سلامة موسى مؤكدا للجميع "ان اللى خلف مامتش ".

المراحيضى و المعقود

فى نقاش قديم على صفحات الجرائد ، كتب الجد سلامة موسى ، ان أحد معايير التقدم ان يكون فى منزل كل فلاح مرحاض ، ولان عباس العقاد كان على طرف نقيض من التوجهات الفكرية و السياسية وحتى الصفات الشخصية لسلامة موسى ، و فى احيانا كثيرة كانت ردودة عنيفة ،

خصوصا مع من لا يتفق معه فى الآراء ، حيث كان شديد الفردية وغير متواضع ، فلقد علق على ما كتبة سلامة موسى بإطلاق لفظ المراحيضى علية ، وبرغم مرور ما يزيد على ستون عاما على هذا النقاش ، فما زالت خمسون فى المائة من منازل المصريين غير متصلة بشبكة المجاري العمومية و ما زالت مياة المجارى لهذة المنازل تصرف ، اهليا ، في قنوات الصرف الزراعى او فى النيل ، وما زالت نسبة كبيرة من ناتج شبكة مياه المجارى تصرف بنفس الطريقة من محطات المجارى غير مكتملة المعالجة ، رغم الجهد الذى ازداد لتعميق معالجتها ، خصوصا فى العام الأخير

وبعد هذا النقاش بما يقرب من عشرون عاما ، يشتبك العقاد من جديد مع محمد مندور على صفحات الجرائد ، حيث كان العقاد قد اكمل تحولة الى قوة معيقة للتقدم ، خصوصا عندما ترأس لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، حيث كان يحول ما يصل اليها من الشعر الجديد ، اى شعر التفعيلة ، إلى لجنة النثر للاختصاص !! ، اى ان شعر صلاح عبد الصبور و حجازى و ملك عبد العزيز و نازك الملائكة والسياب وغيرهم ، هو مجرد نثر ، و حيث أن محمد مندور كان من نفس الفصيل المتناقض مع توجهات العقاد ، الفكرية و السياسية و الاجتماعية وحتى فى صفاته الشخصية ، وكان فى نفس الوقت حاملا شهادات علمية عالية و كان تلميذا لطه حسين و صديقا لسلامة موسى ، ومدافعا كبيرا عن الشعر الفصيح و العامي الجديدين ، فإن كل هذا كان كافيا لأن يتلقى ردودا حادة وشخصية من العقاد تتجاوز حدود النقاش الادبى ، ولكنه يتلقى ردا مؤدبا لا يخلوا من حدة فيصفة مندور، بين السطور ، بالمعقود !!

وبرغم ذلك فلقد تلقيت درسا بليغا من ابى ، خلال هذه المعركة مات العقاد ، وكنت متابعا لها ، ولكن بموته انتهت الخصومة الجارية ، وكتب ابى عنه تقييما شاملا متوازنا و اعطاة حقة كاملا وخصوصا عندما كان دافعا للتقدم مع مدرسة أبوللو أو فى دفاعه الحار عن دستور 23 و عن البرلمان المنتخب سنة 30 والذى حبس من أجلها عاما كاملا ، فالعقاد لا يجب اختصارة فيما انتهى إليه بل يجب تبني نظرة شاملة لدورة ، يبقى اخيرا اننى مراحيضى الهوى !!



سلامة موسى "اللى خاف ما متش "

هوجم سلامة موسى سنة 1954 ، بتعبيرات مسفهة من توفيق الحكيم والعقاد و كامل الشناوي ، فيصفة العقاد بأنه ليس أديبا ولا عالما و فاشل ولايعبر الا عن الحقد ووصفة الحكيم بانة لايجب اعطاء حكمة وزنا لأنه توقف عن القراءة منذ زمن بعيد ، أما كامل الشناوى فيصفة بأنه حاقد موهوب يعبر عن آراء غيره ولا يعرف عن الأدب الأ عناوين الكتب .

وللاسف لااعرف اين نشر هذا و لكنى اعرف ان هذة التعليقات الصحفية جاءت فى ظرف دقيق كان الصراع يدور حولها حول شكل الحكم ، حيث من الواضح ان موقف سلامة موسى كان واضحا ، اتساقا مع تاريخه كله قبل وبعد 54 ، اى مع شكلا ديمقراطيا للحكم.

ان كل منهم يبحث عن ما يتوقع أن يجده فى سلامة موسى وهو ما يعني وبكل وقاحة أنهم لم يفهموه و فى الغالب لم يقراوة ، فهو ليس أديبا او عالما او حتى حاقدا ولا يهم كثيرا أن كان يقرأ أم لا ، بل هو أكثر من هذا بكثير ، سلامة موسى أحد رواد العقل والتنوير ولعب دورا يتجاوز كل هؤلاء حتى يتجاوز دور توفيق الحكيم نفسه ، ولم يبخل بماله او جهده فى الدعوة لما يعتقده .

فهو لم يبشر بالديكتاتور العادل فى عودة الروح سنة 1938، كما فعل الحكيم ، الذى عاد إليه وعيه بعد ان خربت مالطة ، وبعد ان اصبحت عودة الوعى أمنة سنة 1974، وإن كان يبقى للحكيم انه احد رواد نشأة المسرح المصرى المعاصر و انتا جة الادبى والفنى الممتازين.

والعقاد المعقود الذى كان قد تخلى عن دفاعه عن التقدم و الدستور منذ منتصف الاربعينيات أصبح عائقا للتقدم ، وظل يحظى بالتكريم الى ان توفاة اللة ولكن يبقى منه ايضا دوره التاريخى قبل ذلك برغم المزالق الكثيرة التى وقع فيها.

أما كامل الشناوى الغلبان الذى وجدة نفسه بين شقى الرحى وهو لا طاقة له بها فقد كذب برغم نصائحه بالاتكذبى إيثارا للسلامة في زمن اغبر طال غيرة بالأذى مثل لويس عوض ومحمود أمين العالم.
سلامة موسى الذى دافع عنه محمد مندور دفاعا مجيدا فى مقال بمجلة الثورة بعنوان "سلامة موسى المفترى عليه " و"الرائد سلامة موسى..مقدمة كتاب ..انتصارات إنسان. 1960".
يبقى أن أقدم شهادتي الشخصية عن سلامة موسى ، فمن يتهمه بالحقد اما انه مجنون لا يعي او يفعل ذلك لاسباب سياسية ، فلقد كان وديعا مهذبا شديد التواضع جاذبا للاطفال .
يبقى اخيرا ان نكون اكثر حرصا فى استدعاء الماضي بدون استدعاءه كاملا بظروفة وشروطه وتقديمه بموقف نقدي واضح حتى لايساء فهم هذا الاستدعاء لاننا فى ظروف دقيقة ، مجتمع تخلف وعيه تحت تأثير متراكم من قوى الظلام التى تلجأ بعض فصائلها للسلاح فتقتلنا و تهدد مستقبل اولادنا و بلادنا .
فيا جدنا العظيم سلامة موسى " اللى خلف ما متش " ، ويدافع عنك الابناء و الاحفاد لأنهم يدافعون عن نفس حلمك ، العقل والتنوير والحرية ، وسيستدعونك من قمة جبل الأولمب للمشاركة معهم من اجل مستقبل افضل. .



حرقة القلب واندفاع الشباب وحكمة الشيوخ

احترق قلبى فى أعقاب هزيمة 1967 ، فاندفعت اقراء كل الكتب التى تتحدث عن الاستراتيجية والخبرات العسكرية ، فقرات لليدل هارت و هانز جودريان و فون مانشتاين وفولر وزوكوف ومقالات محمود عزمى الممتازة التى كان ينشرها فى مجلة الطليعة عن خبرات الحروب فى الصحراء ، وعن خبرات الحرب العالمية الأولى و الثانية و حروب العصابات ، وتابعت انواع الاسلحة و تطورها وكيفية استخدامها ، ويزداد قلبى احتراقا ، الى ان نشر حسنين هيكل مقاله الشهير سنة 1970 " تحية الى الرجال " وأصابني غضب شديد من هذا المقال ولعنت سلسفيل خاش امة ، ولكن وبعد مرور كل هذه السنين وبعد تكشف الكثير من الحقائق يبدو انه كان اكثر واقعية من الشاب المحترق قلبه.
وعندماقامت حرب 1973 كنت اجلس على الخازوق ، بطريقة العصور الوسطى ، انتظارا لتطوير الهجوم الى الممرات ، ولم يحدث هذا ، ومازلت جالسا على الخازوق ولكن ليس وحدى !
اليكم مقال هيكل
تحية للرجال...
لقد كان لابد اليوم من وقفة بالتحية أمام الرجال الذين قد يضع التاريخ فى أيديهم ومع أى لحظة، مسئولية وواجب القتال من أجل التحرير.
وبعد هذه الوقفة، نعود فى الأسبوع القادم - بإذن - إلى بقية حديث متصل عن "تأملات حول الصراع الكبير".
لابد لى اليوم من وقفة بالتحية، أمام هؤلاء الذين يحملون الآن أغلى أمانة فى تاريخ مصر.
هؤلاء الذين صدرت إليهم الأوامر ليكونوا على استعداد دائم، يصل الليل بالنهار والنهار بالليل تحسباً للحظة قد تجىء فى أى وقت.

هؤلاء الذين سوف ينطلقون مع عواصف النار والدخان والرعود الداوية والبراكين الهادرة على الأرض والصواعق الطائرة فى السماء.
هؤلاء العاملون فى صمت، المقتحمون فى جسارة، المضحون فى جلال، الزاحفون، برغم كل شىء، إلى هدف يتحتم بلوغه لأن أمن مصر وقدر مصر ومستقبل مصر معلقة به.
وأمن مصر وقدرها ومستقبلها، هى نفسها، أمن وقدر ومستقبل أمة بأسرها تعيش نقطة فاصلة فى تاريخها.

....

هؤلاء الرجال على جبهة القتال المصرية لا تكفى لتحيتهم اليوم عيون القصائد من دواوين الحماسة، ولا تنصفهم منابر الخطابة مهما اهتزت وارتجت عاطفةً وانفعالاً.
شىء واحد قد يكفى فى ظنى وقد يفى، وهو أن يكون شعبهم وأن تكون أمتهم على علم وبينة بالصورة العامة التى سوف يمارسون فيها دورهم الوطنى والقومى، ذلك أنه بالقياس إلى حجم المهمة وظروفها، تبدو قيمة الجهد وتكاليفه.
وهذا ما أحاوله فى هذا الحديث، وبالقدر الذى تسمح به متطلبات الأمان وهذه لها أولوية لا يسبقها اعتبار آخر.
أولاً:
إن القوات المسلحة المصرية تواجه معركة من أصعب معارك التاريخ، وليست هذه صيغة مبالغة، وإنما هى وصف حقيقة.
وعلينا أن نتمثل أمامنا طبيعة الأرض التى قد يجد الجيش المصرى نفسه أمامها، ثم ما أقامه العدو من مواقع على هذه الأرض استغلالاً لطبيعتها.
إذا فعلنا ذلك فسوف نجد معالم الصورة تطالعنا على النحو التالى:
1 - مانع مائى خطير هو قناة السويس.
2 - كثبان رملية على شاطئها الشرقى مباشرة تجمعت وتراكمت بالظروف الطبيعية، ثم أضافت إليها عمليات التطهير المستمرة فى قناة السويس، وكانت دائماً تلقى بقاياها فوق الناحية الأخرى، وعلى هذه الكثبان أقام العدو خطه الدفاعى الأمامى على حافة الماء مباشرةً.
3 - منطقة رمال مفتوحة بعد ذلك ولكنها محاصرة بين شاطئ القناة وبين بداية المرتفعات نحو منطقة المضايق الحاكمة فى سيناء والتى لا تبعد عن القناة نفسها بأكثر من ثلاثين كيلو متراً.
4 - منطقة المضايق نفسها وهى طبيعة صخرية شديدة الوعورة وعليها أقام العدو خط دفاعه الثانى.
5 - الصحراء المكشوفة حول منطقة المضايق وما وراءها بما تقدمه من فرص لعدو يعتمد كثيراً على الطيران.
هذه هى طبيعة الصورة التى يجب أن نتمثلها تماماً ونتفهم تفاصيلها لأن ذلك سوف يتحدث عن الجهد البطولى لرجالنا بأكثر مما تتحدث عنه الكلمات حتى إذا كنا ننحت هذه الكلمات من صميم القلوب.
تبقى الطبيعة أبلغ دائماً من كل الأوصاف.
نلقى نظرات أكثر تأنياً على أهم هذه المعالم التى صنعتها الطبيعة أو أقامها العدو استغلالاً لهذه الطبيعة... وبالذات قناة السويس والشاطئ الآخر.
1 - قناة السويس.
معنى ذلك أن الجيش المصرى فى تقدمه سوف يواجه ما لم يواجهه جيش من قبل. وأظنها سوف تكون - فيما أذكر - أول مرة فى تاريخ الحروب يواجه أى جيش أمامه:
- مانعاً أو عائقاً طبيعياً صعباً [قناة السويس].
- ثم خطاً دفاعياً أقيم على حافتها مباشرةً [خط بارليف فى وضعه الجديد].
من قبل واجهت الجيوش المتحاربة فى أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية عوائق مائية، نهر "الفولجا" فى الشرق أو "الراين" فى الغرب مثلاً - ولكن هذه الأنهار الطبيعية لا تشبه ولا تقارب قناة السويس عمقاً أو عرضاً أو مجرى.
ومن قبل واجهت نفس الجيوش المتحاربة فى أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية خطوطاً دفاعية حصينة، خط "ماجينو" الذى أقامته فرنسا أو خط "سيجفريد" الذى أقامته ألمانيا مثلاً، ولكن هذه الخطوط الحصينة لم تكن قابعة على حافة مانع مائى خصوصاً إذا كان هذا المانع هو قناة السويس.
3 - إذا ألقينا بعد ذلك نظرة على منطقة الرمال المفتوحة فيما يلى الكثبان الرملية المطلة على حافة قناة السويس..
فإن هذه الأرض المحصورة - بين كثبان الرمال وبين مرتفعات منطقة المضايق - هى الأرض التى كان العدو فى مرحلة سابقة من تخطيطه يريدها مسرحاً أساسياً لعربدة طيرانه ضد قوات أى عبور مصرى.
وبعد إتمام تركيب شبكة الصواريخ المصرية غير العدو تخطيطه لأن مدى هذه الصواريخ يمكن أن يغطى هذه المنطقة ويجعل عمل الطيران فوقها محفوفاً بالمخاطر.
وهكذا فى التخطيط الجديد - فيما تقول مراكز الأبحاث فى الغرب - نقل العدو مسئولية العمل فى هذه المنطقة من الطيران إلى المدرعات.
أصبح قراره أن يوجه الصدمة الأولى ضد قوات العبور المصرية من خط التحصينات على حافة القناة... لكى تكون هذه التحصينات طبقاً للتصور الإسرائيلى بمثابة مصفاة.
وما ينفد من المصفاة تتلقاه قوات المدرعات فى المنقطة المفتوحة المحصورة بين كثبان الرمال وبين بداية المرتفعات نحو المضايق.

4 - والمضايق بعد ذلك هى خط الدفاع الثابت الثانى بعد الخط الأول المرتكز على حافة القناة.
ومنطقة المضايق سلاسل جبال تتشابك وتدور حول بعضها وهى فى تقدير كل المهتمين بدراسة سيناء - المفتاح الرئيسى للسيطرة على هذه الصحراء المقدسة.
وكانت منطقة المضايق هى هدف عملية الإنزال المشهورة فى ممر ميتلا سنة 1956 وكان الإنزال فيها ثنائى الهدف:
- احتلالها ومنع الكتائب المصرية القليلة فى سيناء وقتئذ من التمركز فيها لوقفة دفاعية تصد الجيش الإسرائيلى عن الوصول إلى قناة السويس.
- ثم إن احتلالها إذا تم بعملية إنزال سريعة تعطى الإسرائيليين فرصة ليعلنوا أن قواتهم وصلت إلى بعد خمسة وثلاثين كيلو متراً من قناة السويس وكانت هذه هى الإشارة المتفق عليها لتتم المؤامرة الثلاثية. ويعلن إيدن - رئيس وزراء بريطانيا - وموليه - رئيس وزراء فرنسا - أن بلادهما سوف تضطر إلى التدخل لفصل المتحاربين حول القناة ولحماية هذا الممر الهام للملاحة العالمية.
5 - وأما الصحراء المكشوفة من حول منطقة المضايق وما وراءها فليست عليها موانع طبيعية حتى بلوغها خط الحدود المصرية الدولى تقريباً.
وفى هذا الاتساع الصحراوى الشاسع والمفتوح فإن إسرائيل تعتمد على المناورة بالمدرعات وعلى تركيز الطيران.
هكذا فإن خطة الدفاع الإسرائيلى أصبحت تعتمد على خطين ثابتين:
الأول - القناة وخط بارليف.. والآخر - جبال المضايق.
كذلك فإنها تعتمد على منطقتين مكشوفتين لعمل المدرعات والطيران:
- أولاهما المنطقة المحصورة ما بين كثبان الشاطئ الشرقى إلى المضايق..
- والأخرى الصحراء المفتوحة من حول المضايق وما يليها.
....
هذه لمحات سريعة كأنها جوانب مشهد يلتقطه البصر فى طرفة عين ويمضى بعده بسرعة إلى بقية مشاهد الصورة العامة التى سوف يمارس فيها الجيش المصرى دوره الوطنى والقومى.
ثانياً:
إن الجيش المصرى سوف يواجه المعركة وحده.
سوف تصدر بيانات تعلن عن رفع درجة الاستعداد فى جيوش عربية أخرى.
وسوف تنطلق إعلانات تذيع أن قوات هذا البلد أو ذاك على استعداد للتوجه إلى ميدان القتال.
ولكن من سوء الحظ أن المعارك لا تُخاض بالبيانات والإعلانات.
ومن سوء الحظ أكثر أن هذه البيانات والإعلانات لا تساعد الجيش المصرى بقدر ما تساعد عدوه.
وللعقيد معمر القذافى فى هذا التقليد العربى رأى نافذ ولعله رأى جارح يقول فيه:
- لماذا ندعى بعكس الحقيقة... لماذا لا نقول برجولة أن الجيش المصرى وحده فى الميدان؟
المشكلة أننا حين نغالط وندعى بوجود غيره فإن كل ما نفعله هو أننا نوحى للعالم أن إسرائيل محاصرة بعدة جيوش وأن دولاً عديدة تكالبت عليها وبالتالى فإننا نفتح لها الباب لكى تشد غيرها معها فى المعركة.
يبقى الجيش المصرى أمامها وحده، وتستغل هى الأوهام التى نطلقها نحن فتجئ بغيرها يساعدونها بالطريق المباشر أو غير المباشر على أساس خرافة أن الأعداء أطبقوا عليها من كل جانب!!
لماذا لا نقول الحقيقة ولو مرة واحدة.
ونقولها ولو حتى بالسكوت ما دمنا لا نملك غيره؟".
مجرى مائى بعرض مائتى متر وبعمق أحد عشر متراً يمتد على خط مستقيم بين بحر وبحر... لا يتعرج مجراه ولا يدور، لا يرتفع منسوب الماء فى مكان منه أو ينخفض فى مكان آخر وإنما مستوى واحد على طول الخط الذى رسم وشق وسط الصحراء، وليس هناك فوق هذا المجرى جسر أو معبر واحد.
ومن هنا فإن ثقاة العسكريين فى الغرب وفى الشرق يعتبرون مجرى قناة السويس واحد من أهم الخطوط الدفاعية الطبيعية فى العالم من حيث كونه مانعاً ضخماً أمام المدافع عائقاً ضخماً بنفس المقدار أمام المهاجم.
2 - الشاطئ الآخر.
على حافة الماء مباشرةً وعلى الكثبان الرملية أو تحتها بمعنى أصح أقام العدو خط دفاعه الأول تعزيزاً لدور المانع الطبيعى وهو قناة السويس.
وكان العدو قد بنى على هذا الشاطئ ما عرف فى مرحلة سابقة باسم خط بارليف وشلت المدفعية المصرية هذا الخط وفكت تماسكه ولكن العدو أعاد بناء هذا الخط فى الشهور الأخيرة وعلى صورة مغايرة تماماً للخط القديم.
وتقول تقديرات مراكز الدراسات العسكرية فى عواصم الغرب أن إسرائيل صرفت على إعادة بناء هذا الخط خلال الشهور الستة الماضية مبلغاً يزيد على مائتى مليون جنيه إسرائيلى "أى ثلاثين مليون جنيه إسترلينى" وكان السبب فيما يقدر خبراء هذه المراكز هو أن إسرائيل بعد إتمام بناء شبكة الصواريخ المصرية غيرت تخطيطها للمعركة القادمة.

- قبل عدة شهور كان تخطيطها أن تحارب معركتها ضد أى عملية عبور مصرية فى منطقة الرمال المحصورة بين كثبان شاطئ القناة الشرقى وبين صخور الممرات.
كانت مهمة خط بارليف فى تلك المرحلة هى تعويق أى عبور مصرى.
أما الطيران الإسرائيلى فكانت عليه مهمة التصدى لقوات العبور المصرية أثناء تقدمها بعد ذلك لمحاولة ضربها.
- وبعد إتمام بناء شبكة الصواريخ المصرية غيرت إسرائيل تخطيطها وأصبح قرارها - فيما يقدر خبراء المراكز العسكرية فى الغرب - أن تكون المعركة الكبرى ضد قوات العبور المصرية على حافة الماء مباشرة بواسطة التحصينات وبواسطة المدرعات وراء هذه التحصينات.
ومن هنا أعيد بناء خط بارليف وفق التصور الجديد للمعركة.
ثالثاً:
إن الجيش المصرى سوف يواجه الجيش الإسرائيلى بأكمله، وكل المعلومات - مرة أخرى لدى مراكز الدراسات العسكرية فى الغرب، وفيها الثقات والخبراء - تشير إلى أن ذلك هو المعنى، الذى يمكن استخلاصه من توزيع القوات الإسرائيلية على الجبهات العربية.
الجبهة الأردنية ليس عليها غير قوات الأمن الداخلى فى إسرائيل.
الجبهة السورية ليس عليها حتى هذه اللحظات غير لواء واحد.
والجبهة المصرية أمامها الآن فى سيناء - غير ما يمكن دفعه بسرعة فائقة من القوات الاحتياطية - ما يلى:
- فرقتان من المشاة الميكانيكية [35 ألف جندى].
- فرقة مدرعة [أربعمائة دبابة بأطقمها].
- لواءقوات كوماندوز محمول جواً بالهليكوبتر [70 طائرة هليكوبتر وثلاثة آلاف من قوات المظليين].
- مائة قاذفة ومقاتلة فى مطارات سيناء القريبة.
- ما بين ثمانمائة إلى ألف مدفع ثقيل.
هذا غير قوات خط التحصينات القابع على حافة الماء مباشرةً وحقول ألغامه، ونطاقات أسلاكه الشائكة، وأسلحته، وما زود هذا الخط نفسه به من المخترعات وحيل الخداع والتمويه.
وهذا أيضاً غير ما تستطيع إسرائيل دفعه بسرعة إلى مسرح العمليات المصرى فى حالة اتساع مدى القتال واضطرارها إلى التعبئة الجزئية أو العامة.
وفى هذه الحالة فإن الجبهة المصرية سوف يكون عليها أن تتحمل طاقة ثلاث فرق مدرعة [1300 دبابة] وخمس فرق من المشاة الميكانيكية، وقوة السلاح الجوى الإسرائيلى كلها [أى حوالى 600 طائرة بينها الفانتوم وسكاى هوك والميراج وغيرها].
رابعاً:
إن الجيش المصرى سوف يقوم بما يتحتم عليه أن يقوم به، ويواجه ما يتحتم عليه أن يواجهه بعد قرابة أربع سنوات حافلة.
1 - كان عليه فى بدايتها أن يتحمل خطايا هزيمة لم يكن الذنب فيها على المقاتلين [وتلك مسألة سوف يدور فيها بعد المعركة بحث طويل يضع الحق فى مكانه ويكتب التاريخ كما ينبغى أن يكتب التاريخ إنصافاً وانتصافاً].
2 - كان عليه أن يتحمل بعد ذلك استفزازات لا قبل لمقاتل شريف بتحملها ولكنه تقبلها بمنطق الكاظمين الغيظ انتظاراً للحظة يستطيع فيها أن يرد على النار بالنار.
ولكى يصحح تصوراً شاع، جعل عدوه أسطورة وجعل منه هو عبرة، والتصور بشقيه على غير أساس فلا عدوه يستحق أن يكون أسطورة ولا هو يستحق أن يكون عبرة!
3 - وكان عليه فيما تلا ذلك أن ينصرف لعملية إعادة بناء نفسه واستيعاب سلاحه واستعادة الثقة فى المثل الأعلى.
وكانت عملية إعادة البناء واستيعاب السلاح واستعادة الثقة، فى أصعب الظروف الطبيعية والإنسانية، من تحمل قسوة الصحراء إلى تحمل سيطرة العدو الجوية على السماء.
4 - وفى هذه الفترة واجه تجربة بالغة القسوة نفسها عليه، تلك هى أن العدو راح يتجنبه وينفذ من فجوات بعيدة إلى عمق مصر، يحاول منها أن يطول المرافق الحيوية أو يتجاوز ذلك إلى الإغارة على أهداف مدنية يقتل فيها الرجال والنساء والأطفال فى المصانع وفى المزارع وفى المدارس.
5 - وتوقفت قسوة التجربة النفسية، تفسح الطريق لتجربة أخرى.
تحول العدو من غارات العمق وراء الجبهة وصب جنونه كله على شريط رفيع من الأرض بمحاذاة الشاطئ الغربى لقناة السويس وبعرض ثلاثين كيلو متراً بعد ذلك عمقاً.
على هذا الشريط المحدد وهو ركيزة الخط الأمامى من الجبهة المصرية كان متوسط غارات العدو اليومية 150 غارة وكان معدل القصف متوسطه 1200 طن متفجرات كل يوم ولأكثر من مائة يوم متواصلة.
وكانت طاقة التحمل المصرى مجيدة حتى استطاعت طلائع شبكة الصواريخ أن تأتى بأسبوع "تساقط الطائرات" المشهور وهو الأسبوع الأول من يوليو1970.

6 - ثم وجد نفسه مدعواً بالتطورات أن ينتقل من عصر إلى عصر فى الحروب.. من عصر الحروب التقليدية إلى عصر الحرب بالإلكترونات، ومن عصر الرؤية النهارية بالنظارات المكبرة إلى عصر الرؤية الليلية بالأشعة تحت الحمراء.
7 - **وفجأة** - **والدنيا** هائجة مائجة - **رحل قائده الأعلى.**
إن الدنيا اهتزت كلها لرحيل جمال عبد الناصر، ولكن ما من مكان كان وقع الصدمة فيه مروعاً كما كان فى الجبهة.
كانت الصلة بين عبد الناصر والمقاتلين صلة من نوع خاص.
كان المقاتلون يعرفون أن الرجل الذى يمسك فى يده بزمام المعركة قادر على تحريك عوالم بأكملها وذلك عن طريق مكانته وشخصيته التاريخية التى تملأ منطقة الشرق الأوسط بأسرها وتؤثر منها على العالم.
كانت هناك هالة ثقة - صنعتها التجارب - تحيط به فى كل وقت... كان بشكلٍ ما رجل الأوقات العصبية، وكان رجل المعجزة فى زمان بعد عهده **بالمعجزات...**
لكن فترة الانتقال - من المعركة بوجود عبد الناصر، إلى المعركة على طريق عبد الناصر - **مرت بأمان.**
8 - وكان مطالباً فى النهاية بأن ينتظر السياسة تحل الأزمة - **بالسلم** - إذا لاح للسلم طريق.
أو تصدر إليه الأمر بالقتال، إذا استحال طريق السلم، وتكون على الأقل قد مهدت له الأجواء كى يؤدى مسئوليته فى أكثر الظروف السياسية ملاءمة لإنجاح مهمته، ومع المراعاة الكاملة لإطار التوازن الدولى الراهن وهو إطار لا يستطيع أحد أن يتجاوزه بسهولةٍ أو بيسر.
خامساً:
وطول الطريق ومنذ البداية وإلى النهاية فإن الجيش المصرى كان يراوده إحساس أصيل بالانتماء إلى شعبه.
وكان شعوره عميقاً بمدى التضحيات التى قدمها هذا الشعب حتى من قوت يومه لكى يوفر للجيش كل ما هو ضرورى.
وكانت القوات تتشوق مرات كثيرة إلى خوض المعركة ولو قبل تمام الاستعداد لها لكى تختصر بعض العبء على الشعب، وكانت فى ذلك على استعداد لأن تدفع الفارق من تضحيات بالدم إذا دعا الأمر.
وذلك شعور لا يستطيع أن يحس به غير الذين يستطيعون أحياناً أن يلمسوا نبض المقاتلين ويتسمعوا بشفافية العاطفة على دقاته وخفقاته.
وتلك ميزة من ميزات جيش الشعب يختلف بها عن غيره فهو ليس جيش حزب، ولا حزب جيش، كما أنه ليس أداة قمع لسلطان، أو طبقة فوق **الطبقات.**
وخلال الأيام الأخيرة، ومنذ أعلن أنور السادات فى خطابه إلى الأمة يوم الأحد 7 مارس "أنه قد جاءت اللحظة التى يتحتم فيها على كل مصرى أن يقف ليؤدى واجبه" - فإن أمة بأسرها كانت تحاول من بعيد أن تصغى لأحاديث الجنود.
وكانت الأصداء من هناك حماسة صافية، حماسة الشجاعة المبرأة من كل أثر للمزايدة التى شوهت مع الأسف وجه النضال العربى المعاصر.
هناك لم تكن حماستهم مزايدة... إنهم هناك على خط النار.
لا يزايدون.. لأنهم هناك على خط النار.



ابراهيم فتحى يتحدث عن محمد مندور

الجزء الاخير من مقالة فى الرد على برادة ، ولعل اهم استنتاجات قدمها

ان مندور كان ممثلا للشعب لدى حزب الوفد
والثانى " لا استطيع عرض نظريات مندور و تطبيقاتة ، فهى حية اليوم كما كانت عند كتابتها اول مرة يرددها الكثيرون دون ان يعوا انتسابها الى المعلم العظيم "
والثالث ، ان مندور لم يكن ماركسيا و لكنة كان اكثر يسارية من الكثير من الماركسيين..
فيالة من تقييم .

الفكر النقدى للديمقراطية الثورية

يجب أن نفرق فى كتابة مندور بين الاتجاه الفكرى ومضمونه الاجتماعى من ناحية وبين طريقة العرض سواء فى الصحيفة أو الكتاب أو المحاضرة الجامعية من ناحية أخرى. لقد كان سيف الرقابة وقانون المطبوعات والسجن والمحاكمة مرفوعا على رقبته ليل نهار. ولم تكن مناقشة نظام الحكم الملكى فى مصر مما يسمح به دستور ٢٣، ولم يكن ذلك من حق البرلمان، كما أن مجرد الدفاع عن الماركسية أو تحبيذها أو عرضها عرضا موضوعيا كان يعنى فى المذكرة التفسيرية لأحد القوانين الجنائية الشهيرة دعوة إلى قلب نظام الحكم بالقوة المسلحة.

لذلك من التجنى أن ينسب أحد إلى مندور قبوله للنظام الملكى هو والذى حارب كل دعائمه الاجتماعية والفكرية. أو أن يدرجه أحد فى إشكالية مع الذين كتبوا القصائد فى المليك المفدى.

كما أن العدالة الاجتماعية التى كان يقاتل من أجلها ضد «الباشوات الرأسماليين» الذين كانوا يتحكمون فى الشركات الكبرى ويمتلكون نسبة عالية من الأرض الزراعية، لم تكن منقولة عن برجوازية الغرب أو الاشتراكية الديمقراطية لليون بلوم. فلم يعرف عن أحد من هؤلاء «الاشتراكيين» حدة العداء للاحتكارات الرأسمالية والتشهير بها. وكانوا على رأس حكومات تستعمر البلاد العربية لصالح الرأسمال العالمى. كما كان دور مندور فى الهجوم على معاهدة صدقى بيفن، وبعض من قادة حزب العمال، دورا مشهودا فى كشف أن استمرار العلاقة مع «الانجليز» ورا - مايسمى بالدفاع المشترك.

أما استشهاد مندور بمراجع غربية لتبرير دعوته إلى تشريع نظام للضرائب التصاعدية أو لتحديد دور الرأى العام لتفادى الاتهام بقلب نظام الحكم بالقوة فلا يمكن أن يتخذ دليلا على تبعيته الثقافية للغرب. ولقد شعرت بالحيرة فى تلك الأجزاء من كتاب برادة التى يعتمد فيها على دراسات أنور عبد الملك عن المثاقفة والوقوف عند مجاور المثاقفين العربية (الاسلامية!) والغربية (البورجوازية!) دونما تركيب. فهل يعتقد أن الديمقراطية والمجالس التشريعية وسياسة الضرائب التى تأخذ فى اعتبارها مصالح الجماهير والحد من الاستغلال كلها خضوع للغرب وتكريس لتبعيته؟ حقا لابد أن تأخذ هذه المضامين الديمقراطية العالمية العامة أشكالها القومية

٧٣

التى تتلاءم مع درجات التطور الاقتصادى وطبيعة الهياكل الاقتصادية والصراع الطبقى والفكرى.

أما ترديد القول بالخصوصية الاستثنائية للعرب والمسلمين فهو تكريس للتخلف والعزلة. وربما كان من الأصوب القول إن الثقافة الرأسمالية فى الغرب القائمة على استغلال العاملين والمستعمرات، ليست نموذجا أبديا للتقدم بدلا من اجترار عبارات مثل الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا. وما أظن، براداة ينتمى إلى ذلك التيار.

ان مندور تابع متابعة متعمقة انجازات الأدب العربى والأدب العالمى، ولم يقف عند المتابعة فهو كما قال برادة بحق أول ناقد للأدب العربى، ويبقى أن يضيف أنه قد انتقد الحركة الفكرية والفنية «للغرب» أيضا مطورا ما وجده من كنوز ثمينة.

وهو يشبه الديمقراطى الثورى الروسى بيلنسكى، على سبيل المثال، فى بعض النواحى الرئيسية، السياسية والجمالية. لقد ناضل كما ناضل سلفه الذى ربما لم يهتم مندور بدراسته معبرا على حد تعبير لينين عن مصالح زوسع طبقات الشعب من أجل الحقوق الأولية التى كانت تنتهكها فى غلظة مؤسسات النظام» وكانت أفكار «مليكى وبلادى» عن كتلة قومية لاصراع فيها هى الفكر الذى يناوئه مندور، كما كان الفكر السلفى الذى يستجدى حتى عند أبرز الكتاب تصفيق المتخلفين باصدار كتب دينية لاتضيف جديدا وتبرر الأوضاع الظالمة فى العصر الملكى هدفا لهجومه الشجاع. ويوضح برادة فى هذا الصدد أن المثاقفة لم تظل متجمدة عند مستوى التقبل والاندماج (ص ٤٠) كما يبرز بحق أن مندور لايكتفى بنقل التفكير الأوربى، فالتفكير الخصب بألفاظ مندور «هو الذى نستمده من الحياة ونبنيه على الواقع، وعلى هذا لايكون لنا بد إذا أردنا أن نجدد حياتنا الروحية من أن نغير من مقومات تلك الحياة واتجاهاتها وقيمها» (الميزان الجديد ص ٦٨) (ولكن برادة يعود ليؤكد استنادا على أنور عبد الملك غياب «التركيب» كما أسلفنا).

لقد أكد مندور دائما الربط بين الفكر والفن وبين الواقع والحياة والابتعاد عن الخرافات ونقد العلاقات الاجتماعية وتحليل الاتجاهات الفكرية. وطوال الفترة السابقة لحركة ١٩٥٢ لم يتهادن مندور مع السلطة ولامع أساسها الاجتماعى، وكان ينتمى إلى يسار الحركة الوطنية بل إلى أقصى يسارها. وبعد ١٩٥٢ أكد على ضرورة الديمقراطية السياسية، وحاول أن يخوض عام ١٩٥٧ معركة الانتخابات لمجلس الأمة عن دائرة المنيل فى القاهرة أمام مصطفى كامل مراد على أساس من برنامج متسق الوطنية والديمقراطية. وكان أكثر يسارية من بعض الاتجاهات الماركسية التى أيدت فى البداية مصطفى كامل مراد على أنه من «ضباط الثورة» كما إيدت أحمد سعيد مذيع صوت العرب الشهير فى دائرة مصر القديمة المجاورة أمام «سيزا نبراوى» حتى رفض المرشحان



الحكومي تأييد هؤلاء الماركسيين لأنهم فى الزعم الكاذب عملاء للاتحاد السوفيتى. أما محمد مندور فقد رحب بالتعاون مع اليسار الشيوعى فى حملته الأنتخابية ودافع عن برنامج الجبهة الوطنية. الديمقراطية ولم يكن عجيبا أن اعترض عليه «الاتحاد القومى» ومنعه من الترشيح بحجة مدعاة وهى علاقته «بالوفد» ويعلم الجميع أن مندور كان ممثلا للشعب داخل الوفد، وكان يسجن متهما بالشيوعية وتوضع العقبات أمام قيامه بالعمل الأكاديمى والصحفى من جانب وزراء الوفد وبعض قادة الوفد، كما لم يشترك مندور فى البيان الذى كتبه عدد من اليساريين المعترض عليهم يعلنون تأييدهم للرئيس على الرغم من اعتراضه عليهم. وبمناسبة هذا الاعتراض، فلم يكن المطروح للمناقشة تأييد الرئيس فهو معلن فى البرامج والمواقف السابقة، بل الاحتجاج على هذا الموقف المعادى للديمقراطية من جانب الاتحاد القومى الذى فرض وصايته على حق الشعب فى الانتخاب. ومن المعروف أن المجلس الذى تمخض عن هذا الانتخاب ضم مايزيد على العشرين عضوا من الأعضاء السابقين للحزب السعدى حليف السراى والاستعمار دونما اعتراض.

ولم يتوقف مندور، بل جدد نكره ملتمسا السبيل إلى الاشتراكية مناديا بشكل خاص من الواقعية الاشتراكية. وعلى الرغم من انتقاداته الخاطئة لبعض المفهومات الماركسية التى يتوهم أنها حتمية اقتصادية أو دوجماطيقية (تقريرية فى ترجمة مندور) فقد عمد إلى محاولة تطعيم منهجه الديموقراطى الثورى بعناصر منها.

نموذج المثقف العضوى:

ويقحم برادة مفهوم جرامشى للمثقف العضوى فى غير سياق، وكأنه حكم قيمة يمتدح المثقف العضوى مقابل التقليدى.

وبادىء ذى بدء يقرر برادة أن مندور مثقف عضوى لأنه ينتمى إلى الطبقة الريفية المتوسطة

المتشبثة بالتقاليد وبتعاليم الدين الاسلامى والتى أسهمت عن طريق الفلاحين فى البادية (١١) أو بواسطة أبنائهم فى المدن فى الكفاح من أجل الاستقلال (ص ٦٧ وهامش ٢٦ ص ٨٣). وقد بحثت فى مرجع برادة وهو الأرض والفلاح لابراهيم عامر ص ١١٥ ومابعدها عن «البادية» فلم أجدها بطبيعة الحال ولعله يقصد الريف)

ويواصل القول «ولاشك فى أن حزب الوفد الذى كان يقوده فى البداية زعيم «فلاح» قد جعل منها (الطبقة الفلاحية) اداه سياسية قادرة على احراز الاستقلال وامتلاك السلطة.

ومن المعروف أن الفلاحين بالتحديد أو كتلتهم الأساسية «على الرغم من قيامهم بوظيفة جوهرية فى عالم الانتاج، لا يقدمون أو ينتجون مثقفيهم العضويين ولايتمثلون أى شريحة من المثقفين التقليديين، على الرغم من أن الطبقات الأخرى تأخذ من الفلاحين مثقفيها (ابناء الفلاحين) كما أن نسبة عالية من المثقفين التقليديين من أصل فلاحى» (كلمات جرامش من مختارات من دفاتر السجن- طبعة لورنس آند ديشارت الانجليزية ص ٦).

فالفلاحون المتوسطون لاينظمون أنفسهم بأنفسهم وليست لهم ايديولوجيتهم المستقلة، ومن النادر أن يكون لهم تنظيمهم السياسى الذى يقودونه كقوة مستقله.

وكلمة مثقف تقليدى لاتعنى ازدراء أو نقصا فى المكانة عند جرامشى بل تعنى المثقفين الذين يمثلون استمرارا تاريخيا فى المجال الثقافى لاتقطعه التغيرات الجذرية فى الاشكال السياسية والاجتماعية. وهم يرون أنفسهم مستقلين عن الطبقة السائدة (ص ٧)- وتضم فئة التقليديين كل الفنانين الابداعيين والمتعلمين عموما.أما المثقف العضوى فهو على علاقة أكثر مباشرة بالبنية الاقتصادية لمجتمعه مثل المنظم الرأسمالى. مثلا، وهو يحيا حياة طبقته ملتصقا بها منظما لها ناشرا وعيها.

ولاتعنى التقليدية هنا أنها فى تضاد مع التجديد والعصرية بل تصف المثقف المستمر عبر التاريخ داخل التراث الثقافى.

ولا أظن أن إدخال صفة العضوية على مندور يعنى عضويته فى الحركة الوطنية ثم سحبها منه بعد ذلك مما يفيد كثيرا. ومن الملاحظ أن الحدود الطبقية عند برادة مطاطة إلى أقصى مدى فهو يعتبر سعد باشا زغلول الوزير قبل الثورة (١٩١٩) والمحامى المثقف وصهر أحد كبار الملاك «فلاحا».

عودة إلى النقد:

والجديد الباقى عند مندور أنه يركز نظره فى الأدب باعتباره فنا لغويا، وموضع دراسته أو طابعة العلمى لايأتيه من علم الاجتماع أو النفس أو نظرية التطور بل من علوم اللغة ومناهج

اللغة (فى الميزان الجديد ص ١٨١). واللغة عنده ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات (ص ١٨٥). وهو يقارن بين عبد القاهر الجرجانى وبين «رأس علم اللسان الحديث فرديناند دى سوسير (رأس البنيوية) (ص ١٨٦). وهو لايرفض روح العلم وإن يكن يرفض العلموية المزيفة التى تطبق قوانين العلم الطبيعى والنفسى على الادب (ص ١٩٢). ويقترب مندور من إحاطة شاملة بالشعر فهو طبع ودوافع وارادة وجهد وصناعة، ولكنه لايعود بالأدب إلى الدراسة اللفظية التى افسدته وسلبته روحه. فاللغة مستودع تراثنا الروحى، ومن الثابت أننا لانملك من أفكارنا وأحاسيسنا إلا ما نستيطع ايداعه لفظا الذى يوضح الفكرة ويميز الاحساس (١٩٤)

والفكرة والاحساس فى الأدب عنده يولدان مجسمين فى العبارة، فلا تدرى أفطن الكاتب إلى الصورة أولا أم إلى موضوعها (أيذكرنا مندور بقول ماركس اللغة وعى عملى، واقع أول للفكر؟)

والنقد عند مندور وضع مستمر للمشاكل، ولكل جملة أوبيت مشكلة داخل النص، ولابد لنا من فلسفة كبيرة لنلاحظ مايقع عليه بصرنا (الوقائع الجزئية). ونحن لانقف عند الألفاظ أو الجمل وإنما ننظر فى المعنى عند تمامه والفراغ من تأليف عناصره المتابية. هكذا تكلم مندور بلسان الغد.

وهنا تجدر الاشارة إلى أن مندور يفرق بين الدراسات الأدبية وبين النقد الأدبى، وهو لايقحم الذوق المدرب فى الدراسة الأدبية لتاريخ الأدب أو عرض مناهجه ومدارسه ولكنه يؤكد على دور الذوق فى نقد النصوص الأدبية فالنقد ليس تحليلا وفق قواعد جاهزة لعينة معطاة. إنه يقوم على إدراك عالم لامتناه متعدد الأوجه هو العمل الأدبى، ودون التذوق مرشدا لاسبيل إلى دخول هذا العالم.

ولن استطيع عرض نظريات مندور وتطبيقاته، فهى حية اليوم كما كانت عند كتابتها أول مرة يرددها الكثيرون دون أن يعوا أنتسابها إلى المعلم العظيم.

والسؤال الذى يبقى. هل تستطيع البنيوية التكوينية أن تدرس فكرا فى مرحلة انتقال من المضمون الديمقراطى إلى المضمون الاشتراكى، ومن تراكم العناصر العلمية والجدلية إلى تكاملها تعبيرا عن مواقع طبقية متناقضة لشرائح تتجه إلى وضع الطبقة العاملة فى عملية طويلة الآمد حافلة بالتناقضات والمعوقات،؟

وفى النهاية، لقد كان موضوعى هو نقد النقد، لذلك لم أقف طويلا عند ما فى أطروحة الدكتور محمد برادة من نظرات نافذة وأحكام صائبة. وهى كثيرة تقدم زاداً للتفكير والاختلاف وطرح الاسئلة

ومرحبا بالربط بين البنية والتاريخ.. ولكن أيمكن للتضادات التى تفسر التزامن أن تصلح لتفسير التعاقب فى الزمان؟

.

جدو

عندما عدت الى مصر بعد غياب طويل تفاجأت ، لقيت شبان وشابات حلويين كدة و شكلهم يفرح بيقولولى ياعمو ، وكلما ينادينى احدهم انظر **خلفى** لابحث عن هذا العم واكتشف المصيبة التى اصابتنى ، عمو ...... عمو مين ياولاد ال .... ، ولم يتوقف الامر عند هذا الحد المؤلم والمفرح ايضا ، فبعد سنوات اخرى ترقيت وبداءت المسخرة ، ولكن مسخرة احبها فلقد اصبحت جدو ، وانتظر بفارغ الصبر الان العلاوة التى **اعتقد** انها ستكون الاخيرة ، ابو جدو ، بس اياكم والتريقة (مش ملعون ابو جدو يعنى) .
هكذ حال الدنيا ايها الجدود والنصيحة من القلب ، العبوا مع العيال !
بحب جدى ، الحاج عبد الحميد مندور



الصندوق السحرى وامى

عندما افتح الصندوق السحرى ، عندما تعلمت القراءة ، خرج منة ساحر عجيب ، قصير القامة ممتلىء الجسد قليلا وذو شارب هتلرى صغير ، ويالة من ساحر ، اعطانى عبداللة البرى و عبد اللة البحرى وعمارة وعلى بابا وصراع الاخويين وعفريت اللصوص وامير العفاريت ، واستمر يعطينى وانا اتراقص على حروف الكلمات بسرعة بالغة ، الى أن فرغت جعبتة ، فاحتج ، وقال اذهب الى هناك ، الى مكتبة اهلك فى غرفتى المكتب و الصالون و ستجد هناك الكثير من السحرة ، لا يكتبون لمن هم فى سنك ولكن اذهب و جرب لعلك تستمتع بسحرهم .
وذهبت الى هناك مترددا ، وتراقصت على حروف الكتب ، وكلما اعجبنى كتاب احد السحرة ، انتزعة من مكانة و اذهب بة الى امى متسائلا ، هل استطيع ان افهم هذا السحر ؟ وكانت الاجابة الدائمة ، اقراءة واذا لم يعجبك سحرة فاتركة ، لكن الى حين ، فسيعجبك بعد عام او اثنين ، **او اقراء كتب الساحر سلامة موسى .**
وبقيت هناك اتراقص على حروف السحر المكتوب ، وعندما كتبت مرة اننى قد قراءت الالياذة و انا طفل صغير ، تعجب احد الاصدقاء ولة كل الحق ، وبرغم عدم تحيد من هو الطفل ، فهل هو كما يحددة القانون ، اى سن الثامنة عشرة ام اصغر ، الا ان هولاء السحرة القابعون داخل بطون الكتب حعلونى اتراقص على حروف سحرهم وبسرعة بالغة ، وكلما مرت السنوات كلما ضاق مجال الاختيار ، فلقد التهمت الكثير من السحر الموجود ، ولا استطيع ان ادعى اننى قد فهمت هذا السحر الى مستوى العمق المطلوب ، ولذلك كثيرا ما اعدت التراقص على حروف كلمات نفس الساحر اكثر من مرة عبر السنين .
الشيء الهام الذى خرجت بة هو اقراء السحر مادام يجذبك مهما كان سنك ، هكذا قالت امى ، وهو قول صحيح.
الساحر الاول ، كامل الكيلانى



" ابا الهول تحرك ابا الهول ، ان هذا العصر تحرك من فية حتى الحجر "

الصوت و الضوء بالاهرامات
هل انام بين قدميك واحلم كما حلم الامير الفرعونى فاصبح فرعونا وازاح الاتربة عنك فنهضت واقفا وازحت الغمة ، ابا الهول الشوق زاد الى قيامك ، فانهض من جديد ونحن معك ، الشوق زاد وانا لااستطيع ان اكتبة شعرا ، فانهض و استدعى معك عقولنا المنتظرة ، فانهض واستدعى رفاعة وطة ومندور و صلاح وامل وسلامة وابراهيم ومعهم كتيبة كاملة من دعاة المستقبل المنتظريين على احر من الجمر ونحن معهم ، فانهض قبل ان يقتلنا الشوق !



اخيل و هكتور و البطولة

سؤال كان دائما يشغلنى منذ ان قراءت الالياذة وانا طفل صغير ، فبرغم انها قصة او اسطورة يونانية و كتبها كاتب يونانى عن الصراع بين تحالف المدن اليونانية و مدينة طروادة الاسيوية ، الا انها كتبت باقتراب انسانى بديع ، وبرغم ان البطل الرئيسى اليونانى هو اخيل ، ابن كبير الالهة وان اختلفت الاساطير ، الذى لايمكن قتلة لان جسدة تمت حماية حين قامت أمه بغمره في مياه نهر ستيكس ماعدا نقط ضعف وحيدة هى كعبة اللذى لم يغمر بالمياة ، الا انة لم يحظى بتعاطفى ، بل كان هكتور هو من حظى بهذا التعاطف .
هكتور البطل الرئيسى للطرواديين ، الانسان الكامل المحب لاهلة و العطوف و الذى يدافع عن وطنة ضد الغزو الذى جلبة حماقة اخية الاصغر ، ويقف فى مواجهة اخيل النصف الة لمدة عشرة سنوات كاملة ، فمن هو البطل ؟

سؤال هام عن معنى البطولة ومغزاها
البطولة فى اسمى معانيها هى التضحية من اجل مصالح الاخرين او الوطن او المثل الانسانية العليا.



انا وهم

فى زيارة الدكتور فؤاد مرسى ، حضر كلا من الدكتور إسماعيل صبرى عبدالله والاستاذ محمد سيد احمد ، وجلسنا نحن الاربعة و بدء النقاش ، وكانت المرة الأولى التي أتعرف فيها عليهما ، وقررت الا اتكلم ، فانا صغير السن بالنسبة لهم ، وهم تجمعهم صداقة عمر طويل وسط أهوال كبيرة ، وبدأت أراقب النقاش ، لأنني " رقم " شديد الملاحظة ، وبدأت أشعر بالخجل ، ، فقبلها كان محمد سيد أحمد قد أصدر كتابا عن حرب اكتوبر وكنت اتبنى موقفا مختلفا كان قد أصدر كتابا يرد فيه على كتابة المشهور ، بعد أن تسكت المدافع ، خجل نابع من طريقة الرد و ليس من محتواه ، فما زلت اتبنى نفس الموقف ومازلت معتقدا أن تحليل محمد سيد احمد كان خاطئا ، ولكن محمد سيد احمد لايجب ان يعلق عليه احد بهذه الطريقة ، فلقد كان شديد الإخلاص و " البراءة " ، وبعد فترة قصيرة اكتسب تعاطفى الشخصى وكدت ان اتدخل دفاعا عنه لأنه كان يتعرض لهجوم من الدكتور اسماعيل ، هجوم كان فى تقديرى يتجاوز النقاش الى " التقليب " الذى لم يدركه الدكتور فؤاد بجديته المعروفة، رغم تدخله ، وبرغم ذلك استطعت ان اتحكم فى نفسى و الا اتدخل " وانت مالك ، ايه اللى دخلك بينهم ".
فهل نستطيع ان نتعلم من خبراتنا ، ونحن نختلف ، حتى لا نستمر بالشعور بالخجل سنوات طوال ، ام انة مرض جينى يورث للأجيال !

البطل الشعبى وملاعيب العقل المثقف

هناك نوعان من الأبطال الشعبيين ، بطل يتولد من الخيال الشعبى فى اقاصيصة المروية التى تتغير بانتظام عاكسة التصورات الشعبية لمفاهيم العدل و الحق و الحرية و كيفية إقامتها ، وبطل اخر حقيقى ، يحيطه الشعور الشعبي بالود و الاحتضان الذى من الممكن أن يعيد صياغة قصتة، مستندة فى ذلك على الوقائع الحقيقية ، بحيث يضفي عليها مزيدا من التفسيرات و الدوافع ولا يمنع الأمر من اضافة المزيد من الوقائع ، التى تدعم التصورات الشعبية.
حدث هذا مع على الزيبق وعبد الله النديم وادهم الشرقاوي و عبد الحكم الجراحي وأمير الجيوش فى العهد الفاطمى فى زمن المجاعة وحتى ، نسبيا ، مع محمود أمين سليمان الشهير بالسفاح فى ستينات القرن الماضى.
ولكن كل هؤلاء الأبطال كان يكافح من أجل قضية يعتقد الشعور الشعبي أنها عادلة وتتطابق مع تصوراته فى العدل و الحق ، حتى وأن خالفت القانون السائد ، ويضار من أجلها شخصيا ، وتزداد قيمة هذا البطل وديمومته إذا كان يكافح من اجل اقامة العدل للآخرين.
ولكن العقل المثقف كثيرا ما يعلي من قيمة البعض متصورا أنه قد أصبح بطلا شعبيا فى عملية إسقاط ذاتية عاكسا فيها رغباته وآماله ، مفترضا السذاجة والغفلة فى الشعور والتقدير الشعبيين ، ولكن مثل هذه التصورات لا تصمد كثيرا وتذهب في غياهب النسيان ويبقى الشعور الشعبي

سليما معافيا ، برغم أوهام و توهمات المثقفين.
صورة ادهم الشرقاوى



علي لابونت وعلى يا ويكا

علي لابونت ، بطل شعبي جزائري ، اعيد خلقه من جديد عندما ارتبط بالثورة الجزائرية ، واستشهد فى معركة استقلال الجزائر ، فتحول من على يا ويكا الى على لابوانت ، فعلى كل على ويكا ألا يظن انه اصبح لابوانت الى أن يضحى مثل لابونت .
اليكم نص منقول عن علي لابونت
"لا تزال رمزية "**علي لابوانت**" راسخة في الذاكرة الجمعية، وتبهر العالم كما الثورة النوفمبرية الكبرى، بعد انقضاء خمسة عقود ونيف على جريمة نسف مظلي فرنسا لمخبأ "**علي**" وثلاثة من كبار الفدائيين "حسيبة بن بوعلي"، "محمود بوحميدي" (**بوتي عمر**) و"عمر الصغير"، **في حي القصبة الشعبي فجر الثامن أكتوبر** 1958.

وُلد "**علي لابوانت**" **في 14 ماي** 1930 بحاضرة مليانة التابعة لولاية عين الدفلى، وعاش طفولة صعبة دفعته للاشتغال مبكّرا في مزارع قدماء المعمّرين، وفي تلك الحقول استوعب صاحب التسع سنوات معاني الظلم، السيطرة والإستغلال، فحزم حقيبته المهترئة وسافر إلى العاصمة، ووسط حي القصبة العتيق مارس الملاكمة ضمن صفوف النادي الرياضي العاصمي، وبالتزامن مع تألقه في الفن النبيل، تشرّب "**علي**" الوطنية ونمت لديه فكرة الكفاح لتحرير الجزائر مع أواخر أربعينات القرن الماضي.

وكان دخوله سجن سركاجي فرصة لاحتكاكه على نحو أكبر بشباب الثورة، فانضم إلى فدائيي العاصمة مباشرة بعد خروجه من السجن، ونفّذ "**علي**" عدة هجمات على مراكز الجيش والشرطة الاستعمارية، وأصبح رفقة الشهيدة البطلة "حسيبة بن بوعلي" والشهيد الرمز **طالب عبد الرحمان**"، رفقة كوكبة أخرى من الفدائيين شوكات في حلق البوليس الفرنسي، إلى أن قضى في الثامن أكتوبر 1957، **غداة** "وشاية" **غامضة** لا تزال تسيل الكثير من الحبر في أوساط الثوار المخضرمين."



!

لماذا وقعنا في غرام الميج 21

سأترك الصديق المهندس شريف عبد اللة يتحدث

Sherif Abdalla

"الطائرة الميج 21 هي طائرة القتال الرئيسية بالقوات الجويه في السبعينات هي حبي و عشقي لقد دربت عليها مئات الفنيين لمدة خمس سنوات هي مدة خدمتى بالقوات الجوية التي كان لي شرف الخدمة بها قبل و بعد حرب أكتوبر المجيدة التي أعادت للعسكرية المصرية شرفها الذى تستحقه , كنا عشرات من مهندسى الطائرات نعمل بمنتهى الجد والإخلاص في تدريب الفنيين ندربهم نظريا و عمليا على كافة طرازات الطائرات العاملة بالقوات الجوية في مركز مهني الطائرات ثم نلتحق بأحد الألوية الجوية المقاتلة لاستكمال التدريب لقد كنت شاهد عيان على معركة المنصوره الجويه و يالها من ملحمة محفورة فى خاطرى و قلبى .... شكرا يا باشمهندس خالد يا رفيق السلاح على استرجاع هذه الذكريات الغالية"

Sherif Abdalla

"نعم لقد وقعنا في غرامها ... هناك نموذج لهذه الطائرة بعد الكيلو 21 على طريق اسكندريه مطروح كنت و مازلت أتوقف عندها لكى اشاهدها و المسها و اقبلها أحيانا "

هل اتضح الامر الان ، ندافع عن الوطن و نقع فى غرام طائرته الأولى ، لقد امتزج الأمران واختلطت الذكريات و اصبح الكل في واحد ، أيها السادة جزء عزيز من ذكرياتنا و أحلامنا يتقاعد



الطائرة الاسطورية والغرام الدفين

الميج 21 ، طائرة الاعتراض الجوى الرئيسية ويمكن استخدامها فى القصف الارضى ، بالقوات المسلحة المصرية سنة 1973، رخيصة الثمن مقارنة بأسلحة الصف الأول الإسرائيلية ، الفانتوم و سكاى هوك ، ذات امكانيات اقل ، على الورق ، ولكنها ، بقيادة الطيارين المصريين ،قدمت أداءا باهرا في القتال ، وظهر ذلك فى المعركة الكبرى فوق مطار المنصورة اثناء حرب اكتوبر ، 165 من الطائرات الاسرائيلية تهاجم مطار المنصورة لتعطيله حتى لا يقدم الدعم اللازم للقوات المصرية أثناء تطوير الهجوم ، وتتصدى لها 65 طائرة مصرية ، الأمر الذى يسفر عن خسائر فادحة للقوات الاسرائيلية تتجاوز 17 طائرة ولا يسقط من الميج الا6 طائرات ثلاثة منها لنفاذ الوقود ، وذلك طبقا للبيانات المصرية. وبرغم ادعاءات إسرائيل فى أن خسائرها أقل من خسائر المصريين ، إلا أن تقيم المصادر الغربية ، التي تتبنى الادعاءات الاسرائيلية ، لن المعركة انتهت بنصر مصرى ، لان اسرائيل لم تستطع تحقيق هدفها بتعطيل المطار.

اعتقد الان انة قد آن أوان اعتزالها ، برغم التحديث المستمر ، فمصر على وشك الحصول ، او حصلت فعلا ، على الميج 35 ، الشقيقة الحديثة ، الأمريكية .Fذات الامكانيات التى تتجاوز الـ16

لقد ارتبطت عاطفيا بهذه الطائرة الجميلة الرشيقة عندما خدمت كضابط احتياط بالقوات الجوية قبل حرب 73 ، وما زلت مرتبطا بها ، ولكنه حال الدنيا ، للاسف !

فكيف تم هذا الارتباط ؟

شاب صغير السن يشتعل حماسا ويكلف بتدريب الفنيين على احد اجهزتها ، ويبذل مجهودا خارقا لاستيعاب الأجهزة ويترجم كتاب الصيانة و التعليمات ، وكان مطلوبا منه أن يعد الدروس فى نماذج خاصة ، ولا يفعل ذلك ، لانة عنيد عند البغال ، برغم تحذير زملائه فى ان التفتيش المفاجىء يهتم اولا بنماذج التحضير ، إلا أنه لم يفعل ، ثم ياتى التفتيش ، وينزعج زملائه و رؤسائه ويحاولون انجاز نماذج التحضير بأسرع ما يمكن ، والنتيجة بالطبع مؤسفة ، ويحضر المفتش من ادارة التدريب بالقوات المسلحة ، وبعد نهاية التدريب يطلب الاطلاع على النماذج و يبدي ملاحظة بضرورة الاهتمام بها ، ويصبح الشاب الصغير على يقين أنه سيحصل على تقييم ضعيف من الحد الأعلى و هو 5 درجات.

و يبدأ فى جمع أدوات التدريب لتسليمها الى المخزن ، كالمعتاد ، وفور ان ينتقل الى مكتبة ، يجد أن القيامة قد قامت ، فالمفتش يخرج من التدريب مباشرة الى قائد الوحدة ، العقيد المهيب ذو العسكرية الصارمة و الحس الوطنى العميق ، كي يخبرة ان لديه ضابطا موهوبا ، ويحصل الشاب على 5 من 5 برغم زبالة أوراق التحضير وينال اول جواب شكر ، مازال يحتفظ به حتى الآن ، ومكافأة مالية ، وتنشأ علاقة نفسية خاصة ، بدون كلام ، مع العقيد المهيب سيكون لها تأثيرا لايعوض فى مقبل الايام ، ولكنها قصة اخرى !

هكذا ارتبطت بهذه الجميلة !



شرف العسكرية المصرية
عقيد اركان حرب مصطفى معوض 1973

عندما تولى قيادة مركز تدريب مهنى طائرات ، وهو ضابط مشاة ، شعرنا بالاستياء ، فبرغم اننا كنا فى حالة حرب ، ماقبل حرب اكتوبر ، وبرغم ان القوات المسلحة حدث بها تغيير كبير بعد حرب 67 ، الا ان ضباط القوات الجوية ومنهم المهندسيين من امثالى ، كانو ما يزالون يشعرون انهم مميزون ، شعور انتقل الينا نحن الضباط الاحتياط من الجو العام السائد حتى داخل اوساط الراىء العام ، للاهمية البالغة للقوات الجوية فى الحرب المقبلة ، فكيف يتولى ضابط مشاة قيادة وحدة فنية يقودها المهندسون ؟
ضابط طويل القامة ممشوق القوام و صاحب عسكرية صارمة ، بديلا عن قائد سابق مهندس صاحب عسكرية لينة و دوام الين ، باختصار نفخنا فى الزبادى وانتظرنا " قرف البيادة ".
ويا هول ما راينا ، قيادة رشيدة حكيمة ، تعرف التطبيق السليم للثواب و العقاب ، وتنظر فى التفاصيل و تتابع الاداء وتبحث عن المجيدين وتشجعهم ، تشجيعا فوريا وعلنيا ، وتشعر انة لا يعمل فى مقابل اجر او منصب ، بل يخدم الوطن المازوم .
ولاننى كنت محروق القلب فقد كنت اعمل باقصى طاقتى وتلقيت دعما معنويا هائلا من الجو العام الذى اشاعة ، وانهالت على المكافأت ، **حتى** مكافأت فى ضرب النار الذى كان المهندسون من امثالى يكتفون بطرقعة المطلوب منهم بدعوى و احنا مالنا نحن مهندسون ، وكنت اشعر بالسعادة اثناء خدمتى ، وبرغم ذلك فلم اتحدث معة اى حديث ما عدا حديث وحيد عند نهاية خدمتى .
فلقد قررت القوات المسلحة انهاء خدمتى فى الاحتياط لان لى تاريخ طلابى سابق وكانت شهادة الخدمة العسكرية " قدوة **حسنة " ، وبداءت فى** اجراءات خلو الطرف وذهبت الى الوحدة لاكمالها ، فحضر الى مندوب و اخبرنى ان العقيد يريد ان يرانى فتوجست شرا ، ما الذى يريدة منى**؟** لعلة سيخبرنى ان انتظر على البوابة حتى اتسلم اخلاء الطرف ، فذهبت الية ودخلت من الباب الى مكتبة الكبير ، فهب و**اقفا وخرج من خلف** مكتبة وقابلنى فى منتصف المسافة وسلم على بحرارة بالغة ، واجلسنى امام المكتب وجلس امامى ولم يجلس خلف مكتبة ، وطلب الشاى ثم اخبرنى " ولا يهمك ، انت راجل وطنى ، لو فية اى حاجة هتعطلك تعالالى " ، فيا هول ما شعرت بة من تعويض نفسى هائل من هذا **الرجل** الشجاع الكبير ، ولم الاقى اى مصاعب و لم اذهب الية ولم ارة منذ ذلك الزمان ، ولكن هل تستطيع ان تنسى شرف العسكرية المصرية و هى تتحرك على قدميين !

أمى و جواد

صباح يوم مشرق ، وانا طفل صغير ، حضر الى منزلنا رجل وزوجتة ، لمقابلة امى ، لااستطيع ان انسى الانطباع الذى خرجت بة عند رؤيتهم ولا الانطباع العام من الزيارة .
رجل هادىء شديد الاحترام وسيدة لاتقل عنة ، هما والدا جواد على حسنى ، الطالب بالجامعه ، ابنهم الوحيد الذى استشهد ببطولة فى **معركة** بورسعيد ، وكتب بدمائة على جدران البدروم الذى حجز فية ، حضروا لشكر امى على القصيدة الشعرية التى كتبتها عنة بعد زيارتها لبورسعيد . زيارة لم تتوقف فيها امى عن البكاء .
انصحكم بقراءة القصيدة ، ليس لان من كتبها هو امى ، ولكن لانها قصيدة بديعة من ام تكتب عن ابنها الشهيد

ذكرى جواد

« مهداة الى البطل جواد علي حسني
احد شهداء معركة بور سعيد »

دخلت يوما والظلام جاثم على البطاح
والبحر مكفهر الوجه قاتم النواح
دخلت قبوا في رحاب الشط ، مظلم القرار

في قاع وهدة قصية
موحشة الجوار
وفي ظلام القبو شاهدت عيناي
على الجدار احرفاً من الوهج
الدم فيها والحياة تختلج
شممت ريحها كأنه البخور
في قدس معبد يغص بالنذور
خلعت نعلي .. وانحنيت في خشوع
وكدت ألثم الجوار ...
أغسل الحروف بالدموع
لكنني أبيت ان يمس قدسها بشر
او ان يذيب الدمع من جلالها اثر
ركعت والعينان في غلائل الدموع
ومن خلال الدمع لاح لي فتى وديع
في وجهه غضارة الصبا
في عينه الألق
في خطوه الفتي دفعة الحياة تنطلق
في ثغره لحن كبهجة الصباح
يرسله للحب للأشواق للأفراح

وفجأة تقلص النغم
النور في الآفاق غاص وانبهم
البوم صاح ...
موكب الخراب قد ألم
عصابة الغربان في سوادها الأسحم
تدافعت على الشطوط الآمنات كالنهم
تريد ان تمزق الحياة والصباح
وتخنق الانغام والأحلام والافراح

وفجأة تقلص النغم
وفارت الدماء في العروق تنتفض
« بل دون خطوكم لباب جنتي بحار
املؤها بالدم بالدموع بالتضحية »

حبيبتي حبيبتي خطاؤها حرام
لا لن تمس قدس أرضها قدم
حبيبتي حبيبتي عن وجهك الجميل
عن نبعك الصفي عن مهادك الظليل
افدم الحياة والشباب والأمل
ففي قرار القلب يا حبيبتي
نار الكفاح والصراع تشتعل

وفجأة تقلص النغم
وسقط البطل
لأرض سيناء في بطاحها الفساح
يصد ارجال الجراد ... يذروها لمغرب الرياح

الرمل كالبحار موجه عتي
يثقل العدم
ويشمل الألم
والهول حوله قد التف الحمم
والنار كالبركان سيلها عرم
والابل مخضوب الشفاه بالردى والدم
لكن في قلب الفتى جناح
يعلو بجسمه ...
فوق الثرى .. مع الرياح
ويستخف بالجلال والعدم .

وفجأة تقلص النغم
رصاصة في صدره تفرجت بدم
الكف فوق جرحه ...
والكف في السلاح لم تنم
لا لم يهن
يريد ان يواصل الجلاد والصراع
حتى يمر في قلب الدجى الشعاع

الجرح ينزو ...
تشرب الرمال
رحيقه الوردي كالعذب الزلال
والضعف يسري في الجواد الجامح
وجسمه الريان يذوي ...
كالشهاب النازح
« جواد بل ستستريح يا جواد
لأرعد بعد الشفاء وقبل »

وعنوة أقلته الرفاق
ليحملوه مرفأ يظن راحته
لكنه علم
والجرح في فؤاده مخضب بدم
ان البغاة في طريقهم الى الحمى
ان البغاة جمعهم لم يتداعم

حشد جديد لم جمعه ، حشد جديد
حشد من الغيلان جهزوا الدمار والنيود
لأرضنا الحسناء ارض بور سعيد
« حبيبتي السمراء لن يأمرها العبيد
ودون ذلها فيالق فيالق تبيد »

« لا يا رفاق ، ما بجسمي حاجة الى طبيب
حقي هنا في ان اذود العار عن بيتي الحبيب
لا يا رفاق لن أموت جيفة بلا ثمن
الحشد آلاف ولكني ساعلم الزمن
وأعلم الطغاة والبغاة والمحن
ان الحياة أغلى ما تظله الحياه
وأن من يعدو عليها يدفع الثمن »

هاتوا العتاد يا رفاق إنني اموت
وقبل ان احل يا رفاق في غور السكوت
بربكم اريد ان أتم قصتي ...
حكايتي تؤودني في قلبي الصموت »

وحاول الرفاق عنوة ان يحملوه
لكنه تحدى بالسلاح بالقسم
فأسلموا عتادهم لكنه الجريء
وأسرعوا ليبعثوا بنجدة قلم

وخلف ربوة صغيرة من الرمال
تحصن البطل
لمدفع الصغير في يديه قال
« يا لهفتي إليك يا رفيق »

يا اجمل الاحباب يا اغلى صديق »
وضمّه لصدره الجريحْ
كأنه طفلٌ . .
في المهد يستريح
ولاح في البعد العصيّ جحفلٌ
من البغاة يرصد الطريقْ
تقدمت جموعهم على المدى
مرصوصةٌ مرصوصةٌ
كأنها الجدار في بنيانها الوثيقْ
والشبل خلف ربوة الرمال قابعٌ
توتّرتْ يداه فوق مضرب الزنادْ
« لا ان تموت جيفة بلا ثمن
لا لن تمس قدس ارضنا قدم »
وانطلق الزنادُ ...
يحصد الجراد
عشرون بل خمسون بل مائة
والنار في الفؤاد لم تزل تثورُ
عشرون بل خمسون بل مائة
والنار في الفضاء تحصد الطيور
البوم والغربان عشاق الخرابْ
تساقطوا تساقطوا كجثة الذباب

وأوهن البطلْ
لم يبق في عتاده ثم رصاص ينطلقْ
فلو لهم تساءلت : « ما اسكت اللهب »؟
لا بد انه كمين ... كي نبيد في اللهب
يا كم ترى يكون ذلك الجيش الذي
قد أوهن العصبْ ؟
لا ريب انه رهيب كامر لجب »
حثالة الاشرار ساروا في حذرْ
وارسلوا النيران - سترا - للكثيب
المنفرد
لكنّ جيشا في الكثيب لم يُجِب ...
الطفل فوق الرمل والحديد منكفىء
على الزناد كفه وفي الثرى
كف سخية الآلاء في الرمال تختبىء
عشرون عاماً يا جوادُ يا طفلي الحبيبْ
نثرتها بين الرمال الشقر ما بين الصخور
وجاء غيلان القناة موقدو الحقود
ولملموها ... ثم ساروا للمدى البعيدْ
الطفل اغفى ... طفلنا الحبيبْ
الطفل لم يمت ... في قلبه الوجيب
في قاع قبر مظلم رموه

وفي الحديد الصلد قيّدوه
لم يضمدوا جراحهُ ، لم يرحموه

وعندما تنفست في صدره الحياة
والضياء فتّحت عيناه
في قسوة لربهم قد جرجروه
عسى بعسفهم وبطشهم يبوح
بسر جيشه المظفر العجيبْ
ذاك الذي أصلاهمو الدمار والنحيبْ

يا ويحهم ..
ويح الوحوش البيض في العصر الجديد !
يا ويحهم ...
يا ضيعة الانسان يا نقض العهودْ
ابناء « ميرابو » تواصوا بالكنود
الكهرباء ترعد الجسم العنيد
النار في جراحه ...
النار والحديدْ
والجوع والحرمان من قطرة ماءْ
ليطفىء الظما في جسمه المكدود »
لكنه أبى ...
ان يُسلم السلاح »
الروح لم تزل عشية الكفاح
فعندما للقبر ارجعوه
في جرحه الزكيّ غمّس القلمْ
وسطر الخلود فوق صفحة الجدارْ
يقص قصة الفداء قصة الألم
نذالة الوحوش روعة الإصرارْ

الجرح جرحي يا جوادُ ... في جسمي الألمْ
الجرح جرحي ياجوادُ ... في قلبي النقم
الجرح جرحي ياجوادُ ... جرح بورسعيد
بل جرح كل من حكى بأنه إنسان
تظلّه الحياة في رحابها الفينان
في فجر يوم اسود الألوانْ
سماؤه تلفّها الأكفان
قال الطغاة للبطلْ :
إذهب فأنت حرٌ ...
يا ليته يطيق ان يسير
الجوع والتعذيب لم تترك بجسمه النقير
ثالةٌ تحمله لأفقه الأثير ...
فجاء جلّفٌ من جنودهم غليظٌ
وجره للشط في خطو وجيزْ

وفجأة من خلفه رموه
بطلقة من غدرهم أصموه
وفي رحاب الموج اطلقوه ....

يا للوحوش البيض في العصر الجديدْ !
يا ضيعة الانسان يا نقض العهود
خافوا يقص حزنهم على الوجود
لم يعلموا ان الدماء في الجدارْ
تحكي نذالة الوحوش روعة الإصرارْ
رفعت عيني والدموع لم تزل ستارْ
إلى الحروف .. فوق صفحة الجدار
رأيتها تخضر كالربيع ....
أصبح الوهجْ
عصارة الحياة في الحروف تختلجْ
وأورقتْ...
وامتدت الغصون تبتغي الطريقْ
من كوة في القبو للمدى الرحيبْ
تزاحمتْ ... تزاحمتْ
على الشعاع المنبثقْ
تتوق للضياء للفجر الجديدْ
وامتدت الغصون للسماء كالدعاءْ
تمس نور الفجر تنهل الضياء
ثم انثنت تحنو على الثرى الرطيبْ
ظلالها ممدودة كرحمة السماء
وفي الغصون الخضر بين رعشة الورق
أزاهر محمرةٌ ... في النور تأتلقْ
جواد يا طفلي الحبيب لم تزل تعيشْ
تظلل البلاد بالأمان والسلامْ
وتمنح الوجود بهجة الحياه
بعمرك المطلول في الرمال والمياه
وكلما في الليل مرت موجةٌ
توشوش الرمال والرياح والحصى
سمعتُ في انغامها انفاسك اللطاف
تقبّل الشطوط تلثم الثرى
لكم عشقتَها .. أرضها الحنون
فجدت يا جوادُ بالشباب بالدما
وجدت بالأحلام بالأفراح بالمنى.
جوادُ يا طفلي الحبيب لم تزل تعيشْ
في خفقة الأمواج في اختلاجة الشجرْ
في نصرنا في مجدنا النضير
في يومنا العزيز في الغد الكبير

القاهرة — ملك عبد العزيز

.

ودع لى منطق الرؤية - ملك عبد العزيز فى رثاء جيفارا – 1968

تركت لكم حبال العقل يعثر خطوكم فيها
وتلتف الخيوط شرانقا ..تعمى ستائرها
لى الرؤيا
نسجت خيوطها من حقى البتار
سيحملنى اليها العزم عبر زوابع التيار
سيحملنى اليها منطق التاريخ و الاحرار
والف متاهة ظن يشرد خطوكم فيها
وتعقلكم حبال الحكمة العرجاء
لى الرؤية
مخضبة بكل معارك الاحرار
وشامخة
تشع النار و الانوار
اغنى ، لى اغنى لكل المدى المنداح
وانشد فى اناشيدى احتواء الكل و المطلق
سيتبعنى الغواة غدا
سينبتهم تراب الارض
فكم شرب التراب من عرق الجباة
وكم تغذى من دمهم
ايا هملت
تعثر فى حبال الفكر
وفكر الف يوم الف ساعة سهر
وكن او لاتكون ابدا
فلن يتوقف التاريخ
ودع لى منطق الرؤيا
ينادينى
احث لة خطاى على دروب النصر
واحشد نحوة ما ثار مضطرما بقلب الشعب
ينادينى
بحقق منطق التاريخ
يحقق ما يقول الحق



امى و الكابوس

تاثرت امى بشدة بعد هزيمة 1967 الى مستوى انها كانت تتعرض لكوابيس اثناء نومها ، وهو كابوس متكرر .
تاتى من الخارج وتفتح الباب الخارجى ، فتجد انوار غرفتها مضاءة ، والضوء واضح من الباب الزجاجى ، فتسرع الى غرفتها و تفتح الباب ، ويا لهول ما ترى ، جولدا مائير نائمة فى سريرها .

فكتبت

يقول لى فتاى لاتجزعى
لم يبلغ العشرون بعد
نحن هنا باقون سوف يعلمون
فليقبلو
عام ،عامين ، خمسة ، بل عشرون
سيرجع الحق الى رحابنا
لن يقف التاريخ ، لا
لن يفل عزمنا
نحن هنا باقون سوف يعلمون



أتوق يا بنى قبل ان أموت
اتوق ان اشاهد العدالة التى **تموت**
فى كل يوم ألف مرة فى عالم ضميره صموت
اتوق ان أقبل التراب فى يافا وفى الجليل
اتوق ان اعانق القدس وان اطوف بالخليل
ملك عبد العزيز



سأظل حزينا عليك طول العمر»- طه حسين . الاستاذ ينعى ابنة البكر
لكنه ظل يناضل ضد كل ما يبطل الوجود المتحرر للإنسان -فوزى فهمى

◄ د. فوزى فهمى

مثلت سنوات البعثة فى فرنسا منذ عام 1930 حتى 1939، وضع الاستنفار المعرفى للراحل شيخ النقاد الدكتور محمد مندور، تجاه الأنظمة المعرفية التى أفرزت ذلك التفكير المجتمعى المتغير، فاعتصم بالسؤال، الذى يتوقف على جوابه اختلاف نوعية الوجود للإنسان، وأدرك أنه بالتقصى المعرفي، وبإعادة تأهيل المعرفة يصوغ الإنسان مفاتيح الأبواب المغلقة، وأيضًا أدركه حس الافتقاد العلمى لدراسة الاقتصاد السياسي، والتشريع المالي، ومذاهب الاقتصاد، والنظم الضريبية، تمامًا كما فعل وهو فى مصر بدراسته للأدب والقانون معًا، وحصل على الليسانس فى كليهما، فتبدت خصوصية الراحل الجليل فى شمولية معرفته، التى أتاحت إدراك أن الساكن إذا ما تحرك، لا يعنى ذلك تغييرًا، وحتى يكون المتحرك تغييرًا لا بد أن يطرأ عليه ما يجعله مختلفًا عما كان عليه، ثم راح يضاهى بين دلالات المعرفة بعد إعادة تأهيلها، كما تبدت فى تجدد ممارسات الفرنسيين لحياتهم اجتماعيًا وسياسيًا، انطلاقًا من أن العقل هو صانع ذلك التأهيل، الذى يتطلب إحداث قطيعة حاسمة مع كل ما يمنع العقل من إعادة التأهيل المعرفي، حتى يصبح التغيير انتصارًا للاقتدار الإنساني، رفضًا للتقوقع فى الماضى انصياعًا لآلية الضخ والاستيهام، حتى لا تتم قولبة الإدراك العام بعباءة التخلف والاستغلال، وقد تعرف خلال وجوده فى باريس كيف تولد وتتجدد عزيمة التصحيح السياسي، الذى يعتمد على فعل عقلى مقصود بذاته، ويشكل تداوله سلطاته، ويراهن على الحقيقة ضد صفاقة الواقع. إن السنوات التى عاشها خلال بعثته، لم تكن عيشًا سكونيًا؛ إذ كان يحركه سؤال مفتوح لا يسعى إلى التقليد؛ بل سؤال مشحون بإرادة الفهم يستهدف إمكانية أن يثرى التغيير الوجود الإنسانى إلى الأفضل؛ لذا واجه نقصه الذاتى بممارسة إعادة تأهيل ذاته معرفيًا، واقعًا وإمكانية؛ فأصبح مسكونًا بالانشغال بالمصير العام لمجتمعه، عندما ينعدم السؤال أو يغيب الذى يبشر بالتغيير، وقد أسست هذه الفترة للدكتور محمد مندور جهازية المعرفة، وانطلاقات مواقفه الفكرية والسياسية بعد عودته.عاد إلى مصر عام 1939، فبدأت عمليًا تحديات شبكة الممارسات فى عمله بالجامعة، التى اعتبرته منقطعًا عنها لأنه لا يحمل درجة الدكتوراه؛ إذ رفض أستاذه د. طه حسين أن يسمح له بالتدريس فى قسم اللغة العربية، وأيضًا رفضه قسم اللغات الشرقية، وكذلك قسم اللغات القديمة، عندئذ أدرك أن انتماءه إلى الجامعة محض مأوى وذلك ما يتعارض مع ذاته ورهاناته، صحيح أنه كان يريد للواقع المداهم للجامعة أن يجيء جديدًا، فأعد تقريرًا عن منهج الدراسة بقسم اللغة العربية ومتطلباته، بما يشخص حضورًا مع حادثات العالم كى يسترد القسم وجهًا حاضرًا فى سياق التحقيب المعرفى كمتداولات مطروحة للتجدد، لكن الصحيح أن القسم لم يمنح لمقترحاته اهتمامًا، وكأنه اعتصام مطلق ضد التغيير، وأدرك الراحل الجليل أنهم يختزلون وجوده بحصوله على الدكتوراه، وذلك ما سيظل معول التهديد العدمى لوجوده؛ لذا فإنه بعزيمة تحفزها أعلى أهدافه الفردية والعامة، وكل جاهزيته وعدته، أنجز فى تسعة أشهر رسالة الدكتوراه، تحت إشراف أستاذه أحمد أمين، ومع ذلك لم يعد مقصيًا عنه ذلك التهديد لوجوده بالجامعة، وتحديدًا من أستاذه د. طه حسين الذى أعلن رفضه ترقيته، وعدم اعترافه بتلك الرسالة. صحيح أن الانهمام بالذات يعنى إنتاج الإنسان لإنسانيته على طريقة تفرده، وأن يكون تفردها مقبولاً من الآخر ومفهومًا، والصحيح كذلك أن انهمام د. محمد مندور بذاته يتضمن حكم قيمة مسكوتًا عنه، يكشف أن ممارسته لإعادة تأهيل ذاته معرفيًا خلال البعثة، هو نوع من التدبر الوجودى لذاته يعكس تطلعه إلى الفوز بوعى تتزايد به ممكناته المعرفية؛ إذ ينقلب الفعل المعرفى إلى سلوك ومواقف قيمية، سوف تجدد الفكر السائد اجتماعيًا وسياسيًا بعد عودته، تصديًا للتسويغات التى تبرر استمرار كل قائم تخطاه التقدم الإنساني، والصحيح أيضًا أن عدم حصوله على الدكتوراه خلال بعثته، يعنى أمام القانون عدم تعيينه مدرسًا إلا بعد الاستيفاء؛ لذا فإن د. محمد مندور قد صوب موقفه بحصوله على الدكتوراه، لكن لأن ثمة فرقا بين الانهمام بالذات، والانهمام المتطرف بالذات الذى يضع الحواجز بين تقديره لنفسه، وبين مشروعية الحقائق، متعاليًا بذاته وبإرادته فوق كل الحدود والمعايير، إنكارًا وانتهاكًا؛ لذا استقال الراحل الجليل من الجامعة.

منحت استقالته موقفه المعنى الأكثر نبلاً، كسلوك يرتبط بالوجدان والوعى والاعتراف بفضل أستاذه لرعايته لدلالات إيجابية فى تكوينه، بأن حقق لها حواملها فى واقعه؛ إذ حثه د.طه حسين أن يلتحق بكلية الآداب مع استمراره فى كلية الحقوق، فاستجاب وتبدى ثراء ممكناته الذى منحه حضورًا أشد قربًا منه، وفور تخرجه رشحه للسفر فى بعثة إلى فرنسا، وبسبب ضعف بصره لم يستطع اجتياز الكشف الطبي، فاصطحبه إلى وزير التعليم، واستصدر له قرارًا بالإعفاء من الكشف الطبي. ولأن الإرادة يتوسطها معيار القيم بين اقتدارها الخاص، وبين أفعالها المتعينة، فقد اختار الراحل الجليل معيار القيم فى التعامل مع أستاذه.

صحيح أنه بعد استقالته داهمته صعوبات حياتية، فتجاوزها بإيجابية إسهام أستاذه أحمد أمين، الذى شحذًا واستردادًا لجاهزيته العلمية والثقافية، نشر له ثلاثة كتب ترجمها عن الفرنسية، وأيضًا أتاح له ساحة الكتابة المتتابعة فى مجلة الثقافة؛ تحقيقًا لوجوده الفاعل والمتفاعل، والصحيح كذلك أن التحول الحاسم فى حياته تبدى فى انشغاله بالمصير العام لوطنه، فراح يستنهض قوى المجتمع المصرى دفاعًا عن العدالة الاجتماعية، والديمقراطية الاجتماعية، فعزل من رئاسة تحرير صحيفة جريدة المصري، وتعرض للسجن أكثر من عشرين مرة، لكنه ظل يناضل ضد كل ما يبطل الوجود المتحرر للإنسان، مواظبًا على التدريس، ونشر مؤلفاته التى بلغت ثلاثين كتابًا فى النقد وفروعه، وأيضًا ثمانية كتب لترجمات متنوعة، فاستحق لقب «شيخ النقاد».

بعد رحيله كتب د. طه حسين فى صحيفة «الجمهورية» **مقالاً بعنوان** «سأظل حزينا عليك طول العمر». وما زال شيخى منذ رحيله فى 19 مايو **عام** 1965 حتى ذكراه الثالثة والخمسين، يسكننى بكل ما حبانى به طالبًا ومعيدًا، حبًا وفضلاً وعلمًا ونصحًا، إذ حذرنى دومًا من «**الرق الداخلى**» و«**الرق الخارجى**» بوصفهما يبطلان الوجود الإنسانى المتحرر



سكمنو و بوكمنو والخيال المبدع

احكيلنا حكاية ، طيب بس لازم الاول "تترقعولى " صوابعى ، فياخد كل قرد رجل ودراع ، وترقع ياخالد و ترقع ياطارق ، هة ، احكى بقى ، وتبدء الحكاية ، ويبدء ماجد ، الاخ الاكبر للقردين ، خالد وطارق ، يبدع و يألف لحظيا حكاية مغامرات القردين سكمنو وبكمنو ، حكاية لاتتكرر ، كل يوم بعد الغذاء تتكرر " الترقعة " وحكاية جديدة .

ولكن كيف بداءت القصة ؟

كان ماجد الاخ الاصغر للتوأم لخمسة سنوات كاملة ، وعلى حين غرة ، ياتى خالد و طارق فى عاميين متتاليين ، وتبدء تتشكل مشكلة نفسية للاخ الذى كان الاصغر ، ولكن الام تتدخل ، وتكلفة بالاهتمام ورعاية الطفلين حتى تستطيع ان ترتاح فى منتصف النهار ، فيقوم بها بهمة و نشاط ، ويصبح الطفلين من ضمن مسؤلياتة دون ان يطالبة احد بعد ذلك ، حتى اثناء اللعب فى الشارع كان يشكل الحماية المباشرة من اعتداءات الاطفال الاكبر سنا على القردين ، اقصد خالد وطارق ، برغم انهماكة فى اللعب و الابداع ,

وتكتشف مدرستة فى الفصل ان الحل الوحيد للقضاء على الفوضى و عدم الانضباط فى الفصل هى تعينة " الالفا" ، هو المثير الاكبر للاضطرب لانة كان شديد النشاط والحيوية ، فتنتهذ فرصة هدوءة لمرضة ، فتكافئة وتعينة " الالفا " فينضبط الفصل ويعم الهدوء.

ويكبر هذا النشط المبدع ويدخل الكلية الحربية ، ويتخرج فى سن التاسعة عشر من اوائل دفعتة ، ويتقرر ذهاب وحدتة الى اليمن ، ويحاول الاتحاد الرياضى الاحتفاظ بة فى القاهرة ولكنة يرفض ويصر على البقاء مع زملائة.

ويذهب الى اليمن ، ويبدع هناك ولا يستشهد لدية عسكرى واحد ، ويعتقد العساكر انة مبروك ، فلا احد يموت معة ، ويحاولون الالتحاق بوحدتة ، ويوثر على على السلوك العسكرى للواء الذى ينتمى الية برغم انة كان قائد وحدة صغيرة منه ، وينال نوط الشجاعة ثم يرقى استثنائيا .

ويستمر مسلسل الابداع المستند على الخيال الحى ، حين عمل مدرسا فى الكلية الحربية ثم فى كلية الضباط الاحتياط ، ويصبح افضل قائد كتيبة فى الجيش الثالث الميدانى بعد ان اعاد تدريبها واهتم بحياة افرادها و بتحسين ظروف حياتهم ، قصة طويلة لتحسين حياة الافراد ، فيحصل على ما يريد ، افضل كتيبة و افضل قائد ، دائما.

ويهتم بتطوير قدراتة ، ويقراء الكتب العسكرية عن تاريخ الحروب واستراتيجيات القتال ومذكرات كبار القادة العسكريون فى العالم ، ولكنة لا يقراءها وحدة ، فسكمنو ، اقصد خالد يقراءها هو ايضا وينتظر ان يحضرها اخية من مكتبة القوات المسلحة .

ويذهب الى فرقة الاركان حرب ، بنشاطة و ثقافتة و حيويتة ، ومن جديد يصبح الاول ، ويعرض علية ان يبقى فى كلية اركان الحرب ليعمل بها مدرسا ، فيرفض ، لانة يريد ان يخدم فى الوحدات القتالية ، برغم ان سكمنو يتحايل علية ان يقبل ليبقى قليلا مع عائلتة .

وينتقل ليعمل فى هيئة عمليات القوات المسلحة ، ثم يستشهد مع المشير احمد بدوى ، ويترك جرحا لم يندمل لسكمنو و بكمنو وولامة وزوجتة واولادة ولكل العائلة.

هذا المبدع الشجاع الودود الطيب المستقيم ، الذى خلق ليكون ضابطا فى القوات المسلحة.
ما اصعب ان اكتب عنة والجرح ما زال مفتوحا لم يندمل من ذلك الوقت .



قلب الام
كنت فاكرك ماجد !

هكذا قالت لى وانا اخرج من الماء على ساحل مرسى مطروح مسرعا متجها اليها لاننى لاحظت انها قد توقفت عن التمشية على خط المياة بدون سبب واضح ووقفت ونظرت الى ، فاصابنى القلق ، واسرعت اليها ، كان ذلك بعد ما يزيد على عشرة سنين على استشهاد اخى.
الغائب حتى يعود و المريض حتى يشفى والصغير يبقى صغيرا حتى و لو كان شاربة اكبر من وجهة ، هكذا هو قلب الام أن كنتم تعلمون .
ندخل الى الدنيا صفحة بيضاء ونخرج منها مسخنين بالجراح ، وعلى راس هذة الجراح ذكريات من رحلوا قبلنا ، اعان اللة كل ام فقدت ابنا او بنتا فهى لاتنسى اوحتى تملك القدرة على التناسى المؤقت ، وقد تنجح فى اخفاء الالم المستمر عن اعين المحيطين ، ولكنة موجود و دائم وضاغت ويظهر على السطح احيانا ، فيا ايها الاخوة و الاخوات لمن فقد ، اهتمو بامهاتكم ، لقد فعلت ذلك باقصى ما استطيع حتى اننى تعرضت للانتقاد ولكنى ما زلت اشعر بالتقصير ، فلااحد يستطيع ان يحل محل الغائب ..
ادامكم اللة
الصورة لامى و هى فى الستين من عمرها بعد استشهاد اخى



الى اخر العقود

الذى قام بدور تاريخى فى تجميع كتابات محمد مندور المتناثرة فى كل مكان و نشرها فى كتب ، وجدت ما تبحث عنة ، مقدمة ملك عبد العزيز لكتاب نماذج بشرية للدكتور محمد مندور و لها قصة لابد من ذكرها ، مهما كانت التائج لان مرارتى مفقوعة منذ زمن.

لقد اعيد طبع الكتاب عن طريق المجلس الاعلى للثقافة او قد تكون من مكتبة الاسرة ، انا غير متاكد ، و نشر بدون المقدمة التى تشكل جزءا من الكتاب و بمقدمة جديدة من كاتب اخر و كأن الكتاب كان يحتاج جهدا خاصا لاعدادة للنشر و اختفت مقدمة ملك عبد العزيز ، وكان ممكنا ان يكتب هذا الكاتب مايريد من مقدمات و لكنة لايملك الحق فى ان يحذف المقدمة الاصلية التى وافق عليها محمد مندور نفسة ، فباى جراءة ووقاحة مكنتة ان يفعل ذلك ؟ واى استهانة و عدم مسؤلية من الناشر كائنا من كان ؟ هل كل هذا من اجل السبوبة ؟ عليكم اللعنة اجمعين ، بدون اى تردد ، **واحمدو الرب انكم لستم فى** مواجهتى الان ، والا كنتم ستروا ما يعنية الغضب المندورى.

مقدمة

بقلم: ملك عبد العزيز

«للكاتب الإيطالى المعروف «بيرنداللو» رواية مسرحية هى : (ست شخصيات تبحث عن مؤلف يبرزها إلى الوجود) . وهذا معنى الخلق فى الأدب . ولكم من شخصية ما تزال مبعثرة غامضة حائرة حتى يتاح لها مؤلف يجمع أشتاتها ويوضح معالمها ويدعم حياتها ، فإذا هى أبقى على الزمن من البشر ، وإذا بها تجتاز الأجيال مستقلة الوجود فى مأمن من الفناء . لأنها أعمق فى الحياة من كل حى ، وأصدق دلالة من كل واقع» (ص١) .

ذلك ما يبدأ به المؤلف كتابه ، وذلك ما أستعيره لأبدأ به مقدمتى عن ذلك الكتاب . فإذا كان أولئك الكتاب الكبار خالقو تلك النماذج قد وجدوا شخصياتهم مبعثرة غامضة حائرة فى الحياة ، فجمعوا أشتاتها ووضحوا معالمها ودعموا حياتها ، فكذلك قد وجد المؤلف تلك الشخصيات مبعثرة حائرة ، ولكن فى كتبهم ، التى صارت أعمق فى الحياة من كل حى وأصدق دلالة من كل واقع ، فجمع أشتاتها ووضح معالمها ، فكان من ذلك خلق جديد .

وها هو «جيته» يتحدث عن «فوست» قائلاً : «تسألونى : أى فكرة أردت أن ألبسها فوست ؟ وكيف لى أن أعرفها ؟ ثم أنى لى بالعبارة عنها ؟ قد تكون جولة بين الأرض والسماء ! هى خطوات أكثر منها فكرة ، وإن يكن فقدان إبليس لرهانه ونجاة ذلك الرجل الذى ما زال وهو فى حمأة الرذائل يهفو إلى الخير حتى نجت روحه من الهلاك - ما ينير الكثير من وقائع حياته ، ولكن هذه ليست الفكرة التى تستقر فى قلب القصيدة ، ولا فى أى جزء من أجزائها على انفراد . .» (ص١٩) . ولقد يكون جيته - حقاً - لم يقصد إلى فكرة واحدة ، فكرة بذاتها . ولكن هذا لايمنع أنه قد تكون هناك بالفعل فكرة فى قلب القصيدة . وما له يعى تلك الفكرة ، والأدب لا يصدر عن وعى كله ؟ بل ما له يحددها فيمليها على قرائه ويزجهم فى طريق واحد مرسوم ؟ ولكنه تركها حائرة مبعثرة ليأتى سواه يبحث عنها ويبرزها للضياء ، فيقول عن فاوست إنه : «عقل طغى على القلب فأشقى صاحبه» (ص٣٢) . ويقول عن حياته : «إن معنى تلك الحياة والأثر الذى خلقته خطى فاوست على صفحات الزمن هو أنه علينا أن ندأب ما استطعنا فى سبيل المثل

العليا ، وسيان بعد ذلك أأصبنا نجاحًا أم إخفاقاً ، فالجهاد نبل فى ذاته» (ص٣٥) . وسواء أوافق جيته على ذلك الفهم أم لم يوافق ، فليس له – وما أراد – أن يملى شيئاً على قرائه ، فلكل منهم حرية الفهم كيفما يريد .

وهكذا جاء مؤلف «النماذج البشرية» فدرس جملة من عيون الأدب الغربى ثم رسم لنا أوضح شخصياتها كما رسبت بنفسه ، وحدثنا عن أسرارها كما أوحت بها إليه .

«النماذج البشرية» دراسة وخلق:

هى دراسة ، فالمؤلف يحيط بتاريخ الكتاب وبملابسات ما كتبوا ، وبالآراء المختلفة فى فهم شخصياتهم والحكم عليها . يبرز ذلك حيث لا يثقل ، ويطويه حيث يفضل الطى ، هى «كالنور الداخلى» يضىء دون أن يعشى . فلئن كان المؤلف يحرص على إيراد الحقائق التاريخية حول الشخصية وخالقها ، فإنه لا يدعها تطغى على الخلق الفنى فتجفف ماءه . بل هو لا يوردها جملة واحدة ، بل يحتال لينشرها هنا وهناك حيث توحى المناسبات . ففى «هملت» نراه ينطقه فيحدثنا عن نفسه ، مشيرًا فيما يسوق من حديث إلى المصدر الذى استقى منه شكسبير قصته . كل ذلك دون أن نحس أن المؤلف قد قصد إلى شىء « ولو أننى بقيت على الفطرة كما خلقت لا نتقمت لوالدى فى غير تردد ، ولكان بعد ذلك ما يكون من نصر أو هلاك ولغادرت الحياة غير مخلف أثرًا إلا أن تكون إشارة مؤرخ مثل «ساكسو جراماتيكوس» يسوق اسمى بين من يسوق من ملوك الدنيمركة ، ولعله يذكر ما كان من محاولتى الانتقام لأبى» (ص٣٦) . ويضيف هملت – وقد أراد المؤلف أن يظهرنا على أن قيمة تلك المسرحية الخالدة ليست فى موضوعها ، بل فى علاج هذا الموضوع – : «وكم فى ثنايا التاريخ من أحداث كهذه طفا القليل منها على الزمن ، وهوى الكثير ، والناس بعد لا يشغلون أنفسهم بما طفا أكثر من اشتغالهم بما هوى ، ولكن شكسبير قد خلقنى خلقًا جديدًا وأودع روحى من النفاذ ما لا أزال أشقى به . .» (ص٣٦) . وفى موضع آخر من هملت أيضاً ترى المؤلف يشير إلى الحالة النفسية التى كتب فيها شكسبير قصته : «ونحن لابد متسائلون عن مبلغ ما حمله خالقه العبقرى من مرارة نفسه ، وقد استوت ملكاته وسط أزمة نفسية ما نزال إلى اليوم حائرين فى فهم سرها ومداها ، وإن طالعتنا فى أكثر من مقطوعة من شعره الغنائى Sonnets الذى يدور حول ذلك العام ، عام ١٦٠٤» (ص٣٩) . وفى «ألسست» نراه ينطق موليير بقوله :

«وأنا الآن فى أزمة نفسية تكاد تهد كيانى ، فها هى زوجتى تحتمى وراء المجاملات الاجتماعية فتثير فى نفسى الغيرة تكوينى بنارها كيّاً» (ص٤٨)

فيستعين بتلك الملابسة التاريخية على تأييد رأيه فى أن شعور موليير كان مع بطله ألسست ، إذ لم يجعله موضعاً للضحك فى بعض الأحيان إلا ليتقى غضب هيئة اجتماعية تؤمن بالمجاملات وما بها من نفاق ، وفى «أوليس» يصف معارك طروادة ثم يقول : «وكانت معارك تبيض لهولها النواصى إذ كانت كلها فى قسوة ملاحم السنة العاشرة التى اكتفى «هوميروس» بأن صور لنا جزءاً منها» (ص١٠٣) ليخبرنا أن هوميروس لم يصف فى ملحمته من تلك الحرب سوى جزء من السنة الأخيرة .

ومن وسائله الجميلة فى إيراده الحقائق التاريخية أن تراه يمزج بين النموذج ومؤلفه حين يرى أن المؤلف إنما كان يصور جانبًا من نفسه فى أنموذجه ، وفى هذا ما يجسم الشخصية الروائية حتى لتحسبها ولدت وعاشت واضطربت فى الحياة بالفعل . استمع إليه يقول فى سذاجة تضفى على الكلام خفة وسحرًا : «نشأ دون كيشوت كما نشأ سرفانتيس بمقاطعة المانش بأسبانيا» (ص١٤) ، ويتابع المولف تجسيمه لنماذجه ليضيف إلى حياتها حياة فيقول : «فيجارو من رجال سنة ١٧٨٠ الذين مهدوا للثورة الفرنسية» (ص٧) . فلو قرأ تلك العبارة من لم يسمع باسم ذلك البطل لما داخله شك فى أنه قد عاش ومهد للثورة بالفعل . وفى تلك السنة كتبت الرواية ، وفى تلك السنة خلق بومارشيه بطله فيجارو . وبمثل تلك السذاجة حدثنا عن دخول كلمة فيجارو فى اللغة الفرنسية اسماً لكل حلاق بعد أن ذاع صيت تلك الشخصية الفريدة . «وبلغ من نجاحه فى تلك المهنة أن أصبح كل حلاقى الأرض يحملون اليوم ذلك الاسم» (ص٨) . وحدثنا عن الروايات التى ظهر فيها ذلك البطل «ولقيه المؤلف بومارشيه وقد سئم مهنته ، ومن ذلك اليوم أحبه ، فصاحب خطاه فى الحياة ، وقص علينا نبأه فى مسرحيات ثلاث : حلاق أشبيلية ، وزواج فيجارو ، والأم الجانية» (ص٨) .

ورغم أن المؤلف إنما قصد إلى إحياء «النماذج البشرية» إلا أنه لم يغفل أن يسوق شيئًا من النقد لفن الكاتب أو لطبيعة العمل الفنى ، ولكنه يسوق ذلك كعادته وسوقًا محكمًا فى السياق بحيث لا تحس له نفرة أو إقحامًا . ففى «إبراهيم الكاتب» يقول :«وأنا بعد لا أستطيع أن أتتبع تاريخ تلك الظاهرة فى حياة رجلنا لأننى لا أعرف قصته ، وإنما أعرف منها مرحلة قصيرة ، تذكرنى بالدراما الكلاسيكية حيث ترتفع الستارة عن شخصيات تكونت من قبل ، وإذا بنا أمام أزمة من أزمات الحياة ، وإذا بالشخصيات تتحرك فى أزمتها وفقًا لطبائعها . ونحن بعد لا نعرف ماضى تلك الطبائع ولا نشأتها ، وإنما ندرك خصائصها من احتكاكها بالناس والأشياء وسط أزمتها العارضة . وإذن فقد كان لإبراهيم الكاتب دراما

صيغت قصة» (ص٧٧) . ويصف أدب الكاتب بقوله : «إبراهيم الكاتب أو إبراهيم المازنى مزيج جميل من الشعر والسخرية ، وتلكما صفتان يرد لهما - بحق - جورج ديهامل سر نبوغ الكتاب» (ص٧٧) . وكذلك نراه يحكم على قصة بتلان بأن «أجزاءها المختلفة ليست فى نسبة واحدة من الصلة بالحياة . .» (ص٩٢) ، ثم يفسر ذلك ويوضحه . ولكم من مرة نقف أمام أدب الكاتب من أولئك الكتاب الكبار نعجب به ونتمنى لو يظهرنا المؤلف على ما فيه من أصالة وجمال ، ولكن موضوع «النماذج» يضيق عن ذلك ، فلعلى إذ أقول اليوم هذا ، أنتزع من المؤلف وعدًا بأن يعود إلى فن أولئك الكتاب يتحدث عنه .

والنماذج خلق ، ينفث فيها المؤلف الحياة بما يصطنع من سذاجة ، وبما يحملها على التحدث به عن نفسها كما حمّل هملت ، وبما يترجمه من أقوالها الأصلية ينطقها به بعد أن يكون قد مهد الجو وأحكم الملابسات . هو مخلص لنماذجه يتابعها جزءاً وجزئين كفاوست ، وقصة واثنتين كفيجارو ، بل ينتقل معها قرونًا كأوليس ، يعاصر هوميروس فى القرن التاسع ق .م . ثم سوفوكل فى الخامس ق .م . ثم تنيسون وجويس فى العصور الحديثة ، فهو عالم بها ملم بأطوارها . استمع إليه يتحدث عن أوليس : «ومن عجب أن يسير رجلنا من بطولة الإلياذة إلى دهاء الأودسا ، ثم ينتهى بخبث فيلوكتيت ، وأن نجد فى كل مرحلة بذور المرحلة التالية حتى لنحسب أنه كان يمتلك كل تلك الصفات كامنة ، وإنما هو محك الزمن الذى أظهرها فيه ، كما أظهرها عند الشعب اليونانى كله ، يوم سار من صلابة البداوة إلى مرونة الحياة إلى فساد المدنية» (ص ١٠٤) وفى الحق إن الرجل ما عاش إلا فى القرن الثانى عشر ق .م . فى عصر البداوة الأولى ، ولكن خالقيه من الكتاب هم الذين نقلوه معهم إلى أزمانهم حين صوروه بالصورة الخاصة التى أرادوا ، ولولا نفاذ نظر المؤلف لما استطاع أن يرى تطور صورته فى رءوس كتابه المختلفين . ولما استطاع أن يجد فى كل مرحلة بذور المرحلة التى تليها رغم اختلاف أولئك الكتاب ، ثم أن يحكم من ذلك ، لا أنموذجاً لشخص واحد فى الحياة فحسب ، بل أنموذجًا للشعب اليونانى كله فى عصوره المتعاقبة ، وأنموذجاً لكافة الحضارات «حين تسير من صلابة البداوة إلى مرونة الحياة إلى فساد المدنية» .

والمؤلف يتسلل إلى نفوس نماذجه من خلال أنفسها ومن خلال خالقيها ، ويعرض مختلف الآراء فيها لينفذ إلى ما يراه الحق ، وليصورها فى الصورة التى أوحت بها إليه . استمع إليه يتحدث عن دون كيشوت : «فمن قائل إن هو إلا مجنون يخيل إليه خبله أنه موكل بآثام البشر يحاول لها إصلاحًا ، فترتد إليه

ضرباته إن لم يضرب فى غير مضرب ، ومن قائل : إن هو إلا مثالى عنيد لايزال يصطدم بحقائق الحياة المرة حتى يسلمه الفشل إلى الفناء . وأما أولئك الذين يستطيعون فهمه على وجهه فهم الشباب ، الذين يحسون بفيض من الحياة أنه ليس من الضرورى أن ننجح لنجاهد فى سبيل مثل أعلى نؤمن به ونفنى دونه لأن الجهاد غاية نبيلة لذاتها . ومتى احتاج النبل إلى ما يعززه من نتائج ؟!» (ص١٣ ، ١٤) أو إلى قوله عن هملت : «هذه مأساة هملت ، ولكم كثرت من حوله الأقاويل ، فمن قائل : إنها مأساة جنون ومن قائل : إن هى إلا شهوة انتقام : ولكم اتهمه قوم بالعجز والتردد . وفى الحق إنهم لمخطئون . ليست مأساة هملت شيئًا من هذا وإنما هى مأساة رجال الفكر ، أولئك الذين اتسعت عقولهم لكل شىء فنفذت بصائرهم إلى حقائق الحياة ، وتشعبت بهم أوجه الرأى فتحطمت بين أيديهم حياتهم التى اتخذوها موضعًا للدرس والتحليل . ألا ترى إلى بسطاء الناس كيف لا يرون من الأشياء إلا جانبًا واحدًا فيسرعون إلى تنفيذ ما اعتزموا ، بينما تلمح العقول الكبيرة فى كل أمر ألف جانب وجانب فما تزال أحيانا حائرة مترددة حتى تقف فى مكانها إلا أن يكون قضاء محتوم» (ص٤٧) .

ولا شك فى أن ذلك رأى أصيل أيده ودعمه بما بسط من وقائع الرواية وأحاديثها .

ثم هى خلق بما فيها من تأمل شخصى وملاحظات إنسانية ، وتفكير عميق غذتها ثقافة واسعة واضطراب مباشر فى مناحى الحياة ، استمع إليه يقول فى جفروش : «فأشد انفعالات النفس وأعمقها غورًا وأصدقها رنينًا هو ما يعقد اللسان» (ص١) أو إلى قوله عن دون كيشوت : «فاستحالت آلامه سخرية من آماله التى طوحت به فى كل مذهب ، ولكنها سخرية لا تزال تحمل ما كان بتلك الآمال من عذوبة . ومن منا لايحس فى نفسه بتلك الحقيقة الإنسانية اللاذعة ، وهى أننا مهما تنكرنا لأحلام شبابنا ومهما سخرنا مما كان فيها من طيش ، لانملك إلا أن نحنو عليها ونرفق بها كما نحنو ونرفق ببعض نفوسنا» (ص٣) من منا يقرأ ذلك ثم لايحس بصدقه وإنسانيته ؟ ومن منا يقرأ قوله : «هذا هو جفروش كما تعرفه باريس فى أطفالها الذين قد لايعرفون للأخلاق قواعد ، ولكنهم يصدرون عما هو أسمى من الأخلاق : عن صفاء فى النفس وحرارة فى القلب وإمعان فى الحياة تنشر على شفاههم ابتسامة أبدية الخلود» (ص٥) من يقرأ هذا ثم لايحس أنه قد فسر لنا حياة أولئك الصعاليك الذين نحبهم ونعجب بهم – وإن كنا قد نتردد فى انتهاج سبلهم فى الحياة – ومن منا لايحس أنه قد جعل جفروش نموذجًا حقاً لهم بحيث لانملك أنفسنا حين نقرؤه – وهو الطفل الباريسى – من أن نذكر الشاعر العربى عروة

ابن الورد ، عروة الصعاليك الذى كان يجمعهم ويؤويهم ويطعمهم مما يستلب فى غاراته ، ثم لا يذكر قوله الجميل النبيل :

أتهـزأ منى أن سمنت وأن ترى
بوجهى شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد

ثم انظر كيف صور الدور الذى تلعبه السخرية فى الحياة بقوله فى فيجارو : «ولكم من مرة لا يجد المرء سبيلاً إلى الانتقام من آلام الحياة غير ابتسامة عابرة أو حكم ضاحك . وهل يضعف من نفوسنا غير الألم ؟ وهل يحد من حياتنا غير الهموم التى لا نعرف كيف نسخر منها ؟» (ص٧) واستمع إلى تلك الحقيقة الاجتماعية الصادقة فى العبيط : «فنحن فى الحق أكثر استعباداً للعرف منا للخلق وذلك لأمر بين هو أننا جميعًا – إلا من عصم ربى – أشد حرصًا على حركاتنا الظاهرة منا على حقائق نفوسنا» (ص٢٢) ثم احكم هل عدا الحق فى قوله ؟! ثم أى تفكير أصيل دقيق فى وصفه للمكر فى «الأستاذ بتلان» : المكر ذكاء ينفذ إلى النفوس فيعرف مواطن الضعف فيها وإلى تلك المواضع يتسلل فيختلس الثقة . والمكر إحساس باطنى بالنسب ، إحساس يقف بصاحبه عند طاقة الغير يعالجها حتى يقودها إلى ما يريده ، وكأنه لا يعى ما يفعل ، والمكر أخيرًا قدرة على تصريف القول وشعور دقيق بمفارقات الألفاظ ، وهو صفة إذا حرم منها إنسان فقد سلاحًا لا يمكن أن يغنى عنه سلاح آخر للنجاح ، وذلك لما هو واضح من أن الحياة البشرية كلها إنما تنهض على فهمنا لنفوس الغير وتذليل تلك النفوس ، وإذن فالمكر ليس شراً فى ذاته ، وإنما يصبح شراً إذا أفلت من رقابة الضمير ، ومثله مثل الكثير من قوى الحياة والوجود» (ص٨٧) .

ولكم من مرة تراه يلخص فلسفة بأسرها فى جملة تأتى فى موضعها من السياق ، دون أن تحس فيها جفاف العلم ، وإن ظلت محتفظة بجلال الفكرة ، مما يجعل لتلك النماذج دسامة تغذى العقول وتفتح أمامها أبوابًا من التفكير ، كما رأيناها من قبل ترهف من أحاسيس النفوس . فهاهو يجمع فلسفة الضحك عند برجسون فى قوله : «إن فى تصرفات ألسست ما يجرح وما يضحك ، ولكنه إسراف فى قضية عادلة ، إسراف قصد منه إلى إثارة الضحك ، وهل نحن نضحك إلا مما يخرج عن مألوفنا ؟ وهل الضحك إلا جزاء نقوم به ما يخرج فى حياتنا عما يجب أن تطرد عليه فى عرف المجتمع ؟ » (ص ٥٤) .

وأخيرا هى خلق ، لما فيها من صياغة محكمة أصيلة وأسلوب حار يضمنان لها الخلود كعمل فنى ، وفى الحق إننا لنستطيع أن نرى فى ذلك مرحلة أخيرة من مراحل الأسلوب العربى فى العصر الحديث ، فلقد كان فى البدء سجعا وتكلفا وزخرفة لفظية ثم مال - كرد فعل - إلى البسط والتبسيط بحيث تكشف لك الكتابة عن كل ما تحمل للقراءة الأولى دون أن تترك لك ما تفكر فيه وتتأمله . ولكن أسلوب هذا الكتاب قد خلا من سوءات الصنعة المتكلفة ونأى عن البسط المسرف ، فجاء أسلوبًا مركزًا موحيًا غنيًا بما يرقد تحته من إيحاءات ، فلا تملك إلا أن تقف بين الحين والحين لدى الجملة تمضغها وتجترها لتستخرج كل ما يكمن فى قلبها من معنى . وهو إلى هذا قد خلا من ثقل المحاجة المنطقية وجفاف الأسلوب التعليمى ، بل نراه يلقى ما يريد فى خفة تشبه خفة الإغريق الذين كانوا «يفكرون بخيالهم» ويحلون مشكلات الوجود بالأساطير .

فى «جوليان سوريل» تجده يقول بعد أن صور ما قد يلاقيه بعض الممتازين من اضطهاد فى المجتمع يدفعهم إلى ارتكاب الآثام : « وهكذا تجعل الجماعة منهم كما جعلت من سوريل طيورًا جارحة» (ص٦٩) انظر كيف اهتدى المؤلف إلى الوصف الدقيق الناقل للإحساس يلقيه فى خفة عابرة فيصيب موقعه من النفس ، فهو لم يقل : «وحوشًا ضوارٍ» مثلاً لأنه يريد أن يحتفظ فى نفسك ببعض العطف على أولئك الذين «جعلتهم الجماعة» بظلمها لهم يصلون إلى تلك الحال . وكذلك وصفه للتشابه بين فتاتين صغيرتين بقوله : «شبه قطرات الندى بعضها لبعض» (ص٣) فهو لم يشبههما بزهرتين مثلاً ، بل اختار أدق ما يحمل ما فى النفس من إحساس بالصفاء والطهر والرقة ، وهلى أدق من قطرات الندى فى نقل ذلك الإحساس ؟ .

وإنك لتلمح مثل هذا التوفيق فى التعبير فى قوله : «فلئن كان ألسست «ضميرًا ينطق» بمكنونه صادقاً صريحًا فسليمين «أكذوبة اجتماعية» تتحرك ، ومن عجب أن يحبها ألسست حبًا صادقًا عميقًا» (ص٥٠) وانظر أى وصف كان يكون أكثر انطباقاً على امرأة كسليمين «فى حركات وجهها وابتسامات شفتيها وجرس ألفاظها من التكلف والصنعة قدر ما فى ألوان وجهها وأصباغ شعرها» (ص٥٠) وأى وصف كان يكون أبلغ عن رجل كألسست لا يكتفى «بأن يقول إلا ما يؤمن به ، بل وأن يقول كل ما يؤمن به ولو كان فى ذلك شقاؤه ، ولو أصبح به موضع سخرية الناس أجمعين» - من أنه ضمير ينطق (ص ٤٨) ثم انظر كيف ثبت الكاتب العجب فى نفوسنا من حبه لسليمين حين جمع فى دقة بين «الضمير» و «الأكذوبة» .

واقرأ معى تلك الجملة يفسر بها كيف أن رأس المحكوم عليه بالإعدام فى اللحظات السابقة للتنفيذ ، تحظى بحياة غنية تتدافع فيها الأفكار غزيرة متتابعة «أو ما تحس أنها قد وصلت إلى غاية الجهد فلم يبق فيها إلا ما يخلف هذا الجهد من حرارة تشبه الحياة ، وهى بحمى اليأس أشبه» ثم خبرنى : ألم يرقك هذا التفسير الإنسانى بما فيه من دقة وتركيز يدعوان إلى التأمل ؟

واستمع إلى قوله : وهكذا تتضور النفوس الممتازة وقد قضى عليها أن تتبع السلسلة الإدارية ، وأن تكبح من طموحها حتى تبلى فى أصغر المراكز ، وماتزال تحنى أصلابها وتتصبب عرقاً حتى تستطيع – وقد لا تستطيع – بعد جهد عشرين عاماً – جهد الرقيق – أن تصل إلى ما تستحق» (ص٦٨) ثم انظر إلى قوة الصورة ودلالتها وأصالتها فى قوله : «تحنى أصلابها وتتصبب عرقًا» . إننى لأتصور أمامى الآن رجلارث الشياب يخرج من فوهة منجم ، وقد حمل فوق ظهره حملاً ثقيلاً انحنى عوده تحت وقره ، ونفرت عروقه وتصبب منه العرق ! وانظر إلى تلك الجمل الاعتراضية التى قطعت الأسلوب : عقبات تقف فى طريقك كلما حاولت الانطلاق ، بما يشعرك بالجهد ، جهد أولئك الممتازين الذين وضع المجتمع فى سبيلهم العقبات ، «حتى تستطيع – وقد لا تستطيع بعد جهد عشرين عامًا – جهد الرقيق – أن تصل إلى ما تستحق» . ولكن الجملة الأخيرة تطول قليلا ، إذ فيها راحة الوصول فأى مطابقة فى الأسلوب بين الفكرة وما يساوقها من عاطفة ، وبين الموسيقى اللفظية ! وما دمنا بصدد الموسيقى فلتقرأ معى تلك الفقرة : «ولكم قطعت أسلحة رولان فى مفاوز الجبال ، ولكم نشرت قلاع بربروس الرعب على صفحات المياه ، فما له لايغامر كما غامروا ؟ وما له لا يلتمس المجد بحد السيف كما التمسه من قبل أبطال ؟» (ص١٢) . واستمع كيف «قعقعت» الأسلحة فى «مفاوز» الجبال ، وكيف «نشرت» ، لا بعثت «قلاع» بربروس «الرعب على صفحات المياه» ، لا سفن بربروس ، الخوف على صفحات الماء . ثم احكم أى توفيق قد صاحب الكاتب فى اختياره للألفاظ المميزة بمعناها وموسيقاها . ورولان هو ذلك البطل الشهير الذى زعموا أنه حاول رد العرب عن إسبانيا ، فأوحى بأول ملحمة فى الشعر الفرنسى ، وبربروس هو ذلك القرصان الرومانى المرعب الذى دوخ رواد البحر .

«تراه فى المنزل وما تدرى من أين دخل ، تغلق الباب فيأتيك من النافذة ، تحسبه بالداخل بينما هو فى الخارج ، أليس هو فيجارو مضرب المثل فى الخفة والمهارة ؟ أليس هو فيجارو . .» (ص٩) .

نعم إنه فيجارو مضرب المثل فى الخفة والمهارة ، إذن فليتابع المؤلف خفته في حركة الأسلوب ، فى تلك الجمل المنفصلة المتلاحقة ، وفى ذلك التساؤل المتكرر الذى يتبعها .

وبعد فليس الحديث عن السيل الموسيقى فى الأسلوب والدقة فى اختيار الأصوات المعبرة بالأمر الهين . ذلك لأنها ليست من البساطة والوضوح بحيث تمسك بها وتدرجها فى رقم أو أرقام كذلك الذى كانوا يعلموننا فى المدارس من أدب هذا الكاتب أو ذلك «سجع قصير الفقرات ، ومقابلة أو طباق ، وبدء بالتحميدات . . إلخ إلخ . .» إنها ليست موسيقى رقص ، محددة مقسمة متقابلة ، ولكنها فيض نفس ، نفس حارة غنية ، موسيقى سيالة تعلو وتهبط وتتكسر وتتراخى وتتدافع حسب الإحساس أو وثبات الفكر ، فإذا أردت أن تدرك خصائصها ، فعليك أن تقف إزاء كل جملة ، وإزاء كل فقرة ، تتأمل السر فى إحكام ما بها من نغم .

«إذا كان المؤلف قد استعان بتجسيم شخصياته على إيراد الحقائق التاريخية ، فإنه قد استعان بذلك أيضًا على استحضارها أمام القراء ، حين تكون أبلغ تأثيرًا فى نفوسهم «ها نحن تحت أشجار القسطل فى ظلام الليل ، وها هو فيجارو وحيدًا مجهدًا يقص علينا آلامه ويشكو ظلم الحياة بعد أن نفذ صبره وأصابت السهام شغاف قلبه ، ها هو فيجارو يصيح غيرة على عروسه التى يحب . . .» (ص ١٠) . ثم إذا به يعقب بعد أن انتهى فيجارو من إلقاء مونولوجه بقوله : «وحزن الحاضرين لحزن فيجارو» . وفى الحق لم يكن ثمة حاضرون سوى النظارة فى المسرح ، ولكنه أحالهم «حاضرين» معه حتى يوهمنا بالواقع فيكون أفعل تأثيرًا فى نفوسنا .

وبعد فإذا كان المؤلف يملك تركيز الفكر ودقة اللفظ وقوة إيحائه ، ثم دلالة الصور وموسيقى الأسلوب ، وإذا كان يعرف اصطناع السذاجة وإحياء الشخصيات ، فإنه يملك هبة لا تقل خطرًا عن كل هؤلاء ، يملك حرارة القلب ، يملك قوة الشعر ، ومثالية التصوف . استمع إلى قوله : «دون كيشوت رمز لأحلام الشباب ، وأى سحر أفعل فى النفس من تلك الأحلام ؟ قد تذهب أحداث الحياة بتلك الآمال العذاب التى يقوم عليها صبانا كما كانت تقوم العذارى على النيران المقدسة بمعابد الآلهة يسكن ضرامها عن أن يخمد ، ولقد تنقطع أوتار القيثارة فلا تعود تملأ نفوسنا بنغماتها الساحرة ، ولكن النار لابد مخلفة رمادًا مقدسًا ، ولا بد للآلهة من رجع فى النفس تحن إليه كلما عادت بها الذكرى من ثنايا الماضى الجميل» إننى لأشفق أن أمس تلك الفقرة الرائعة بالتحليل فألقى ظلا على ما بها من شعر وتصوف ، ولكن عليك أن تعيدها على سمعك فتحس بكل ما فيها من جمال وجلال .

ثم هو إذا كان يملك الشعر فإنه ليعرف السخرية . استمع إلى قوله فى «العبيط» :
ولكن الرجل عبيط ، عبيط ما فى ذلك ريب ، فهو لا يعرف أين يضع نفسه ولا يقدر نفسية من يخاطبه ولا يفطن إلى ما فى ردود الخادم من وقاحة متصاعدة ، وهو أخيرًا لا يعرف أن ما كل حق يقال ، وإذا قيل فما ينبغى أن يقال لكل إنسان ، وما إلى ذلك من حكمنا الثمينة ! قد تقول هذا وخيرًا من كل هذا ، أما أنا فأعتقد أن عقولنا نحن هى الفاسدة وأن حياتنا الاجتماعية كانت من القسوة بحيث خلقت أرواح عبيد وأرواح سادة . وكانت من الالتواء بحيث جعلت من حياتنا نفاقا متصلا ، واتخذت من هذا النفاق قانوناً صارمًا يصيبنا من عدم احترامه أكبر الأذى (ص٣٦ ،٣٧) فأى سخرية أبلغ منها فى قوله : «عبيط عبيط ما فى ذلك ريب» ووصفه لتلك الحجج بأنها «حكمنا الثمينة» ثم استخفافه بها فى قوله : «قد تقول هذا ، وخير من كل هذا» . ثم إننى أرجو أن تقف عند ما فى هذه الفقرة من سخط على التواء حياتنا الاجتماعية ونفاقها وما بها من دعوة لتحطيم تلك القسوة التى خلقت أرواح عبيد وأرواح سادة . ولكنها دعوة لا تأتى من الخارج ، لا تأتى من أنه «ينبغى» لنا أن نحث على الفضيلة وأن نجعل الأدب منابر وعظ ، لا تأتى عن قصد وتعمد - فذلك ما يميت الأدب ولا يحيى الأخلاق - وما يؤمن الكاتب بشىء من هذا ، بل إنه ليؤمن بأن الفن غاية نبيلة فى ذاتها ، ولكن تلك الدعوة وأمثالها إنما تصدر لديه عن فيض نفسى ، عن شعور شخصى وإيمان عميق ، ولذلك تحتفظ بقوتها على التأثير ، فتسلم لها النفوس ، بدلا من الوعظ المفتعل المرسوم .

ولكى يستجيب إلى ذلك الشعور الذى يعتلج فى نفسه من حبه للمثل العليا نراه يقف فى تصويره لبعض الشخصيات عند مرحلة بعينها حين يراها تفقد دلالتها الأولى كمثل ممتاز «ولهذا نقف فى تصوير فيجارو عند هذا الحد لنتركه فى ذهن القارئ مثلا حيّاً لمبلغ ما يستطيع أن يصل إليه الفرد من عزة نفس مهما اتضعت به حماقات الهيئة الاجتماعية الفاسدة» . (ص١١) .

وفى الحق إن فى «النماذج» لخير غذاء للجيل الجديد . تراه يدعو إلى المثل وإن كان ينصح بملابسة الحياة «وهكذا نحن فى الحياة لابد لمن يريد أن يظفر منها بما يسميه جمهرة البشر نجاحاً وقوة أن يستوثق من الأرض بقدم وأن يلابس الواقع عن قرب . وأما المثاليون الذين يرفضون أن تدنس الأرض أقدامهم فمثلهم لنكد الطالع كمثل أنتيه وقد رفع إلى الفضاء ما تلبث السيوف أن تذهب برءوسهم» (ص١٢) ففى هذه الفقرة نراه يصور ضرورة ملابسة الواقع فلا يهيم الشباب فى واد سحيق

من الأحلام لا يفضى إلى شىء ، وإن كان لا يزال يحتفظ بحبه للمثل فى قوله : «أن يظفر بما يسميه جمهرة الناس نجاحًا وقوة» وفى قوله : «لنكد الطالع» .

وهو يدعو إلى الجهاد ، الجهاد الذى لا يعرف اليأس مهما لاقى من إخفاق «وأما أولئك الذين يستطيعون فهمه على وجهه فهم الشباب الذين يحسون أنه ليس من الضرورى أن ننجح لنجاهد فى سبيل مثل أعلى . . .» ثم هو يرفع من قوى النفس الخلقية «ولكنه أبى النفس يرفض أن يميل مع الرياح ليمر على عنقه رجال حابتهم الأقدار على غير فضل فيهم ، أو رفعهم حمق البشر فوق ما كان يجب أن يبقيهم اتضاع نفوسهم» .

ولقد نجد تفاوتًا فى الحرارة بين النماذج المختلفة ، فما ننتظر أن يتحمس للمحتال بتلان وإن كان قد يتحمس ضد أوليس بعد أن ينحدر . إنه يفهم محنة هاملت ويعطف على فيليسيتيه ويرثى لجوليان سوريل ويخشى على رستنياك ويحب جفروش ، ولكن حماسته تبلغ أقصاها حين يتصل النموذج بمعنى عام شديد المساس بحياتنا قريب من آلامنا وآمالنا . استمع إلى قوله عن فيجارو : «أنموذج بشرى خالد لأبناء الشعب الذين لا يطامن من كبريائهم ظلم ولا يعوزهم سلاح فإن لم يكن العنف فلتكن السخرية . . . فيجارو روح خالدة لأنها كقوى الطبيعة التى لا تدفع ، فيجارو من روح الله لأنه رمز الشعب ، ذلك الشعب الخامل الذكر المهضوم الحق ، ذلك الشعب الذى لا يريد أن يستجدى أحدًا ، إنما يطالب بحقوق لابد أن ينالها يوما ، ذلك الشعب الذى يشكو من نظام فاسد لابد من أن يقيم على أنقاضه نظامًا أصلح» (ص١١) وفى هذا الكلام من حرارة القلب وقوة الإيمان ما يشحذ القوى ويحيى النفوس .

وبعد ، فلعلى أطلت عليك أيها القارئ الكريم ، ولعلك تتساءل وما بالها تكتب كل هذا الكلام عن صاحب الكتاب ؟ ولكنه لو لم يكن زوجى لكان لى الحق فى أن أكتبه كمحبة للأدب ، فكل ماطرأ هو أنه قد أفسح لى الكتاب لأقول ما أريد .

«ملك عبد العزيز»

علاء الديب يكتب عن نماذج بشرية لمحمد مندور

نماذج بشرية» للدكتور مندور كتاب فريد فى نوعه وقيمته وتأثيره، قرأت الكتاب قبل أن أنهى دراستى الثانوية، كان هو » الباب الذهبى الذى دخلت منه إلى العالم السحرى الذى مازلت أعيش فيه وأتمنى ألا أخرج منه إلى نهاية العمر: عالم الأدب، أو العالم كما يراه الأدباء، ويعيدون خلقه على الورق، علمنى حب القراءة، حب البحث عن المعنى والحب والتحقق كما يصنعها الكتاب والمفكرون: هنا، وفى أى مكان لكى يعيدوا ترتيب الصخب والارتباك الذى يعيشه مراهق يبحث له فى الحياة .عن طريق

أخذ كتاب مندور الفاتن بيدى فى أصعب أوقات الحياة، الشكر والتقدير والامتنان أشعر بها كلما جاء ذكره أو وقع فى يدى كتاب له، صدر «نماذج بشرية» **عام** 1944 طبعته على ما أعتقد مكتبة نهضة مصر، كتاب من القطع الكبير على غلافه **الأخضر كلمة** «نماذج بشرية» ومحمد مندور بحروف سوداء كبيرة، الإهداء والمقدمة - **على ما أذكر** - كانا لزوجته **الشاعرة الراحلة** «ملك عبدالعزيز» يقول مندور فى الإهداء الذى احتفظت به كل الطبعات اللاحقة للكتاب

اعتدت أن أملى على زوجتى ما أكتب أو أقرأه عليها بعد الفراغ منه، فهى أديبة تجيد النثر والشعر، وأنا شديد الثقة بذوقها الأدبى الذى أدركته فيها وهى لاتزال طالبة فى كلية الآداب.. كانت خير عون لى على الرجوع عما قد تسوقنى إليه حرارة القلم عندما يتملكنى الموضوع فأندفع فى أعقابه، إن يكن هناك إنسان قد أحس بكل ما وضعت فى هذا الكتاب من تفكيرى وإحساسى فهو بلا ريب هذه الزوجة العزيزة

ثم يعود ليقدم الكتاب وفكرته للقارئ فيقول: للكاتب الإيطالى بيراندللو مسرحية هى «ست شخصيات تبحث عن مؤلف يبرزها إلى الوجود» وهذا هو معنى الخلق فى الأدب، ولكم من شخصية لاتزال مبعثرة غامضة حائرة، حتى يتاح لها مؤلف يجمع أشتاتها ويوضح معالمها ويدعم حياتها، فإذا هى أبقى على الزمن من البشر، وإذا بها تجتاز الأجيال مستقلة الوجود «فى مأمن من الفناء: لأنها أعمق فى الحياة من كل حى، وأصدق دلالة من كل واقع

فى الأدب: لير، وهاملت، ودون كيشوت، وأوليس إننى أحبهم وأعرفهم وأتمنى أن أقابلهم أكثر من فهمى ومرسى وجون وفرج الذين ألتقى بهم كل يوم فى الشارع أو على المقهى

المعانى والقيم والأفكار التى يستخرجها مندور من أكثر من عشرين نموذجاً بشرياً من خلق الأدباء والمفكرين تكاد تصنع دليلاً يشرح تطور العقل والفكر الإنسانى من اليونان القديمة حتى الآداب الحديثة

فى شهر مايو 1965 **رحل الدكتور مندور وعمره** 58 عاماً، بعد رحلة حياة صاخبة فى الأدب والسياسة، والنقد والصحافة، اختلف مع كثيرين وأحبه وتتلمذ عليه خلق أكثر، أمضى بعثته التى امتدت إلى حوالى 9**سنوات فى فرنسا وعاد دون أن** يحصل على الدكتوراه، ولكنه حصل معارف وتجارب وخبرات ممتدة من الفلسفة اليونانية إلى الاقتصاد الحديث والفكر التقدمى الاشتراكى، اختلف مع العميد طه حسين الذى رعى بعثته وشجعه على دراسة الأدب، ولكنه عاد وحصل على الدكتوراه من جامعة فؤاد برعاية وإشراف أحمد أمين وأمين الخولى، فى واحدة من أهم الرسائل الدارسة للأدب العربى القديم، «النقد المنهجى عند العرب»، التحم بالعمل السياسى والاجتماعى التقدمى فى عاصفة من الفكر الجديد الحر فى السياسة والقضايا الاجتماعية، بينما نادى بفكرة «الأدب المهموس»**فى مقابل** الصراخ والرومنتيكيات العاطفية الزاعقة، ويقول الراحل رجاء النقاش فى تقديم الطبعة التى بين يدى من: نماذج بشرية: فى كتاب «الميزان الجديد» **للدكتور مندور** اكتملت صياغته لنظريته فى «الأدب المهموس»، هى لم تكن مجرد دعوة أدبية بل هى دعوة إنسانية صادقة قريبة إلى **القلب**. الهمس فى الشعر ليس معناه الضعف، الشاعر القوى هو الذى يهمس فتحس صوته خارجاً من أعماق نفسه فى **نغمات حارة**

إلى جانب النقد المنهجى والميزان الجديد، قدم مندور ترجمة رائعة لكتاب: دفاع عن الأدب لجورج داهميل، كما قدم كتاب: من الحكيم القديم إلى المواطن، وأصدر واحداً من أوائل الكتب العربية عن تاريخ حقوق الإنسان، وعشرات الكتب الأخرى التى تجد قائمة بها فى أى مؤلف من مؤلفاته، كما جمع رجاء النقاش مجموعة مقالات لمندور لم تنشر فى كتاب صدر عن دار الهلال، أما الأستاذ فؤاد دوارة فقد أفرد جزءاً كبيراً من كتابه الشهير «عشرة أدباء يتحدثون» عن السنوات الأخيرة من حياة مندور التى أمضاها فى كفاح بطولى ضد مرض خطير فى العين والدماغ والغدد وكأنه كان يقول: «نحن أمواج إن تهدأ تمت» كما قدم الأستاذ فؤاد قنديل دراسة مهمة عن أعمال وحياة مندور

صوت قلب مندور الحقيقى وثورة عقله لا أجدها أكثر بريقاً ووضوحاً عما عبر عنها فى كتابه هذا «نماذج بشرية» فيه تقرير واضح شفاف للدور الإنسانى الذى يلعبه الأدب فى تقدم المجتمع، وفهم شخصية وتطور الإنسان

يقول مندور فى صفحات الكتاب الأولى: قد يبدو غريباً أن نترك النماذج المشهورة كدون كيشوت وهملت وفاوست لنبدأ «بجفروش» «جفروش» طفل فى الثالثة عشرة من عمره، يظهر ويختفى بعد أن تبدأ رواية «البؤساء» لهيجو وقبل أن تنتهى، فلا هو بطل الرواية ولا هو مدارها، ولكننى رغم ذلك أحب هذا الطفل وأفضله على الرجال، حتى إننى أقعدنى المرض أياماً فلم أجد جليساً تستريح إليه النفس خيراً منه، لقد سئمت منطق البشر وأصبحت أرثى لذلك الفيلسوف الجليل «أفلاطون» الذى غذى شبابى بما فى الخير والحق من جمال، لا أدرى هل ضل الرجل عندما زعم أن النفوس لا يمكن إلا أن تعشق الخير والحق إن أبصرت بهما، أم يخادع الناس أنفسهم ويخادعون الغير عندما يتحدثون عن الخير والحق؟ من يدرينا؟ قد لا يكون هذا ولا ذاك وإنما هو عبث بالألفاظ وإخراج للغة عما خلقت له من حمل معانى النفوس ونفثات القلوب،ولكم من مرة حدثتنى النفس أن اختراع اللغة هو أقسى ما نزل بالبشر من كوارث

جفروش طفل من شوارع باريس، فى قلب ثورة 1832 هو من باريس بمنزلة العصفور من الغابة، كان جفروش يرتدى بنطلوناً لم يأخذه من أبيه وقميصاً لم يأخذه من أمه، إنما كساه بتلك الأسمال قوم محسنون، له أب وأم ولكنه يتيم، حجارة الشوارع التى ينام عليها كانت أقل صلابة عليه من قلب أمه وأبيه، كان صاخباً شاحباً خفيفاً يقظا ساخراً حى الملامح مريضها، تراه رائحاً غادياً مغنياً لاعباً يحفر القنوات، يسرق أيانا ولكن فى مرح كما تسرق القطط أو العصافير، يضحك لمن يسميه عفريتاً ويغضب ممن يسميه لصاً، لقد حرم المأوى والخبز والنار والحب، ولكنه كان مرحاً لأنه حر

هو وأمثاله يعيشون أسراباً، يزرعون الطرقات ويسكنون الفضاء، هم يصيحون ويسخرون ويصخبون ويتضاربون، عليهم خرق كالشحاذين، وأسمال كالفلاسفة، يصيدون فى المجارى، ويطاردون فى القمامة، ويستخرجون المرح من الأوحال، مجانين إلى حد العقل، شعراء إلى حد الإسفاف، يندسون فى الروث ويخرجون منه مرصعين بالنجوم

فى صحبة هذه العيون وذاك القلم العبقرى العارف بالأدب وبالثقافة وبالإنسان تتنقل فى هذا الكتاب من هملت ولير وتغوص فى الكوميديا الإنسانية عند بلزاك، والكوميديا الإلهية عند دانتى، وتتبع شخصية «أوليس» فى الأدب اليونانى حتى أحدث وجود لها عند جيمس جويس، ويقف بك عند فاوست جيته وفاوست فى الأساطير الشعبية الألمانية، جوليان سوريل عند استندال فى الأحمر والأسود، والأمير موتوشكيى فى الأبله عند ديستوفسكى، تستخرج عبقرية مندور ما فى أكثر من عشرين عملاً أدبياً خالداً أسرارهم ويقدمهم للقارئ الذى يعرفهم أو الذى لا يعرفهم وقد اكتسبوا من روح الرجل العبقرية خلوداً جديداً

حقاً نماذج بشرية كتاب فاتن

نقطة نظام

منذ أيام قرأت لواحد من قراء «المصرى اليوم» **الكرام اعتراضاً على اقتطاع بعض الكتب مساحة من الباب الناجح والمفضل عنده «السكوت ممنوع»**، عصير الكتب يحتل مساحة يوم الأحد، لا أدافع **عن** «عصير الكتب» **لكنى أقول للقارئ** الكريم: الكتاب الجيد قديماً كان أو جديداً يحمل دائماً نفس الرسالة: عبر عن نفسك «**السكوت ممنوع**»



الدلع وفساد الاطفال

النصيحة الدائمة للاباء و الامهات هى لا تدلع اطفالك و لكن لاتقسوا عليهم واظهر حنيتك حتى يكبر الطفل مسؤلا و متوازنا نفسيا ، وبالطبع لا تضربهم .
هذة هى القاعدة العامة ، وهى قاعدة صحيحة و مضمونة النتائج ، ولكن هل كل طفل " مدلع " يمكن ان تكون نتائج الدلع سلبية ولا يصبح رجلا لا يمكن الاعتماد علية او حتى لا يستطيع ان يكمل تعليمة او ان يتفوق ؟
الحقيقة انة لاتوجد قاعدة لا تستثنى احدا ، فانا كنت مدلع ، ولا اعرف السبب فى ان جدى و ابى كانوا بيدلعونى ، ففى المرة الاخيرة التى رايت فيها جدى كان نظرة قد ضعف كثيرا وكان علينا ان نخبرة باسم كل شخص ، وعندما جاء دورى و اخبرتة باسمى ، ملأت الابتسامة وجهة ، وغندما سالت امى لماذا انا ؟ فانا لم اكن اكبر حفيد او اصغرهم ، ولم اكن اكبر ابناء ابى و لا اصغرهم ، فقالت ، فى الغالب ، اننى فى سن خمسة او ستة اشهر كنت مكلبظا ومبتسما ، وكلما حملنى احد ابتسم فى وجهة ، وكان هو رجلا ودودا كبيرا فى السن ، فتم تاميمة لمصلحتى ، ولكن هذا الانجذاب الاولى تدعم بعد ذلك .
ولا اعرف ايضا سببا لدلع ابى لى ، برغم احتجاجات امى الدائمة بقولها " هتبوظة " وبالطبع لم يكن هذا الاحتجاج يتم امامى ولكنى سمعتة عدة مرات بالصدفة .
والغريب ان الدلع لم "يبوظنى " ، فكلما زاد الدلع زاد الانضباط ، فقد كنت احمل هم الشهادة الشهرية ، لاننى اعرف ان ابى سينظر اليها ولا يعلق وانة فى الغالب ان جدى سيسال ولن يعلق ايضا ، فلكم ان تتخيلوا طفلا يحمل هم الشهادة فقط

لارضاء ابية وجدة ، الامر الذى اسفر ، دائما ، عن درجات عالية و انضباط فى السلوك ، طفل وشاب صغير بلا مشاكل ،
وامتد الانضباط حتى فى التعامل مع الاصدقاء وخصوصا فى مواعيد اللقاء ، فسميت بالانجليزى .
ويبدو ان التفوق الدائم قد دعم الدلع من كلاهما ، ولكنى تعرضت لخسارة فادحة ، فلقد توفيا خلال عام واحد تقريبا ولكن
الانضباط الذى اصبح طبعا ثانيا ، ساهم مساهمة كبيرة فى التماسك الشخصى ، فقد كنت قادرا على الاعتماد على نفسى
وتقديم المساعدة للاخرين ، شاب صغير السن قادر على اتخاذ القرارات و مستقل الى حد بعيد ، وبرغم انهما قد توفيا فاننى
فى عزاء ابى قررت اننى ساظل متفوقا اكراما لذكراهم ، وهو ما حدث
الامر الذى جعل امى تخبرنى ، بعد سنوات قليلة من وفاة ابى ، انها لم تكن تعرفنى ، الامر الذى فاجئنى ، ولم ادرك الا منذ
زمن قريب ان السبب اننى كنت "مدلع " االامر الذى نتج عنة اننى اصبحت العصا التى تستند عليها
فهل الدلع يفسد كل الاطفال ؟
فمن يريد منى شيئا ، يدلعنى ، اما اذا حاول ان يلوى ذراعى باى وسيلة فلن ينال الا غضب عارم لواحد " مدلع "
بحب الدلع وبحب ابى و جدى

جدودى

الحكيم الحاج عبد الحميد مندور وزوجتة زهرة عبد الدايم و الاحفاد
فى المنزل الفلاحى القديم قبل الانتقال الى المنزل الجديد
هل تعرفوا لماذا هذا الابتسام ؟ لان من يصور هو العم اللطيف الودود د.مصطفى مندور



لم اكن اعرفك - ملك عبد العزيز

توفى ابى و انا فى السابعة عشرة ، واصبت بصدفة عاطفية ونفسية كبيرة جدا ، فلقد توفى امامى ، ولم يكن اخوتى الكبار موجودون نتيجية لظروف عملهم ، فاعتمدت على امى ، ولكن الصدمة استمرت لسنوات طويلة ، فكلما اضيىء النور فى حجرة امى كنت اترك غرفة المكتب الى غرفتها ، وعندما افتح الباب كانت تبادر بالقول " انا كويسة " ، وخلال ما اعقبها من سنوات كنت اجلس اذاكر فى مكتب ابى ، وكلما حضرت صديقات امى وفى طريقهم للمغادرة كن يقومن بفتح الباب للسلام على ، وكان العجب يستحوذ على من ذلك .
واخبرتنى امى انها لم تكن تعرفنى ، فتعجبت ، فهل تعرفوا ابنائكم ؟
سؤال صعب جدا ، لان المعرفة العميقة باى شخص شديدة الارتباط بسلوكة الشخصى فى ازمة سواء لة او لاهلة و اصدقائة او حتى معارفة او فى العمل العام .
لقد تكرر الامر معى الامر عدة مرات ، فى ظروف مختلفة " لم نكن نعرفك " وكنت اتعجب ، زملاء دراسة لسنوات طول او زملاء عمل مهنى او زملاء عمل عام لسنوات عديدة وسط ظروف قاسية ، ويتكرر الامر .
فهل تعرفوننى ؟ وهل انا غامض ؟ لااعتقد بل اعتقد اننى واضحا جدا الى الحد الذى لايدركة الاخرون ، واحيانا واضحا الى حد المباشرة التى ممكن ان تكون غير دبلوماسية ، فهل تعرفوننى ؟ لاننى بداءت اشك فى اننى اعرف نفسى !

هل انا حر
سؤال صعب الاجابة علية ، ولكن من المؤكد اننى قد عشت حياة صعبة وما زلت وقدمت تنازلات كبيرة ، وكان دافعى الدائم هو الرحمة وليس العدل ، فالرحمة اكثر اهمية كثيرا من العدل ، خصرصا اذانظرت الى قلوب الناس و ليس افعالهم ، فهل كنت مخطئا ؟ غير متاكد و لكن ما انا متاكد منة اننى هكذا خلقت واننى هكذا اكون مرتاحا نفسيا ، برغم الخسائر الفادحة ، ولكن الشىء الوحيد الذى لم اقدم فية اية تنازلات هو قناعاتى الفكرية وتعبيرى عن هذة القناعات حين اريد وكيف اريد وفى حدود ما اريد ، الامر الذى لا انوى التنازل عنة مهما كانت النتائج ، ومن يريد ان يغير قناعاتى او افكارى علية ان يناقشنى عقلا بعقل ، اما الدمججة و الشعارات فلا استجيب لها ، فلم اكن ابدا صبيا لاحد او اردد مقولات الغير ، ولن افعل هذا ابدا ، حتى و لو ترتب عليها فقدان الاصدقاء الذين احبهم ، الذين عليهم ادراك ذلك اذا كانو لم يدركوة بعد .
فهذا هو الباقى لى لكى اظل انسانا ولا انوى التخلى عنة .

هل نقبل أياديهم ؟

كنت اتعجب لماذا يقبل ابى يد جدى ، فى حركة تتكرر ، ينحنى ابى ليقبل يد ابية فيقوم جدى بسحب يدة و باليد الاخرى يطبطب على ظهر ابى ، ولم يطالبنا احد بان نفعل ذلك ابدا ، ولكن بعد ان كبرت قليلا بداءت افهم ان هذا لم يكن مجرد عرفا اجتماعيا ، بل احساس حقيقى من ابى الذى يقبل يد ابية تقبيلا حقيقيا ، اعترافا بمجهودة العظيم فى تربية اولادة و اصرارة على ان يتعلموا جميعا حين ادرك الضرورة الاجتماعية و حقيقة مستقبل ابناء الفلاحين اذا تعلموا، برغم أن ذلك لم يكن قصرا على جدى، بل شىء عام استقر فى وجدان هذة الطبقة الوسطى من االفلاحين فى بدايات القرن العشرون ، وطبطبة من القلب من الاب على ظهر ابنة الحنون صاحب القلب الابيض .
وبعد ان بداءت افهم كنت اترقب هذة اللحظة لاشاهدها واشعر بالسعادة وانا ارى هذا الدفق من المشاعر امامى .
وبعد وفاة جدى ، يتكرر نفس المشهد امامى ولاانساة ابدا ، برغم مرور زمن طويل علية ، يصل ابى الى منزل العائلة بالقرية ، ويستقبلة عمى الاصغر على السلالم الخارجية ، وينحنى ليقبل يدة ، ويتكرر نفس المشهد ، يسحب ابى يدة و يطبطب على ظهر عمى بنفس الود العميق المتبادل ، واكاد ابكى و انا اشاهدهما متذكرا جدى .

واللة لوعاد الزمان من جديد ، او عندما اذهب اليهم ، ساقبل اياديهم ، ليس هم فقط بل كل ابائى و جدودى الذين كافحوا من اجل نهضة هذة الامة

بالاحضان

دخلت الى مجلس للمثقفين لا اعرفهم وقدمت اليهم ، فقام احدهم من مجلسة واتجة نحوى واخدنى بالحضن ، ولما شعر اننى تفاجأت ، امسك بتلابيبى واجلسنى بجانبة ، وقال لا تتفاجأ واسمع القصة اولا، **وكان ذلك بعد وفاة ابى بسنوات قلائل.**
وبدأت الحكاية ، فلقد كان معتقلا لمدة 5 سنوات ، وبدء الاعتقال وهو فى السنة الاولى فى معهد الدراسات المسرحية سنة 1959، اومعهد التمثيل كما تعارف على تسميتة .
وافرج عنة مع كل زملاؤة و قررت الدولة ان يعود كل معتقل الى عملة ، فذهب الى المعهد وقابل العميد وطلب العودة الى الدراسة ، فرفض العميد ، فماذا يفعل ؟ ذهب الى رئيس قسم الادب المسرحى حيث كان تلميذا لدية ، ودخل الى المكتب وبدء فى قص قصتة ، فاستمع الية الدكتور محمد مندور دون ان يعلق ، ثم قام من مجلسة ، بدون اى كلمة ، وامسكة **من ذراعة** وذهب بة الى العميد ، وقال " هترجعة ولا استقيل " ، ولم يستقل الدكتور مندور !



نحن وعنتر وجحا

اية دة ؟ الراجل لسع ! بس لو صبر القاتل على المقتول لقتل وحدة ، مش كدة و لا اية ؟
اصل يحكى عن جحا انة كان مفلسا و جائعا ، فاشترى خبزا و ذهب بجوار محل الكبابجى وبدء فى " تغميس " الدخان ، فامسك بة الكبابجى و طالبة ان يدفع وانة لن يطلق سراحة الا بالدفع ! فاخرج جحا العملة المعدنية الباقية معة ورماها على الرخامة فاصدرت صوتا ، فسال الكبابجى ، هل سمعت الصوت ، فاجاب نعم ، فقال لة جحا خذ الصوت ، ولذلك اعتقد انة **لا**يوجد مصرى لم ياكل الكباب او حتى يشم رائحتة ، ولذلك كان اكل الكباب هو اكثر الاكلات شعبية ، قبل ان تهجم مطاعم الاكل السريع وتقدم لحم الموتى المسمى بالهمبورجر .
وحيث ان ابى كان رجلا فلاحا فان اكل العيال كان يهمة وكان يسعد كثيرا وهو يرانا ناكل ، خمسة من الاولاد شديدو النشاط

و يلعبون اكثر من رياضة فى نفس الوقت ، كرة طائرة و كرة قدم وتجديف وملاكمة عند اللزوم والعاب قوى ، وقادرين على ابتلاع المحيط اذا تطلب الامر ذلك.
ويا سلام لو ذهبنا الى المسرح ، فخلال الاستراحة نبلبع سحلب ، وبعد العرض انت وحظك ، سندوتشات من عند السعيد او نجرسكو من الينيون او كباب من عند المعلم عنتر ، مطعم صغير فى الروضة ولكن كبابة يجعلك تاكل صوابعك دون ان تدرى .
واحيانا يتم ارسال الهدسون كى تحضرنا مباشرة من المنزل الى المطعم فى نصف الليل بعد ان ينتهى العرض المسرحى ، واذا كنت قد تعشيت ونمت ، يتم ايقاظك ، وهو على ثقة تامة فى قدراتنا الاكلية .
وذات مساء جميل تم ايقاظنا للذهاب فى الهدسون الى عنتر حيث ينتظر ابى ، وطلب خمسة دون ان يتنبهة ان وحدة القياس قد تغيرت من الرطل الى الكيلو ، ويالة من منظر ، كوم كباب و كفتة يبلغ خمسة كيلو ، فاصدر فرمانا " كل من غير عيش " ، وللمرة الاولى نفشل فى انجاز المطلوب لان الكباب لابد و ان ياكل مع الخبز حتى ولو قطع صغيرة منة ، فضيحة ان نخرج من المطعم ونحن نحمل اكياس ما تبقى من الكباب ، فضيحة لسمعتنا فكيف لا نستطيع نسف الاكل وكمان كباب.



وجة البراءة

ملك عبد العزيز -كتبت عام 1963 و نشرت عام 1965 فى الاداب البيروتية .

كان اخى يقاتل فى اليمن ، والقصيدة موجهة الى شهيد فى اليمن نشرت صورتة فى الصحف ، ولا انسى شعور امى حين رات وجهة الصبوح ، وفى نفس الوقت قطعت الولايات المتحدة المعونة عن مصر مطالبة بوقف تسليح الجيش المصرى ، فرد جمال عبد الناصر فى خطابة الشهير ، اشربوا من البحر الابيض و اذا لم يعجبكم اشربوا من الاحمر .

وافرح يا طفلنا الحبيب
مازل فى قلوبنا براءة الاطفال
ذاك الذى يحق أن ندعوة بالانسان
بغير بيع اوشراء
بغير دولار بغير كبرياء
تقل أن اعطات

تذلنا تريق ماء وجهنا
تدمغنا بالخزى و الهوان

وجه البراءة

(مهداة الى شهيد في اليمن)

لا استطيع ان ازيح رسمك الوسيم
عن خاطري
لا استطيع !
لا استطيع ان ازيح عن عيني وان طال المدى ـ
وجه البراءة الصبوح
وجه الصبا
يطل منه طفل الامس . . . لا ، لا استطيع !
وكيف انسى وجهنا يا طفلي الوديع
حين ذهبنا امة محشودة
لغير ما ثمن
لغير مغنم
حتى لغير احلام بامجاد تعيدها القرون
لغوا وزهوا زائفا . . .
فكم املوا سمعنا عبر السنين
بما رووا عن فاتح وفاتح رجيم !
لكن ذهبنا كي نعيد للانسان
كرامة الانسان
وكان قربانا لعزه المجيد
وجه البراءة الصبوح
يا طفلي الوديع !

***

وافرحي يا طفلنا الحبيب
ما زال في قلوبنا براءة الانسان
ذاك الذي يحق ان ندعوه بالانسان
ما زال في قلوبنا براءة البذل براءة الحنان
بغير بيع او شراء
بغير دولار بغير كبرياء
تدل ان اعطت
تذلنا
تريق ماء وجهنا
تدمغنا بالخزي بالهوان !

***

لو لم تكن قربن طفلي الحبيب
على ذرا الجبال في اليمن
لو لم تكن قربته في وجهه الصبوح
وقلبه البريء
لكنت ـ لا ازال ـ يا صغيري الحبيب
لا استطيع ان ازيح رسمك الوسيم
عن خاطري . . .
لانه ـ يا طفلنا الوديع ـ وجهنا
وجه البراءة الصبوح !

القاهرة

ملك عبد العزيز

يوسف ادريس والاب البديل

1965 – 5 - 29

كتب يوسف ادريس انة فى مواجهة ظروف الحياة وعندما تضيق بة الدنيا كان يستعير ابا لة ، هذا الاب هو الدكتور محمد مندور ، وها هو هنا يرثى أباة ، ويشير بشكل غير مباشر الى التهميش و الاستبعاد من قبل النظام الناصرى ومنعة من الظهور فى الاذاعة و التليفزيون وفصلة من العمل فى جريدة الجمهورية قبل شهور قلائل من وفاتة ، وبعدها يطلقون اسمة على ثلاثة شوارع فى القاهرة و الزقازيق و منيا القمح ، فيالة من تكريم !

مندور .... جان جاك روسو ثورتنا

حين يموت طفل برىء فان كل ما نستطيع ان نفعلة تجاهة هو ان نحزن علية حزن العاجز ، اما حين يموت استاذ كبير كالدكتور محمد مندور فانى اخجل أن ابكية كانسان ، فمندور كان اكبر من انسان ، كان ظاهرة انسانية ، أشعر ان مجرد تذكرة على هيئة كائن حى ، كان نابضا رائحا غاديا بيننا ، ثم لم يعد بيننا ، اشعر أنى أضيق منظارى الى مندور ، واحددة داخل جسدة وداخل حياة صغيرة بسيطة مثلها مثل أى حياة عابرة، لقد المنى قطعا أن يموت مندور الحبيب الأستاذ الزوج ، وعصف بى ان يموت الأب ، أرحم وأرق أب حتى اننى كنت لا اتردد فى استعارتة لحظات حاجتى ، دون ان يشعر ، أبا ، وحين يموت مندور رفيق السلاح ، فلفقدة لوعة احسها كل مكافح محارب .

انها كلها مسائل للعائلة وللاصدقاء ، وللمعارف ، ولى ، وفجيعة ، ولكن الفجيعة الكبرى هى فى مندور الظاهرة ، محمد مندور الذى لا يملاء مكانة غير محمد مندور ، مندور الثروة الانسانية المصرية الشعبية العالمية التى فجاءة فقدناها ، اختفت ، واصبحنا بعدها ، مهما كان عددنا نحس بالفقر ، ابشع أنواع الفقر خالق الفقر ومورث الفقر ، فقر الرجال.

لهذا فوفاة محمد مندور كانت حدثا هائلا كبيرا ، رايتة واعجزنى عن أن انطق او أكتب أو ادرك تماما ما حدث ، فمهما كان مندور الرجل لعائلتة الصغيرة ولاصدقاءة ولزملائة ، فمندور المعلم كان لشعبنا كلة ، للاشتراكية كلها ، للزمن الماضى و للحاضر والمستقبل.

من هنا يبدو الفراغ رهيبا جسيما فاغرا فاة كعين شيطان فيها خفوت النهاية و صمتها و ظلامها المرعب السكون ، ولهذا فبعدما بكيت مندور الشخص مضيت أتامل فجيعتى الاكبر والأعظم والأشمل وشر الحزن ما ينقلب الى تأمل العاجز .

وانا لا ازال أذكر أول مرة رأيت فيها محمد مندور ، لم اكن اعرف عنة شيئا ولا كان لى بالادب صلة ، كنت مجرد طالب طب (مشاكس)فى نظر البوليس السياسى ، وكانت لجنة الطلبة والعمال قد أوفدتنا لنشرح للصحف حقيقية الموقف عقب مصرع الشهيد محمد على محمد ، على ابواب الجامعة عام 1946 وكيف اختطفنا نحن الطلبة جثتة و أخفيناها فى كلية الطب تمهيدا لاخراجها فى جنازة شعبية ، وكان من حظى وحظ من معى أن نذهب الى جريدة المعارضة فى ذلك الوقت (الوفد المصرى او صوت الامة فيما بعد اذا لم تخنى الذاكرة) وطلبنا مقابلة رئيس التحرير ، وكانت اول مرة أدخل أو اقابل رئيس تحرير .

وقابلنا الرجل ، واصغى باهتمام لما نقول ، ومضى وهو يحدثنا يرمقنا بعين من يقول لنفسة :اذن هذا هو الجيل الجديد الذى سيتولى حمل الرسالة ، كانت لة نظرة راع وكان شديد الثقة فى انتصار الشعب ، وخرجت من عندة مرتبك بعض الشىء ، فقد كنت اعتقد اننا حتى ولو كنا ذاهبين لمقابلة رئيس تحرير الجريدة المعارضة فاقصى ما نستطيع أن نجد عندة هو بعض العطف و التاييد ، اما أن نراة أكثر منا حماسا (اذ كنا كأى شبان نعتقد أننا أكثر الناس وطنية وحماسا) فهو ما اثار ارتباكى ، بل انة لم يكن متحمسا فقط ، كان متحمسا ومدركا الطريق كلة ، من اولة الى اخرة وكأنة يراة رأى العين ، احسست أنى أمام عالم اذن من علماء الوطنية ، أولئك الذى لم أعتقد للحظة واحدة أنهم يوجدون .

كان رئيس التحرير هذا ، كما علمت بعد سنين هو الدكتور محمد مندور.

وقد يكون الدكتور مندور الأستاذ الناقد قد احدث فى الادب ثورة كبرى ، ولكن أعذورونى ، فليس هذا من رأيى ، ولا حتى فى رأى المواطنين العاديين الذين لا يزالون يذكرون أهم ما فعلة الدكتور مندور .

مندور كان احد الذين صنعوا مصر الحاضرة ، وأذا كنا لم نقلها لة وهو حى فلا اقل من أن نقولها ونجأر بها وقد مات وانتهى الامر ، احد اللذين أسلموا الراية لعبد الناصر ليعبر بنا عنق الزجاجة ، عالم وطنية ومعلمها وخالق أمة ، واذا كنا قد

انعمنا بالصفات الكثيرة على الامام محمد عبدة وعلى استاذ الجيل لطفى السيد لانهما صنعا لنا فكرا حديثا فالمسالة هذة المرة ليست فكرا ولكنها بلد و شعب ، وليست كتبا ولكنها معارك رايتة يخوضها بعينى ويتلقى عن صبية المدارس ضربات البوليس ويصرخ فى الضابط لاعنا من عينة ، اننا هذة المرة امام زعيم شعبى كبير لة فى القلوب مكانة تصل الى درجة أنى ذات يوم قابلت مدرسا بالمصادفة قادما الى القاهرة يوم الانتخابات (انتخابات الاتحاد القومى) فسالتة لماذا يكبد نفسة هذة المشقة فقال لقد اتيت خصيصا لاعطى صوتى لمندور فى المنيل ثم اعود ، اننا أمام جمرة كبيرة من الجمرات التى ابقت حيوية هذا الشعب وقواة صامدة رافضة ملتهبة لكى تاتتى ثورتنا الكبرى فى 23 يوليو تشعلها نارا ضخمة مقدسة ، وما كان يمكن للنار أن تقوم أو تقوم بمثل هذة الضخامة الا والجمر ، الجمر العزيز الغالى كائنا و موجودا ومستعرا لا يلين ولا يهدأ .

فى هذا الاطار رأيت الدكتور محمد مندور وداخل هذا الاطار حفظتة لنفسى وأمنت بة ، ومن اجلة امتلات حماسا لة ، واندفعت اختلافا معة ، فمندور لم يكن ظاهرة انسانية فقط ولكنة كان ظاهرة أجبرت على التواجد فى نطاق ظروف ، والظروف أحيانا كانت تقوى وكنت دائما اريد لمندور أن يكون أقوى من الظروف وكان مندور فى اغلب الاحيان هو الاقوى و الاصدق و المرتد أبدا الى نبضة الاصيل ، المستجمع فى الحال لقواة ، المندفع ليقول الحق ولو كرة البعض ولو ساء أخريين .

انى لا استطيع أن انهى هذة الكلمة بغير أن أذكر شيئا ليس خاصا بالرسالة والريادة ، ولكنة بمندور الانسان ، فقد زاملتة فى رحلتة الاخيرة الى مؤتمر الادباء العرب فى بغداد ، واتاح لنا السفر فرصة للاحاديث الطويلة الممتدة ، روعت من احدها حين كشف لى المرحوم الدكتور مندور عن حقيقة مرضة و العملية التى أجراها لة الجراح الانجليزى هارفى جاكسون ، واستاصل تقريبا الغدة النخامية الكائنة أسفل فصى المخ الاماميين حفاظا على نظرة ، وهى عملية خطيرة للغاية ، ولكن الاخطر منها أن استئصال الغدة النخامية يعنى أن تتوقف جميع غدد الجسم الاندوكرينية عن الافراز ، فالغدة النخامية هى (المايسترو) الذى على وقع عصاة فقط تعمل تلك الغدد والا توقفت ، وكان معنى هذا أن استاذنا الدكتور ظل عشرات السنين يحيا وهو يتناول خلاصات هذة الغدد جميعا ، وهى كثيرة ومتشعبة ومتعارضة ورغم هذا لا تستطيع ان تقوم بدور الغدد الطبيعية ، وهذا هو السر فى حركتة البطيئة التى كنا كثيرا ما نستغرب لها .

ولهذا فهو لم يعش سنية الاخيرة محروما من التكريم الجدير بة وانما علش مريضا أيضا ، ورغم حرمانة ومرضة فمن كان أنشط أو أجراء من مندور ؟

ان جمرة مصر المقدسة كانت فية اقوى من اى حرمانات أو اهمال أو مرض فقد كانت الجمرة الخالدة ، التى خلدت والتى ستظل خالدة فى قلوبنا نحن اصدقاء وتلاميذك ومحبوك ايها الرجل الكبير .

هناك كلمة لابد أن اضيفها هنا ، لقد كنت مريضا حين مات استاذنا مندور ولا أزال ولم احضر جنازتة وكان خوفى وأنا راقد أقاوم المرض اللعين فى فراشى أن أموت قبل أن اسجل فجيعتى الخاصة و العامة فى جان جاك روسو الثورة المصرية ذلك الذى أسعدتنى الصدف أن اعاصرة وأقابلة وأصادقة وأحبة ثم اخيرا أروع فية .

عزاء لكم أيها الناس فقد انطفأ لنا مصباح يا لة من مصباح .

يعنى مش لاقى الا أحسان !

هكذا علقت خالتى الكبيرة عندما علمت ان عمى اللطيف الودود يرغب فى الزواج من احسان ،فقد كانت تعتقد انها تعرفها جيدا ، فاحسان كانت ، قبل هذا الزمان ، تلميذة داخلية فى المدرسة التى كانت خالتى مديرتها فى المنصورة ، طالبة من الفئات العليا للراسمالية الريفية ، يسكنون فى سراية بالسنبلاوين ، طالبة شديدة النشاط و الحيوية ولا تتوقف عن الحركة ، يعنى باختصار مولعة المدرسة و السكن ، فتطلب خالتى حضور والدها ، والد بحبوح ولطيف ، فيحضر الرجل ، ويسمع شكاوى خالتى الصارمة ، وينهر ابنتة امام الست الناظرة ، وفور الخروج من حجرة الناظرة يضحك ويخبر احسان ان تفعل ما تريد ، ويتكرر الموال .

ووقع عمى فى غرام احسان وهو طالب فى الجامعة ، وهل من الممكن الا يقع احد فى غرامها ، متحركة و لطيفة و دمها خفيف وبحبوحة وطيبة، ويقرر ان يذهب الى اهلها لخطبتها ، فماذا يفعل ؟ يذهب ومعة الحاج عبد الحميد ، جدى ، ام ماذا ؟ ويقرر الذهاب مع اخية الاكبر ، الدكتور محمد مندور الشهير فى ذلك الزمان قبل 1952، فيذهبان للزيارة ، واحسان مترددة ، هل تقبل ام ترفض ؟

الاخت الاكبر للبنات فى عائلة كثيرة الابناء ، فيجتمع كل الاخوة الذكور مع الاب فى استقبال الخاطب واخية .

وتخبرنى طنط احسان بعدها بسنين طويلة ، أن الامر حسم فى ربع ساعة ، فبعد هذا الزمن القصير من بدء المقابلة فى منزلهم ، كان كل اخواتها و ابيها قد اصبحوا فى جيب ابى الداخلى ، فلقد اعجبهم الرجل بخفة دمة وبساطتة ، ووافق الجميع وهى على راسهم .

ومنذ ذلك الزمان البعيد تنال احسان حب العائلة المندورية بنفس المستوى الذى كان يحظى بة عمى الدكتور مصطفى مندور حبيب الملايين ، الى مستوى ان اسماؤهم كانت دائمة متلازمة ، لا ننطق باسم احدهما منفردا .

وكما كان ابى يكن عاطفة كبيرة وخاصة لعمى فقد امتد هذا الى عمتى احسان، واصبح يوم الاحد من كل اسبوع احتفالا خاصا فى بيت عمى ، حين يخرج ابى من عملة فى المعهد الى بيت اخية للغذاء ، وبعد الغذاء يصر عمى على أن يحمم اخية الاكبر ويتولى تليفة.

وبعد وفاة ابى بعدة سنوات اقابلهم صدفة فى الاسكندرية ويصران ان ياخذانى الى مطعم فاخر للغذاء ، فنذهب و نتغدى ، وتسالنى شبعت ؟ فاجيب نعم ، فتصر أن اتغدى مرة ثانية ، اصرارا لا استطيع الهرب منة حين تصربقولها انت ابن ابيك ولابد أن تاكل مرة ثانية ، فاطلب من جديد غذاءا اخرا !

بحب الاثنين سوا زى المية و الهوا



انا وحورس

قلت ياواد انت جد اوى و تكاد تقترب أن تكون كئيبا وعقلك لا يتوقف ، الامر الذى دفع بعض الاصدقاء الى الشكوى " هنلاحقك ازاى " ، فانا لا اكرة الناس ولا اعتدى على احد ولا اغضب كثيرا ولكن يصيبنى الاسى اكثر ، ولا اكل الجيفة وفى قلبى ود يكفى الكون ، اذا استمع الى ، وكثيرا ما يصيبنى الالم الحارق الذى يصبح لا يطاق ، وياليتنى كنت شاعرا او كاتبا قصصيا لعلنى اتخلص من جزء منة بالكتابة ، فماذا افعل ؟
الحل الاساسى أن اجد اطفالا العب معهم ، فانا احب الاطفال فهم الاقرب الى نفسيا ، او الكبار الاطفال فما اروعهم ، ولكن اين اجدهم ؟
فلعبت على النت ، لعلة يجاوبنى ، فاجابنى ، ويالها من اجابة !
انت شبيهة حورس ، القوى الذى اقام العدل و حمى البلاد ، ويالها من نتيجة ، حلم الطفولة الذى لم ينقضى ، منذ أن بكيت بحرقة وأنا طفل صغير عندما قتل قطز فى واسلاماة لاحمد بكثير ، او حين قراءت الفتنة الكبرى لطة حسين واصابنى الم حارق ، او حين خطف قلبى محمد كريم ومصطفى البشتيلى ومحمد عبيد وعبد اللة النديم والبارودى وعبد المجيد مرسى و عبد الحكم الجراحى وجواد حسنى و فريد حداد وفتح اللة محروس .
فالعب تصح !



هل قرأتم بعد شاعر ؟

سؤال غريب ؟ الطبيعى أن تسأل ، هل قرأت للشاعر ؟ اليس كذلك ؟ ولكننى اقصد السؤال و لم اخطىء ، فالشاعر يرى و يحس و يتاثر بشكل مختلف ، ويرى الامور مصورة ويرى ايضا ما خلف الصورة ، وانا اقصد هنا الشعراء الحقيقين وليس المستشعرين ، وما اكثرهم !
وحتى الشعراء الحقيقين كثيرا ما ينتج عنهم شعرا مستشعرا استجابة لمقتضيات الحال او بحثا عن الانتشار و الذيوع او حتى السبوبة ، ولكنهم اذا انساقوا وراء مثل هذا التوجة فقدوا الشعر ولن يبقى لهم عبر الزمان ذكر.
ولكك ، اذا كنت سعيد الحظ مثلى ، تقراء النص الادبى بعد أن يقراءة شاعر ، وياحبذا لو كان من الشعراء الذين يستخدموا القلم للتعليم على النص اثناء القراءة ، فعندها يتضح أكثر فهمك الشعرى للنص ،. حيث تجد علامات واشارات الشاعر القارىء مكتوبة على النص الاصلى ، وتصبح اكثر قدرة على الفهم الشعرى للنص ، حتى و لو كان نصا غير شعريا .
لقد قراءت الالياذة اكثر من مرة ، كانت المرة الاولى وانا طفل ، ولا اتذكر فعليا فى اى عمر ، ولكن من المؤكد اننى كنت تحت سن الخامسة عشرة ، ثم اعدت قرائتها وأنا فى الخامسة و العشرون ، لاجد الكثير من الخطوط و العلامات تحت الكثير

من الجمل و العبارات ذات المدلولات الشعرية التى مازالت عالقة فى ذهنى منذ هذا الزمان ، فقد قرائتها بعد قراءة امى لها ، الامر الذى مكننى من أن اصبح أكثر قدرة على فهم و التاثر بالنص شعريا ، برغم أن الترجمة لم تكن ترجمة شعرية ، اى التاثر بالصورة الشعرية المكتوبة نثرا .
لقد كانت هذة القراءة وانا فى ظروف خاصة ، حيث تصفح الكتاب احد البصاصين ، وسالنى ما معنى هذة العلامات ، فاخبرتة ، ولانة كان مثقفا و لطيفا ، على غير العادة ، فلقد طلب استعارة " قدر الانسان " لاندرية مالرو واستمر تبادل الكتب !



الست الناظرة

من المرات القلائل التى رايت فيها امى و هى ممتقعة الوجة وتهرول على سلم المنزل بملابس البيت للذهاب الى الجيران للاتصال بالتليفون ، لانها تلقت اتصالا تليفونيا ولم تسمع سوى صوت حشرجة التليفون ، فهرولت للاتصال باختها للتاكد انها بخير ، ولم تتوقف لحظة للاجابة على اسئلتى ، حيث تصادف صعودى السلم اثناء نزولها .

هذة الاخت العظيمة تولت مسؤلية اخواتها الغير اشقاء ، بعد انفصال امها عن زوجها الثانى الذى تعرض لمتاعب مالية جسيمة ، وترك اربعة اطفال فى عهدة طليقتة ، غير توحيدة ، ولانها اكبر اخواتها فلقد تحملت مسؤليتهم جميعا ، والغريب أن كل اخواتها كانو ينادونها ، بأبلة توحيدة ، ماعدا الصغرى ، ملك عبد العزيز ، التى كانت تناديها بتوحيدة فقط .

تتمتع بروح وطنية عظيمة ، ولأنها الكبيرة ، وناظرة ثم مديرة مساعدة لمنطقة تعليمية ، فقد كانت دائما " لابسة وش الجدية " ، ولكن مع مرور الزمن واصابتها بداء السكرى ، واهمالها لانها تحب الشكولاتة ، فلقد اصيبت بتصلب خفيف فى

شرايين المخ ، فذهب "الوش الصناعى " وظهرت خفة الدم والمرح ، ولم يغب عنها نتيجة لذلك الا الخلط بين الاسماء ، برغم انها كانت تعرف أن الاسم خطأ ، فتقولة ثم تضحك .

عائلة قل أن يجود الزمان بمثلها ، شديدة التكاتف والتلاحم ، خمسة من الاخوة كالبنيان المرصوص ، لا يتعرض اى منهم لأزمة ويواجهها وحدة ، وما اكثر ازمات الحياة ، اصحاب موقف وطنى متماسك اقرب ما يكون الى الطليعة الوفدية الذى كان اكثر يسارية من يسار ذلك الزمان .

عندما كبرت خالتى الغير متزوجة وضعف نظرها نتيجة الشيكولاتة ، لم تترك وحدها ساعة واحدة ، فالمناوبات مستمرة بين الاخوة او من ينوب عنهم من الابناء ، وكان حظى أن اذهب كثيرا بديلا عن امى لنضحك سويا انا وخالتى " اللى من غير وش صناعى " .

عمو كاكش و البستلية الحمراء والشستر
طفل صغير ، يتجاوز السنتين بشهور قليلة ، يصحو فى منتصف الليل ويهرع من غرفتة ، حيث ينام مع اختة الكبيرة ، الى غرفة اخرى ويدخل كى يوقظ رجلا كبيرا فى بداية الاربعينيات ينام بجوار زوجتة ، فيصحوا الرجل مبتسما ، فيسال الطفل عما يريدة ، فيجيبة الطفل ، بستلية حمراء ، فيفتح الرجل الدرج بجانبة و يعطية البستلية الحمراء ، ويذهب بة الى غرفتة و يتاكد انة قد نام ، ويتكرر الامر بعد ساعات قليلة ، فيذهب الطفل مرة اخرى ، ويسالة الرجل المبتسم عن ما يريدة ، فيجيب جبنة شستر ، فيفتح الدرج ويعطية الجبنة ، ويذهب بة الى فراشة ، ولو طال الليل لتكرر الامر الذى يحدث يوميا ، والرجل لايمل ولا يتافف ، والطفل يكرر الامر لانة فى شدة الاحتياج للتعويض عما فقدة ، هكذا نشاءت العلاقة بين الرجل الكبير المبتسم و الطفل المازوم ، ازمة كبرى احاطت بالطفل نتيجة لازمة عائلتة .
فلقد اصيب والدة بمرض خطير فى المخ ، ورم حميد فى الغدة النخامية الموجودة فى قاع المخ ، ورم سيفقدة الرؤية أذا لم يزال ، وهى عملية خطيرة جدا فى ذلك الزمان ، فيسافر بصحبة زوجتة و اخية الى انجلترا لاجراء العملية ، وبرغم أن الطفل كان فى رعاية اختة الطفلة التى تكبرة بستة سنوات فقط ، والتى تولت امرة منذ أن كان عمرة عاما واحدا ، الا انها لاتستطيع أن تشكل تعويضا كاملا عن غياب الام و الاب .
وتحضيرا للسفر يتقرر أن تبقى الخالة ، عزيزة " اللذيذة " وزوجها مع الاطفال الخمسة واصغرهم لم يبلغ بعد عاما واحدا.
وعندما ياتى الليل تكون عزيزة قد انهكت ونالها التعب ، ويتولى هذا الرجل البديع المسئولية ، زوج الخالة والاب البديل ، محمود مرسى راشد ، زوج خالتى .
وبالطبع فان اسمة يظل عمو كاكش الى ان يكبر الطفلين الصغيرين ويستطيعا النطق الصحيح باسمة ،
وتستمر العلاقة الخاصة بين الاطفال ، كل الاطفال ، وخالتهم وزوجها اللذين لم يرزقا باطفال ، ولكن يبقى شعور خاص جدا بين الطفل وزوج خالتة .
رجل عميق الانسانية ومثقف و موهوب فى التعامل مع الاطفال ، يلعب معهم ، ولا يحضر لزيارتهم خالى الوفاض ابدا ، ويلقى منهم ترحيبا قلبيا مساويا لترحيبهم بخالتهم " اللذيذة " .
وعندما كانا يحضران للزيارة ، لاحقا ، فى وجود الاب و الام ، بعد أن من علية اللة بالشفاء ، ويجلسون على مائدة الطعام ، تبدء عزيزة " اللذيذة " فى سؤال الاطفال عن مستواهم فى الانجليزية كى تطمئن ، فلقد كانت كبيرة مفتشى اللغة الانجليزية فى وزارة التربية ، وتسكت الام و لا تتدخل ، فالسائل هو اختها الاكبر التى تربطها بها علاقة خاصة منذ الطفولة ، ويسكت الاب كذلك ، فالسائل هو عزيزة ، فيتدخل محمود راشد بقولة " ياعزيزة سيبى العيال تأكل يا عزيزة " ، وتحتج عزيزة بانها تريد أن تطمان ، ولكنها تستجيب ، وينقذ الاطفال بعد أن تحمر وجوههم .
سؤل دائم يسالة محمد مندور اذا كان هناك عيد ميلاد احد اطفال ابناء خالات او خال الطفل " هو محمود راشد جاى " ، فاذا كانت الاجابة " نعم " ، يحضر الحفل .
وعندما يتوفى زوج اخت محمود مرسى راشد ، يتولى مسئولية الاطفال المقيمين بالسنطة ، واذا حضر بعضهم لزيارتة والبقاء لدية فى فترة الاجازة الصيفية ، يستعير الطفل ، الذى اصبح شابا صغيرا ، للبقاء مع الشاب الصغير الزائر ،

ويرحب صاحبنا ايما ترحيب ، ويضع لهم عمو كاكش برنامجا للزيارات الثقافية ليقوما بها صباحا الى أن يعودا هو و الخالة من العمل .
وعندما يتوفى اخية الاصغر ، يتولى ايضا مسؤلية اطفالة ، هذا الرجل البديع لم يترك طفلا فى ازمة او احتياج ، حتى و لو كان احتياجا نفسيا .
وعندما يتوفى والد الطفل ، الذى اصبح شابا صغيرا فى السابعة عشرة من عمرة ، فى وجودة هو و امة ، وتنهار امة واختة ، يتولى المسؤلية ويجرى الاتصالات اللازمة ، ولا يبكى برغم شهرتة " بالعيوطة " ، ويحضر الكثير من الاقارب والاصدقاء ، ولا يبكى ، الى أن يحضر محمود راشد ، فينهار سد المسؤلية ، فلقد حضر محمود راشد ، وينسكب بحر من الدموع مصحوبا باهتزازات عنيفة من الضغط النفسى الهائل الذى تعرض لة.
تجربتان مريراتان يتركان اثرا نفسيا كبيرا لدى الطفل و الشاب الصغير لا يمحوهم الزمن ، ويوثران فى سلوكة الشخصى حتى الان .
كل اسرة محمد مندور ، محمد مندور نفسة و زوجتة و اولادة و ابنائهم يحبون محمود مرسى راشد ، عميد كلية الالسن سابقا .

المصادفة

طفل صغير لايأكل الفول ، لا يأكل الفول ! يا للهول ، وكيف لمصرى ان يكون مصريا ولا يأكل الفول ؟ أميرا ام خفيرا .
أرسلة ابوية من المانيا ليبقى مع خالتة فى القاهرة بعض الوقت لان عبء دراسة الدكتوراة على الابوين اصبح كبيرا ، فاكل فولا ، واصابة ما اصابة ، فلدية حساسية نادرة من الفول ، فتحلل دمة بديلا عن تقوية القلب الذى يحدث للمصريين حين ياكلون الفول ، ومنذ ذلك الزمان البعيد مازال مكتفيا بشم الفول بديلا عن اكلة .
وتقرر أن يعود الى المانيا فارسلتة خالتة وحيدا الى المانيا ، فسلمتة الى مضيفة الطيران لتسلمة الى ابوية .
طفل صغير نشط يحتاج الى رعاية من مضيفة مشغولة ، فماذا تفعل ؟ استعرضت الركاب فوجدت رجلا كبيرا يسافر و حيدا وسيماؤة مبشرة ، رجلا هادئا مبتسما يبدو علية اللطف ، فسألتة هل يقبل أن يرعى الطفل اثناء السفر ؟ فاجاب بالايجاب .
وبالقطع فان هذة المضيفة لم تكن تعرف من هو هذا الرجل الكبير اللطيف ، عميد كلية الالسن ، الكلية الاولى فى تعليم اللغات فى مصر منذ عهد محمد على ، التى اسسها جدنا الاكبر ، رفاعة رافع الطهطاوى ، يسافر الى البلاد الاوربية المختلفة ، كل صيف ، ليتاكد من حسن تدريب الطلاب فى الاجازة الصيفية و ليحضر لتدريبهم فى العام القادم.
فدفع الفضول الرجل الكبير ليسأل عن أسم الطفل ، فاجابتة المضيفة ، واصابتة الدهشة .
فالطفل هو ، تقريبا ، حفيدة ، فهو أبن ابن اخت زوجتة ، فلقد توسم فية جد الطفل و جدتة خيرا حين تقرر أن يسافر الجد لاجراء عملية خطيرة بالمخ ، فتولى رعاية الاطفال ، مع خالتهم ، حين كان والد الطفل مازال فى الثامنة من عمرة .
وهو ايضا من استضاف والد الطفل و اختة التوأم اثناء اجازة الصيف ، فى الاسكندرية ، لمدة طويلة ، حيث قام بتدريبهم على السباحة ، حين كان والد الطفل فى الرابعة عشرة من العمر .
فمن هو افضل من محمود مرسى راشد ليرعى الاطفال ؟ رجلا كبيرا مثقفا ولطيفا ولم يرزق باطفال ، استولى على قلوب كل من اقترب منة من الاطفال ، ولم يتوقف عن مناغشة الاطفال حتى بعد اصبح كبيرا فى السن ، ففى الثمانين من عمرة استمر فى اللعب مع الاطفال ، وحين كان يصاب بالارهاق ، كان يطلب من والد الاطفال ، همسا ، بان يشغلهم قليلا حتى يسترد انفاسة ، ولا يستطيع المقاومة ، فيعاود الكرة .
صورة وليد و وائل حسام محمد مندور ، فى زمن البراءة ، بعد العودة من المانيا



عندما يحين الحين ، وصية من حى

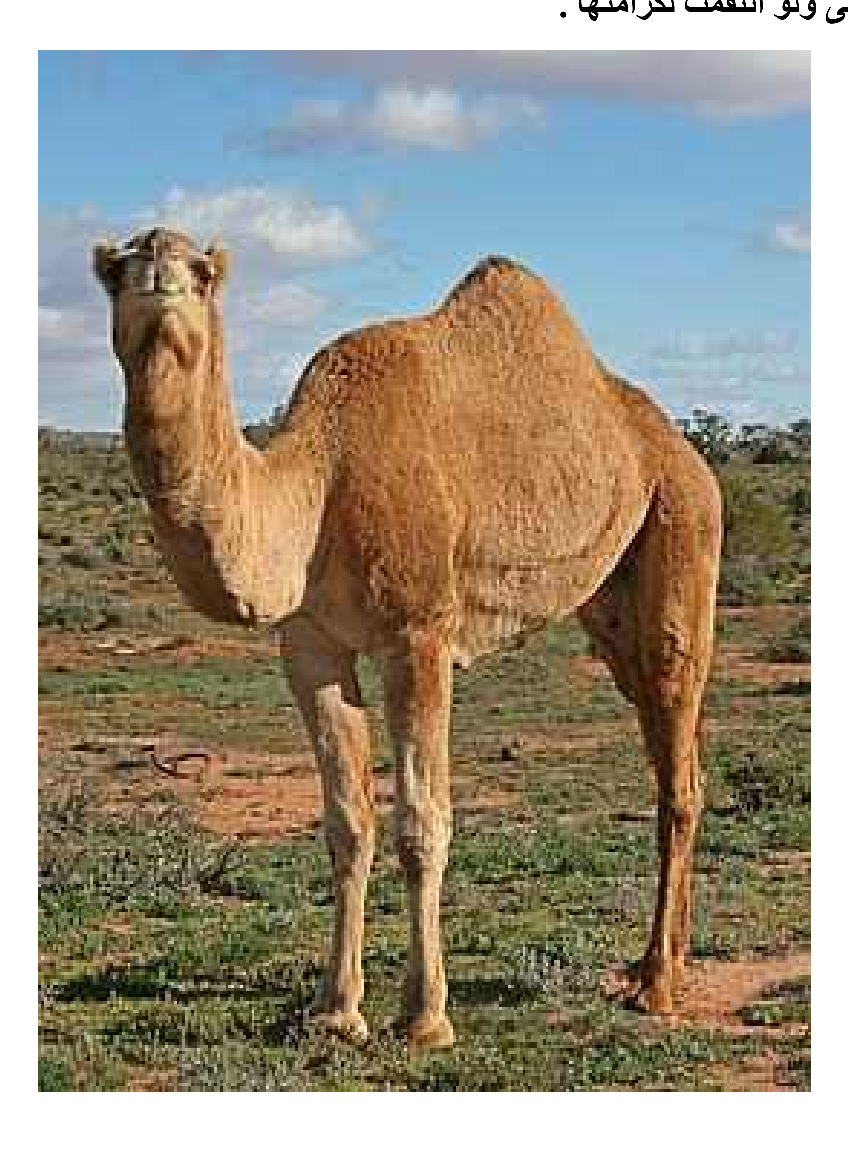
الحمد للة صحتى كويسة وعقلى يزداد نشاطة واضطر الى التدخل لتهدئتة ولكن لااحد يدوم ابدا ، ولذلك لابد من التحضير للقادم ، بعد او قرب ، ولذلك لاارغب أن يقام عزاء عندما ارحل ، ولا ارغب فى أن يترحم على احد ، ومن سيشعر أنة قد فقد شيئا علية أن يتزاور مع اصدقائة و احبائة الاحياء قبل ان يرحلوا .
أنا احب الكباب والمحشى والشوربة والايس كريم الفواكة بدون حليب ، فمن يرغب فى الترحم علي ، من الافضل أن ياكل اكلة مكن مع احبائة .
ولا مانع من زيارة شتوية للاسكندرية و صيفية لمرسى مطروح على روح الميت ، ادامكم اللة .



الجلى وسمسوم

وأنا اهم بالدخول الى منزل جدى وادفع الباب الخشبى الكبير بكل قوتى لافتحة ، باب كبير جدا مثلة مثل كل ابواب المنازل الريفية القديمة ، اجد سمسوم قادما طائرا باقصى سرعتة و هو يصرخ " افتح الباب افتح الباب افتح الباب " ، وخلفة

يتارجح باقصى سرعتة ايضا الجمل الذكر الكبير الذى يمتلكة جدى ، وهو يحاول اللحاق بة وهو شديد الغضب .
هل تعرفوا ما هو الجمل الغاضب ؟ حيوان جميل وذو كرامة ، وعندما يكون ذكرا و جيد التغذية ، يكون هائل الحجم ، وعندما يتحرك تشعر أنة واثق الخطوة والمهابة والثقة ، هكذا كنت أشعر ,انا طفل تجاة هذا البديع الكبير ، الذى كان لة مكان خاص و معزول فى زريبة جدى بستائر على الشبابيك وانا استرق النظر الية و هو جالس ياكل ، ولكن هذا الودود الجميل كان قادرا على البكاء ، فاذا اسأت معاملتة وبكى فمعنى ذلك أنة يحبك و قد غفر لك ، أما أذا سكت ، فاحظر أشد الحذر فهو لاينسى وسينتقم عندما تحين الفرصة .
وكان سمسوم يهوى ركوب الجمل ، ويحاول أن يدفعة للجرى باستخدام العصا ، والجمل يطيع ولكنة لايبكى ، الا أن انتهز الفرصة وبدء فى مطاردتة للانتقام ، جمل ذكر كبير يطارد جملا بشريا " لاينتقم " ولكنة رياضيا وقوى البنية ولا يقل ودا **عن الجمل** الحقيقى ، سوء تفاهم ناشىء من اختلاف الانواع .
وانجح فى فتح الباب فى الوقت المناسب ، ويدخل سمسوم وندفع الباب سويا لاغلاقة ، حتى لايدخل الغاضب الجميل ، ومنذ ذلك الزمان يتوقف سمسوم عن ركوب الجمل ويبتعد عن طريقة ، ويزداد احترامى للجمل .
وكلما تذكرت اخى الاكبر سمسوم ، حسام مندور ، اتذكر الجمل واتعجب ؟ كيف ياكل الناس الجمال ؟ وكيف أن سعر لحمة أقل من سعر البقر أو الجاموس ، فانا لااستطيع حتى أن اتذوقة .
عاشت البشر الجمال ، حتى ولو انتقمت لكرامتها .



أبراهيم السنى ، الذى يطفو ولا يعوم

غريب وعجيب ! كيف يطفو ولايعوم وهو كامل الاعضاء ؟ وهو نفس التصور الذى يتبناة بعض مفكرى الادارة الامريكية عن مصر ، يجب أن تستمر فى الطفو ولايجب أن تعوم ، ولكن هل هذا ممكن ؟ قد يكون صحيحا فى حالة أبراهيم السنى لانة يرفض أن يحرك اعضاءة كى يعوم ، ولكن اذا طفت مصر فمن المؤكد انها ستعوم ، حتى ولو اكتفت بالطفو لفترة من الزمن !

لكن من هو أبراهيم الطافى ؟ سائق ابى الاخير وصديقى ، فابى لم يكن يستطيع القيادة لضعف بصرة ولذلك كان مضطرا لاستخدام سائق وكان أخرهم أبراهيم السنى ، ولم يكن سنيا ! بل اطلق ذقنة لاخفاء فقدانة لاسنانة ، أما غير ذلك فهو " مزاجنجى " من الطراز الاول ، مزاج كامل لكل أنواع المزاج ، ومتعدد المواهب ، ميكانيكى من الطراز الاول ، وسائق ماهر ، خفيف الظل ومرح ، موهوب فى الطبخ ، ويتحدث الفرنسية بطلاقة .

بعد فترة قصيرة من عملة مع أبى تطوع بذكر أنة يعمل مع الاجهزة فى مقابل مبلغ مالى لتقديم تقارير عن ابى،ولم يعترض ابى بل اكتفى بالتعليق بقولة " ومالة ، المهم أن تخبرهم بما تراة بدون زيادات واهو رزق ".

هو من علمنى اصول قيادة السيارات وكيف تطبخ " سد الحنك " سريعا وبكفاءة ، وكانت أول طائرة ورقية نصنعها معا كارثة فنية ، تطير مترين و "تنهبد " على الارض ، الى أن اوضح لنا صالح باشا حرب ، على شاطىء رأس البر، كيف نصنع طائرة تطير ، وبرغم أنة لم يحاول أن يجعلنى مزاجنجى ، الاأن تشجيعة على التعامل مع الجنس الاخر لم ياتى بنتيجة لاننى قفل وورومانتيكى .

كان يتعمد أن يتحدث مع ابى بالفرنسية اذا كان لدية ضيوف اجانب ويسعد بالذهاب الى كفر مندور ، حيث يجد المزاج الكامل .

أنتقل بعد وفاة ابى ليعمل فى شركة مقاولات كبرى ، سائقا لسيارة نقل ثقيلة كانت تنقل اجزاء قواعد الصواريخ الخرسانية السابقة الصب ، لتركيبها فى الجبهة قبل حرب 73 تحت قذف الطيران الاسرائيلى الدائم ، حيث رأى الويل وبرغم ذلك احتفظ بروحة المرحة

رحمة اللة على صديقى أبراهيم السنى الطافى و الذى لم يكن سنيا !

صورة الهدسون

